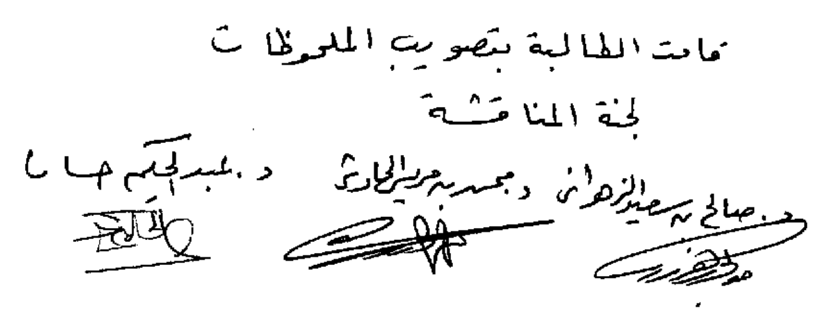
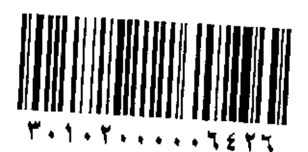
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب





الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعـــــداد

الطالبة / حصة محيا سراج الحارثـــــــي

إشراف

الدكتور / محمد بن مريسي الحارثـــــي

١٤١٥هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة

الدرجة العلمية : ماجستيـــــــــر

ملخص الرسالة

الحمدلله .. والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبدالله وبعد

فإن دراسة الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة،إنما هي محاولة للبحث عن خصوصية هذه القصة،في دلالتها على هوية القاص السعودي،التي يفترض أن تكون نابعة من طبيعة تشكل ذهنيته المستقلة،في انتمائها الى واقع فكري وبيئي مستقل،لذا فالدراسة معنية برصد مواقف القاصين السعوديين من الواقع المعاش بكل ما يصطرع فيه من قضايا ومشكلات وتحولات اجتماعية وفكرية، إلى جانب رصد مواقفهم من الأسس الجمالية والفنية لكتابة القصة القصيرة في ظل الاتجاه الواقعي،ومن هنا قامت الدراسة على جانبين : الأول تاريخي يتتبع تطور مفهوم الواقعية لدى كتابنا على مراحل ثلاث: واقعية تسجيلية تقليدية،واقعية ممتزجة ببعض الملامح الرومانسية ،واقعية ناضجة . والجانب الثاني لهذه الدراسة جانب فني جمالي معني بفحص الأدوات التعبيرية ، لدى قاصينا،المختلفة في اقترابها وابتعادها من المعيار الفني لكتابة القصة الواقعية القصيرة باختلاف الوعي به –المعيار الفني– من قاص لآخر. وقد كانت الدراسة الفنية في فصول ثلاثة تناولت الشخصية والحدث واللغة،دون إغفال للعناصر الأخرى من بيئة وحبكة وأسلوب. وقد واجهت الدراسة الكثير من الصعوبات ،لعل من أظهرها كثرة روافد البحث وتشعبها،إلى جانب قلة المراجع والمصادر،مع ضرورة الرجوع إلى الكثير من الصحف والمجلات .

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج أجملها فيما يلي :

أ – إن واقعية القصة القصيرة لدى الرواد كانت تسجيلا حرفياً للواقع، يظهر العناية بالدرس الأخلاقي بشكل مباشر وخطابي،في حين يغفل – في كثير من الأحيان – الاهتمام بأدوات التعبير، وما يرتبط به من أسس جمالية ،ومعايير فنية،لاتكون القصة القصيرة فناً أدبياً إلا بها.

ب – لقد امتزجت مواقف القاصين لدينا من الواقع ببعض من الملامح الرومانسية،حين ظهر الصراع بين القرية والمدينة، وبدأ القاصون في استشعار خطر الآلة،وقهرها لجمال الطبيعة والفطرة في نفس الإنسان، ومن هنا ظهر لديهم الميل الشديد إلى المثالية،والإفراط في الذاتية،إلى جانب المباشرة في عرض المضامين في لغة خطابية عالية النبرة.

جـ – إن واقعية القصة القصيرة لدى الجيل الثالث من قاصينا جاءت تعبيراً عن هموم الإنسان المعاصر،والضغوط الكثيرة التي أوقعتها عليه متغيرات القرن العشرين،على المستوى المادي والفكري والاجتماعي،وهو تعبير يعنى بتصوير أثر الواقع في نفس الإنسان المعاصر وسلوكه، أكثر من عنايته بتصوير الواقع نفسه تصويراً تفصيلياً،كما فعل الرواد ومن جاء بعدهم ...

والحمدلله من قبل ومن بعد .

الطالبة	المشرف على الرسالة	عميد كلية اللغة العربية
حصة محيا سراج الحارثي	أ.د محمد بن مريسي الحارثي	أ . د . حسن بن محمد باجودة

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الهادي إلى سواء السبيل، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم، على إمام الأنبياء ،وسيد المرسلين، نبينا وسيدنا، محمد ، وعلى آله واصحابه والمهتدين بهداه إلى يوم الدين .

وبعد

فإن تتبع الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة، يعد محاولة للبحث عن خصوصية هذه القصة، وما تكتنزه من معايير وقيم إنسانية، نابعة من الواقع البيئي والفكري للقاص السعودي. خاصة وأن الاتجاه للواقع من أكثر الاتجاهات الأدبية، شيوعاً واعتناقاً لدى كتاب القصة القصيرة لدينا، مما قد يعطي لهذه الدراسة شرف المحاولة لاحتضان أكبر عدد من القاصين، وبالتالي إعطاء صورة وافيه - الى حد ما - عن واقع القصة السعودية القصيرة، في بعديها التاريخي والفني .

ولما كان الموضوع على هذا القدر من الأهمية والجدة، فهو مظنة الإفادة إن شاء الله ،ومن هنا كان اختياري له مادة لهذا البحث، خاصة وأن الدراسات التي أقيمت حول القصة السعودية القصيرة، مازالت قليلة في مادتها مع أن القصة القصيرة ،تعد من أخصب المجالات وأغناها في الأدب السعودي، فإنه إلى الآن لم توجد دراسة واحدة متخصصة في تاريخية القصة القصيرة، أو تاريخية ظاهرة من ظواهرها، دون أن تكون مجرد فصل موجز في كتاب ،كما في كتاب "النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية" لمحمد عبدالرحمن الشامخ وكتاب "الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية لبكري شيخ أمين . وإن وجدت دراسات متخصصة في القصة القصيرة، فإنها معنية بالناحية الفنية وحدها، في حين تحدد تاريخيتها بفترة محددة لا تتجاوزها، كما في كتاب "البناء الفني في القصة السعودية القصيرة" لنصر محمد عباس، وكتاب "القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية " لمحمد صالح الشنطي وكتاب "القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م " لسحمي ماجد الهاجري .

حتى كتاب "القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية" لطلعت صبح السيد - الذي يوحي عنوانه بأنه من أقرب الدراسات موضوعاً إلى هذا البحث - كان انطباعياً في أغلب أحكامه، يفتقر إلى الكثير من منهجية البحث وأصوله، إضافة إلى أنه لم يعر الجانب التاريخي كبير اهتمام ، حيث اكتفى بعرض بعض الظواهر الفنية، لدى بعض الكتاب، دون أن يحاول ربط هذه الظواهر بأصولها التاريخية والبيئية.

ولعل كتاب الدكتور منصور الحازمي / فن القصة في الأدب السعودي الحديث/ من أفضل المراجع التي رصدت حركة القصة السعودية القصيرة،في مراحلها المختلفة ،وما اقترنت به من ظواهر أدبية ، في كل مرحلة ،وما يتعلق بالواقعية منها بالذات، إلاّ أن مادة الكتاب قد اتسمت بالإيجاز الشديد، نظراً لكونه - كما يقول المؤلف - عبارة عن مجموعة مقالات متفرقة ،كتبت في أوقات متباعدة ،ثم بدا للكاتب جمعها في كتاب ، علماً بأن الكتاب لم يخصص للقصة القصيرة وحدها، بل هو عن القصة القصيرة والطويلة في آن واحد .

وقد قامت دراسة الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة ، على مقدمة،ومدخل، وبابين في كل منهما ثلاثة فصول ،فخاتمة .

فبعد هذه المقدمة تناول المدخل مفهوم الواقعية التي اعتنقتها القصة السعودية القصيرة، حسب تصور هذه الدراسة لأبعادها النفعية والفنية .

أما الباب الأول فعنوانه / الواقعية من الوجهة التاريخية / وقد جاء في ثلاثة فصول :

تحدث الفصل الأول عن نشأة الواقعية ،وصورها لدى الرواد ،أمثال أحمد السباعي،وإبراهيم الناصر، وخليل الفزيع، مشيرين في نهاية الفصل إلى الكتاب الذين حذوا حذو الرواد في اعتناقهم للواقعية في صورها الأولى.

وعالج الفصل الثاني المرحلة التي امتزجت فيها الواقعية ببعض الملامح الرومانسية ،وأسباب هذا المزج، ومظاهره لدى كل من حسن القرشي، وسليمان الحماد، وغالب حمزة أبي الفرج .

وتناول الفصل الثالث واقعية القصة السعودية القصيرة في صورها الناضجة لدى كثير من الكتاب المعاصرين أمثال محمد علوان ، وحسين على حسين، وجارالله الحميد ،وعبدالعزيز مشري، وعبدالله الجفري، وخيرية السقاف، وحسن النعمي، مشيرين إشارات سريعة إلى أولئك الكتاب الذين تمثلت في أعمالهم الواقعية في صورها المتطورة، ولم تتسع الدراسة للوقوف أمام كل ما كتبوه، تلافياً للتكرار .

أما الباب الثاني فعنوانه / الواقعية من الوجهة الفنية/ وهو دراسة تحليلية فنية للواقعية القصصية من ناحيتيها الموضوعية والشكلية، أي من ناحية الموضوعات والقضايا المطروحة في ابتعادها واقترابها من المقاييس الفنية للاتجاه الواقعي، إلى جانب الشكل الفني لعناصر القصة نفسها، ومدى مطابقتها للأصول الفنية لكتابة القصة، وقد وقفت الدراسة عند أكثر العناصر صلة بالاتجاه الواقعي، وهي الشخصية والحدث، واللغة، دون إغفال للعناصر الأخرى كلما استدعتها المناسبة وقد تضمن هذا الباب ثلاثة فصول :

تناول الأول منها : الشخصية .

وتناول الثاني : الحدث .

وعالج الثالث : اللغة .

وقد حملت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ،إلى جانب التوصيات التي تقترحها.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهجين التاريخي والفني، مستقرئة من النص القصصي نفسه تلك الظواهر الموضوعية والفنية، ومن ثم تناولها بالدراسة والتحليل ،وستكون المجموعات القصصية ،التي أصدرها الكتاب السعوديون ،هي مادة البحث الأساس. إذ من الصعوبة بمكان أن تقوم الدراسة بتتبع القصص المفردة التي نشرها الكتاب السعوديون في الصحف والمجلات ،هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المجموعات القصصية هي مظنة توافر الملامح الحقيقية لاتجاهات كتابها ،أكثر من القصص المفردة.

أما صعوبات البحث في موضوع كهذا، فهي تكمن في صعوبة جمع

مادة البحث بسبب من كثرة الروافد التي ترفد هذا البحث وتشعبها، مع عدم القدرة على الاستغناء عن أي منها، فالبحث عن الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة، معناه ضرورة الاطلاع على أكبر قدر من المصادر والمراجع في الموضوعات التالية :

القصة القصيرة،معناها ،وعناصرها،ونماذجها الفنية، وتاريخها في الأدب العربي عامة، والسعودي خاصة، لمعرفة أهم المؤثرات والتحولات التي طرأت عليها، ومن ثم الاستفادة من نقاط الالتقاء والاختلاف بين القصة القصيرة في السعودية،وفي غيرها من البيئات العربية، كما يجب الاطلاع على كتب النقد الأدبي ،للاسترشاد بما يهمنا منها في كيفية التعامل مع النص وتحليله، ومن ناحية أخرى لابد من الاطلاع على كل ما يمكن الاطلاع عليه عن الواقعية نفسها، لمعرفة اتجاهاتها ومفاهيمها المختلفة باختلاف بيئاتها، ثم الوقوف على واقعية القصة السعودية القصيرة، في خصوصيتها الدالة على هوية القاص السعودي، وما تختزنه هذه الهوية من قيم روحية وأخلاقية وإنسانية.

وهناك صعوبات تكمن في طبيعة المراجع والمصادر نفسها، التي ستكون في معظمها مجموعات قصصية بعضها نفد، وبعضها صدر دون تأريخ . كما أن معظم الدراسات الأدبية جاءت متناثرة في الصحف اليومية والمجلات مما يعمق ظاهرة الصعوبة في البحث عن هذا النوع من المصادر والمراجع، وقد أفدت كثيراً في هذا المجال من الفهارس وكتب البيليوجرافيا ،خاصة كتاب "الراصد" لخالد أحمد اليوسف الذي رصد فيه كل مصادر ومراجع القصة السعودية القصيرة خلال عشر سنوات (من ١٤٠٠ – ١٤١٠هـ).

ولا يسعني بعد هذا الإيضاح إلاّ أن أحمد الله أولا وآخراً ،على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ثم إني عاجزة ،عن تقديم الشكر ،لكل الذين وقفوا إلى جانب هذه

الدراسة - وهم كثر - وأسهموا بقليل أو كثير لترى النور، وعلى رأسهم جامعة أم القرى، ممثلة في كلية اللغة العربية، التي قدمت لأبنائها طلبة الدراسات العليا كل ما يحتاجونه من رعاية وتشجيع، وتوجيهات بناءة. فجزا الله القائمين عليها خير الجزاء .

وأخص أستاذي الفاضل، والمشرف على رسالتي سعادة الدكتور / محمد مريسي الحارثي، بجزيل الشكر، وأوفر الثناء والامتنان، إذ أخذ بيد هذه الدراسة ،وذلل لها الكثير من الصعوبات، ولم يبخل عليها بشيء من علمه ووقته وجهده، فجزاه الله خير الجزاء وأوفره، ونفعه ونفع به .

وجزى الله خيراً كل من خدم هذه الرسالة برأي ،أو نصيحة، أو تشجيع أو دعوة صالحة. سائلة الله أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ،وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما لم نعلم .. إنه سميع مجيب .


مدخل

إن احتضان هذه الدراسة للاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة، لايعني بأي حال من الأحوال، أن تكون هذه الدراسة قد قصدت البحث عن واقعية من تلك الواقعيات المادية، التي عرفها الأدب العربي،بعد اتصاله بالثقافة الأوربية، ثم بات الحديث عنها يملأ كتب النقد، والدراسات الأدبية، والمذاهب الأدبية، مع كل ما تشققت عنه تلك الواقعيات من فلسفات ونظريات واتجاهات، تختلف في كثير من توجهاتها ،ومقاصدها مع توجهات ومقاصد المجتمعات العربية المسلمة،وإن اتفقت معها في بعض الملامح الشكلية العامة؛لسبب طبيعي وهو أن تلك الواقعيات قد ارتبطت في نشأتها وتطورها، وأهدافها، بظروف المجتمعات التي نشأت فيها وحدها.

فالبحث عن الواقعية في القصة السعودية القصيرة ،إنما بحث عن تلك الواقعية التي لاتفسير لها سوى صدق الارتباط بين القاص السعودي وواقعه، هذا الارتباط الذي عبر عنه من خلال التحامه، وإحساسه بقضايا وهموم مجتمعه وأمته، بل والعالم الإنساني أجمع، دون أن يبني هذه الواقعية على فلسفة ما من الفلسفات البشرية، او يكون تابعاً لنظرية من النظريات أو مذهب من المذاهب. فواقعية القاص السعودي - يفترض أن تكون - نابعة من طبيعة تشكل ذهنيته المستقلة، المنتمية الى طبيعة الفكر العربي الاسلامي .

أما تاريخية الواقعية التي عنيت بها هذه الدراسة فستقوم على مراحل ثلاث ، اقتضتها الظواهر الأدبية المميزة لكل مرحلة من هذه المراحل، وما ارتبطت به هذه الظواهر من مؤثرات اجتماعية ،وسياسية، واقتصادية وفكرية .

كما أن الدراسة معنية بالبحث عن أدوات التعبير،التي استطاع القاص السعودي أن يعبر من خلالها عن تلك الهموم، والقضايا، في ظل الهيكل الفني لكتابة القصة الواقعية القصيرة، الذي ازداد وعي القاص السعودي به، بتوسع ثقافته وحرصه على الاطلاع على نماذجه الناضجة في الآداب الأخرى ..

الباب الأول

الواقعية من الوجهة التاريخية

الفصل الأول

الواقعية في قصص الرواد

إن البحث عن بذور للواقعية في القصة السعوديةالقصيرة،سيقفنا على الكثير من الأعمال القصصية ، المرتكزة في تقنيتها المعرفية على الواقع، وما ذلك إلاّ لأن النزوع الى الواقع ، كاد أن يكون سمة غالبة ، على إنتاج القصاصين السعوديين الرواد، نظراً لما تتميز به القصة عادة ،من مرونة وسعة ، وحرية فى الطرح ،ولما تتمتع به من خصائص فنية ، جعلتها من أكثر الفنون الأدبية استئثاراً بتلك النزعة الواقعية التي اتخذت من الأساليب الوعظية، الداعية الى الإصلاح الاجتماعي سمة بارزة لها، حتى أن (عنصر المضمون قد لقي من اهتمام الكتاب أكثر مما لقيه الأسلوب القصصي والبناء الفني فقد كان لهذه القصص عظات تحاول إيضاحها،أو آراء تريد اثباتها،والدفاع عنها)[١]وبذا أصبح الإلحاح على الأغراض التهذيبية ، أو التعليمية ، بحثاً عن الإصلاح (هو المدخل الرئيسي لمعالجة القصة، مما جعل مفهومها واسعاً نسبياً ، ليستوعب الأفكار الإصلاحية المباشرة.يقول محمد أحمد جمال: القصة عندنا هي الحديث الذي له بداية ونهاية، وفيه رمز مفهوم ، وعبرة متناولة ، وهذا غاية ما يفرضه المذهب الأدبي القائل بالفن للحياة، أما التجميل والتهويل والتطويل ، وافتراء الخيال، التي هي بعض مطالب المذهب الآخر القائل بالفن للفن، فليس ذلك بسجية من يكتب للإصلاح المفهوم)[٢]

وعند البحث عن بدايات الاتجاه الواقعي ، نجد أن أحمد السباعي يعد من أوائل القصاصين الذين تحقق عندهم هذا الاتجاه الواقعي في صورته الوعظية، فقد استمد (أحداث قصصه من واقع معاناته الواقعية في مجال تعليمه وثقافته، وعمله ، وعادات أسرته ، والمجتمع الحجازي من حوله،وأراد أن تحكي قصصه تلك الأوضاع السائدة ،وذلك من خلال تتبعه لأحداث وخصائص أحد الأفراد ، ليكون بمثابة نموذج لواقع المجتمع الذي يعيش فيه)[٢].

ولعل مجموعته "خالتي كدرجان" تعطي مؤشراً واضحاً لواقعيته التي

---

(١) محمد عبدالرحمن الشامخ،النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، السعودية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . ص ١٧٣.

(٢) سحمي ماجد الهاجري، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، السعودية ١٤٠٨هـ ، ص ٢٥١ .وانظر ما قاله محمد احمد جمال في مقدمة كتابه "سعد قال لي" مصر، ١٣٦٦هـ.

(٣) ابراهيم فوزان الفوزان، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، مصر ،١٤٠١هـ ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ .

اعتبرت فيما بعد البداية الرائدة،التي انطلق منها الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة،فقصة "خالتي كدرجان" (١) التي صدَّر بها الكاتب مجموعته ، تحكي واقع امرأة ،يرثي لها كل من يسمع اسمها، ومرجع الرثاء إلى كونها عجوز، يعتقد بأنها قد تجاوزت الستين من عمرها، ومع هذا مازالت في نظر نفسها شابة لم تتجاوز الثلاثين عاماً إلاَّ بسنوات قليلة، فقد كانت تهتم بهندامها، ومشيتها ،وتحرص على قص كل شعرة بيضاء تبزغ في شعرها، وقد كان راوي القصة - وهو طفل من أطفال الحي - يختلف كثيراً على بيت السيدة "كدرجان" ويلاحظ مبلغ اهتمامها بنفسها ، وبمنزلها، على غير ما تعود من والدته، وغيرها من نساء الحارة، وفي الوقت نفسه ، كان يرى ما يبعثه ذكر اسمها من دواعي الشفقة والحزن !! ومن هنا كانت المفارقة التي حيرته .

ماتت "كدرجان" وكبر الطفل ، لكنه لم ينس الحيرة في أمرها، وجاء اليوم الذي فهم فيه كل شيء .

لقد شبت "كدرجان" في كنف والدها، هيفاء في جمال مفرط، تقدم لها الكثيرون إلاَّ أن أباها كان يرفض أن يزوجها ويبقى وحيداً دون أحد يرعاه في كبره . فعاشت منطوية على خدمته إلى أن مات، وبعد موته كان ابن عمها - والوصي عليها - أول طارق يأتي لخطبتها، وهو أب لأبناء في مثل عمرها، فما كان منها إلاَّ الرفض ،وما كان منه إلاَّ الإصرار على الزواج منها، واستغل وصايته عليها ليقف رافضاً لكل من أتاها طالباً الزواج منها،ولما طال انتظارها ،واتسع القصر الذي تسكنه على وحدتها، انتقلت ببعض اثاثها إلى الطابق السفلي ،وعرضت باقي القصر للإيجار.

وفي يوم من الأيام جاءها حجاج من أندونيسيا، برسالة من أقرباء لأبيها هناك، وما أن خرجو من عندها، حتى أتتها شيخة الحجاج، ناقلة إليها رغبة تلك العائلة في خطبتها، ونصحتها بأن تكون شجاعة في اتخاذ قراراها، وألاَّ تأبه بإبن عمها، وأخبرتها بأن تلك العائلة ستذهب إلى أندونيسيا وتعود في الموسم القادم، ليتم كل شيء .

وجاء الموسم التالي ، والذي يليه، وهي تنتظر فتاها، ولكن لم يأت أحد.

وظلت تعيش على الأمل سنوات ،وسنوات ، تسللت الكهولة أثناءها إلى

---

(١) أنظر مجموعة "خالتي كدرجان" ، السعودية ،١٤٠١هـ - ١٩٨٠م ، ص ١٣.

محياها، وتغضنت ملامحها، ولكنها تأبى رغم ذلك ، أن تعترف بتقدم سنها.(ظلت تعيش في أحلام اليقظة، تترقبه في كل حركة يخفق بها الزقاق الطويل، وتصيخ بسمعها لكل طارق ، ولو على أبواب جيرانها، خشية أن يكون قد ظل سبيله إلى بابها،وهي لهذا دائمة الزينة، تتناول أعمالها في خدمة البيت، بأطراف أصابعها في رشاقة العروس.) [١] ومن هنا، أصبحت مثارا لضحك جاراتها، (لما تتكلفه من الأناقة في غير مناسبتها،وبما لايليق من تقدم سنها، فأما العارفات منهن ،بدقائق النفس كنتيجة للتجارب، فيرثين لها، ويجدفن باللوم على أبيها الذي هيأها لمثل هذا الهوس .)[٢]

فالفكرة في قصة "خالتي كدرجان" تدور حول صورة اجتماعية ، مكررة ،قد نجد لها أمثلة كثيرة هنا أو هناك في البيئة السعودية ، حيث نجد الفتاة - أحيانا - وهي لاتملك القدرة على اتخاذ قراراتها فيما يخص الزواج وغيره من الحقوق الخاصة بها،فهي عادة ما تقع تحت وطأة أنانية الأب وجهله أو سيطرة الأخ واستغلاله أو طمع ابن العم وسطوته . فطبيعي إذاً - والحال كذلك - أن نجد الكثيرات من الفتيات وقد تجاوزن سن الزواج دون أن يتزوجن ، لا لأن احداً لم يتقدم لهن، وإنما لأن مصلحة العائلة ترى ذلك ، لأن كثيراً من الأهل يريدون الزوج ميسوراً وأحياناً لاتتزوج الفتاة كي لايذهب جزء من تركة العائلة ليد غريبة، أو لأن رعاية من بقي من الوالدين تحتم أن تبذل الفتاة نفسها، وحياتها وأحلامها كما فعلت خالتي كدرجان، التي بذلت كل شيء - رغماً عنها - لتبقى إلى جوار والدها،مع أن الزواج قد لايمنعها من رعايته .

ومن قراءة "خالتي كدرجان" يتضح أن النقد الاجتماعي لمثل هذه المشكلة الاجتماعية ، هو الهدف الواضح لكتابة القصة.. إذ من المثير للعجب والغرابة، أن تحرم المرأة من حقها في الحياة والاختيار، بينما هي في بيئة تحكم شريعة سماوية ضمنت للمرأة حقوقها، وأوصت بها خيراً. لكن الواقع قد ينحرف أحيانا ويختل في بعض من جوانبه إلاّ أن قلما غيوراً مخلصاً للواقع كقلم أحمد السباعي ،يأبى إلاّ أن يكون مرآة مجلوة

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" ص ١٩.

(٢) المصدر الاسابق ، الصفحة نفسها.

تكشف للواقع نفسه، ماطرأ عليه وما اعتراه من انحراف أو خلل. فقصة "خالتي كدرجان" تضع القارىء أمام علة من علل المجتمع ، تكشف أسبابها ، ونتائجها ،وكأنها تقول له: لاتقع في هذا الخطأ،والكلمات التي قدم بها السباعي لمجموعته مصداق صريح لنزعته الإصلاحية، وتوجهه المخلص لمعالجة الواقع وحل قضاياه ، سعياً إلى حياة مثالية، وواقع مبرأ من الأمراض والخطأ.

يقول السباعي في مقدمة المجموعة:

(أردتها أقاصيص من صميم الحياة.. أردتها لتكون مرآة يصافحنا فيها واقعنا من غير رتوش ،وأنا أؤمل أن نعالج بأمثالها بداواتنا الخاطئة!!) (١)

وقصة "اليتيم المعذب"(٢) من المجموعة نفسها، تقدم للقاريء صورة أخرى من الصور الاجتماعية ، التي حرص السباعي على عرضها في مجموعته "خالتي كدرجان" فاليتيم في هذه القصة ، وإن كان يتمه قدراً من الله لايبحث له عن أسباب، إلاّ أن معاناته كانت ترجع في أغلب أسبابها إلى بيئته وطبيعة الحياة من حوله،إذ أن الظروف ،والأشخاص من حوله، هم الذين دفعوا به رويدا ، رويدا إلى الطرق المظلمة بالإثم والخطيئة، في سن لم يملك فيها القدرة على التمييز أو الاختيار السليم،وفي ظروف لم تقدم له البديل ، فشب ليجد نفسه من أصحاب الجنح والسوابق،حتى حين هيأت له الظروف أن يلقى من يأخذ بيده إلى سبل الخير والفضيلة،وجد كل الأبواب موصدة في وجهه،لأنه مطارد بماضيه المظلم أينما ذهب .

وتتلخص أحداث هذه القصة - رغم طولها - في أن طفلاً ولد في أحد المشافي من أم غريبة، ما لبثت أن أسلمت روحها لله بعد أن وضعته ، فتلقفته يد شيخ محسن،رأى في نفسه الرغبة في أن يكفل ذلك الطفل المسكين،وأن يتولاه بالرعاية والحنان الذين حرم منهما،حمل الشيخ الطفل إلى بيته، وهناك استقبلته زوجه بالتقريع الجافي، واللوم الحار ،والعبارات النابية،على اتيانه بهذا الطفل الذي سيزيد من ثقل أعبائها، إلاّ أن الشيخ لم يأبه (لجفاء زوجته، ولم يكلف نفسه عناء الاستماع إلى تقريعها الجافي.. فقد دلف إلى مخدعه وشرع يهيء للطفل مضجعاً.... كان يعرف سلاطة لسان زوجه، ويعرف من سوء طواياها ما يثير روح الجبان، ولكنه كان يؤمن

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ٩

(٢) انظر القصة ص ٣٥ من مجموعة "خالتي كدرجان" .

في قرارة نفسه أنها إنسانة تستحق الرثاء والعطف أكثر مما تستحق المقت.) [١] كما كان (يرى أن بيئة الشخص وعادات محيطه مسئولة في المقام الأول عن جميع تصرفاته في الحياة . فزوجه إن كانت شريرة أو سليطة اللسان، فمن الغبن أن يمقتها .. وجاره الأناني الظالم، لايراه مسئولاً إلاّ إلى حد . لأن الملابسات التي صادفته في الحياة،هيأته من حيث لايشعر لمثل هذا الخلق.. وكان يرى أن اللصوص والقتلة ،لو صادف نشأتهم تهذيب عادل،لتورعوا عن سفك الدماء، ووجدوا في أعمق خفاياهم وازعاً دينياً،أو أدبياً، يهديهم إلى الاستقامة،والنبل)[٢] ولكن صاحب هذه الفلسفة ،توفي تاركاً "علوه" - الطفل اليتيم - في حجر زوجه الذي لم يختلج يوما بعاطفة، أو شفقة ، فأذاقته الغلظة. بكل ألوانها حتى (انطوت خفاياه على شعـــور غامض ،لوّن له الحياة بلون قاتم ،لايلمح فيه ضوء،ولاينفذ منه نور، وهيأ له عقله الصغير أنه لامعدى في الحياة من أن نعيش ظالمين أو مظلومين) [٣] لقد (علمته مربيته كيف يخضع لجبروتها، فرسب في نفسه تقديس القوة بكل مافي القوة من طغيان وعسف،وعلمته الاستهانة بحقارته، فانطبع على تحقير الضعيف عن عجز،أو حاجة ، أو رقة .) [٤] .

وما أن تخطى عامه الثاني عشر ، حتى أسلمته مربيته إلى أُحد المعلمين ، في شئون العمارة والبناء، ليعمل عنده في الحجر والطين،و (ليمتحنه بأقسى ما يتحمله فتى ضعيف،ويضع على كاهله ما تنوء به سنه الصغيرة.) [٥].

واندمج علوة مع أتراب له في ذلك العمل،تحت هيمنة مراقب صارم ، يلهب ظهورهم بسوطه المفتول، وهم غادون وعائدون بأحمالهم، مما لايتيح لأحدهم أي نوع من التراخي أو الفتور. (ومضت الأيام بعلوة طويلة مملة ، كان لا ينتهي من نهاره فيها بين العمل القاسي،والشدة المريرة حتى يستقبله

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان .ص ٣٦

(٢) المصدر السابق . ص ٣٧

(٣) المصدر السابق . ص ٣٩

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

بيت مربيته في جفاء أقسى .) (١)، إذ كانت تكلفه بغسل الأواني، وتنظيف المنزل، وشراء مستلزماتها من السوق ، دون أن تتيح له قرشاً واحداً من أجره اليومي ،فقد كانت تغريه - كغيره من أترابه - تلك المعروضات التي يتجول بها الباعة ، كما كان يتمنى أن يشارك أنداده في تلك النزهات التي يستأجرون لها الحمير، أصيل كل جمعة،ولكن أنَّى له ذلك، ومربيته (لاتؤمن بمثل هذه النزهات،فتمنعه الهللة الواحده إذا سولت له نفسه أن يقتطعها من أجره،وتذيقه من ألوان الضرب مالا يحتمله جسمه... فتفتقت حاجته عن شتى طرق الاختلاس .. وتعلم بالتدريج كيف يقتطع الهللة والهللات ،من أثمان السلع الصغيرة التي تكلفه مربيته بشرائها، واستمرأ هذا اللون بمرور الأيام حتى فقد حساسيته بما يفعل ،وأصبحت الحيلة لشهواته جزء في كيانه)(٢) وبهذا (نشأ علوة منساقاً - بعوامل لايفقه كنهها - إلى الثأر من الحياة ، في أشخاص من يواتيه الظفر بهم،فكان لايتورع عن اختلاس ، أو ختل ، او سرقة ما يستطيع فيه الاختلاس ، أو الختل ، أو السرقة.. وكأنه بهذا يريد أن يضيف إلى ثأره في الحياة ريا لروحه الظامئة من طول ما أرهقه الحرمان .)(٢) وانتهى به المطاف إلى أن أصبح لصاًمحترفاً ...فبينما هو في طريقه ذات مساء ، إذ صادفته فتاة صغيرة، تحلي جيدها بقطعة ذهبية، راقه بريقها، وقدر لها ثمناً صالحاً، للتوسعة على لهوه وشهواته، فما كان منه إلاَّ أن دنا من الفتاة، وعالج الحلية، حتى حصل عليها، ثم أطلق ساقيه للريح... إلاَّ أن ارتباكه دل عليه ، وهو يحاول بيع تلك القطعة، فقبض عليه ، وسيق إلى السجن،معترفا بجريرته.

اختلط علوة بنزلاء السجن (فكان يستمع إلى قصصهم، وينصت في عناية إلى رواية البطولة في أحاديثهم .. هذا فذ في سطوه، وذلك حكيم في نشله، وأولئك من المعدودين في فن العبث بسلطان الدولة.. صور لايحصيها العدد، تمثل في مجموعها ألواناً من حياة الإجرام، مطبوعة بطابع الفروسية القديمة.

استمع علوة إلى عشرات القصص وعشراتها من هذا النوع ، فتأثرت نفسيته الضعيفة ،بروعة ما فيها من بطولة زائفة،وتعشق أمجادها

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان .ص ٤١

(٢) المصدر السابق . ص ٤٣

(٣) المصدر السابق . ص ٥٣

الكاذبة،وتمنى لو أتاحت له الأيام أن يقفز إلى صفوف المعدودين في طلائع الإجرام .)[١] (وعرف في السجن مجرماً من عتاة اللصوص كانوا يدعونه "أمين جاوي" وكانوا يكبرون فيه سطوته ، ويتحدثون عن نوادره في الجرأة والبسالة.. فأعجب بمميزاته كما تحدثوا عنها، وهاله فيه القوام الناهض ، والنظرة الثابتة، والمحيا الناطق بالقوة والتحدي .) [٢] ولم يكمل علوة (مدة السجن المقررة ، حتى استطاع أن يحذق كثيراً من الحيل التي تعلمها من أستاذه في السجن... وأنه لم يغادر بابه حتى كان قد وطد على العمل لنفسه، ولنفسه فقط، بين مجتمع لايظفر فيه إلاّ الغالب .) [٣].

وما أن خرج من السجن، حتى عاد إليه مرة أخرى ، متلبساً بجريرة أخرى ، من جرائر السرقة.. وفي هذه المرة أسرّ إليه أستاذه (أنه بالاشتراك مع بعض الزملاء ، قد قرروا الهرب، وأنهم دبروا لذلك خطة محكمة لاينقصها إلاّ التنفيذ العاجل، وأن في استطاعته إذا اراد الاشتراك ، أن يعد نفسه للتنفيذ في ساعة متأخرة من الليلة الآتية .) [٤] وعند تنفيذ الخطة استطاعوا جميعا أن يجدوا للفرار سبيلاً عدا علوة، فقد لحق به الجنود قبل أن يفلت (وسيق مرة أخرى إلى السجن بعد أن ضوعفت عقوبة سجنه، وأدرج اسمه من جديد في قوائم العتاة من أصحاب الإجرام .) [٥]

عاد علوة إلى السجن .. وجمعته الصدف مرة أخرى بنزيل آخر من نزلائه، ولكنه هذه المرة ، طالب من طلبة العلم كثير القراءة ، كثير الصلاة، طويل الخشوع ، كلما حان وقت الصلاة، مما جعل علوة يؤثره بتقديره، ويتوافر على خدمته، (وعندما علم أن جريرة الشيخ في السجن ، لاتعدو تهمة كيدية، شعر نحوه بعاطفة من الميل لم يشعر بها نحو غيره من قبل .. وأحس الشيخ بميل علوة إليه ، فبادله حباً بحب ، ثم سمع قصصاً من حياته، فعرف موطن العلة، في تربيته، وأدرك بواعث الحقد،

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" ص ٥٨

(٢) المصدر السابق . ص ٥٩

(٣) المصدر السابق . ص ٦٢

(٤) المصدر السابق . ص ٦٣

(٥) المصدر السابق . ص ٦٣

والكراهة ،التي تأصلت في أعماق نفسه.. فأغرته بالجريمة، وعلمته من ألوان الشر ما حسبه يفي بثأره في الحياة.. فوطن عزمه في سره على تتبع موطن الداء من نفس الفتى ، وأن يحتال حتى يستأصل الجرثومة من موقعها، ويحل ما تعقد حولها من طحالب .) [١] (واستمر الشيخ في ترويض علوه بأسلوبه الحكيم الهادي، حتى تعشق علوة بمرور الأيام مبادىء الشيخ وتمنى لو أتيح له الانطلاق ليصافح الحياة من جوانبها المضيئة، ويبحث عن وجه الخير فيها.. وعندما انتهت أيام سجنه وأسلموه إلى الباب .. تنفس الهواء ملء رئتيه ، ومضى في خطوات ثابته يتلمس الحياة من جانبها الأبيض .) [٢].

خرج علوة من السجن وقد عوّل على طرق أبواب العمل الشريف، لكنه لم يجد إلى مبتغاه سبيلاً، فما من باب يطرقه إلاّ ويوصد في وجهه، لما عرف عن سوابقه في الإجرام واللصوصية .. ظل على هذه الحال طويلاً، ولكن عزمه مع هذا كان قد توطن على الجلد، وآلى على نفسه ألاّ ينحرف مهما بلغت به المعاناة . وهداه تفكيره أخيراً إلى أن يبتعد عن ماضيه ، إلى مكان آخر ، لاأحد يعرفه فيه، تاركاً مكة، وميمماً وجهه صوب جدة. وبالفعل تفتحت له سبل العيش في بيئته الجديدة، فقد بدأ بائعاً بسيطاً للخضار .. وتوسعت أعماله شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح تاجراً من أكبر تجار جدة. وبعد أن استقر به الحال، نازله الشوق إلى موطنه الأول "مكة" فعاد إليها، وتزوج ابنة إحدى العائلات التي عرفها صغيراً ثم عاد مرة أخرى إلى جدة وإذا بقصره ملاذاً للفقراء والمساكين، بل ولأصحاب السوابق من الآثمين والمجرمين، يأوون إليه كلما أعوزتهم الحاجة، أو مسهم الجوع، ولم يستنكر عليه ذلك ، لما شاع عن بره الذي لم يكن يقصره على أحد دون أحد.

وفي أحد الأيام وقف بباب دكانه فقير رث الثياب، وما أن دقق فيه علوه النظر حتى عرف فيه زميلاً قديماً من زملاء السجن، (فخالجته الشفقة في شأنه، وأبت مروءته أن يتقاضى منه قيمة ما اشترى ، فكان لشفقته رد فعل كلفه ثمناً غالياً في الحياة .) [٣] فقد أصبح ذلك الفقير

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ٦٤

(٢) المصدر السابق . ص ٦٥

(٣) المصدر السابق . ص ٧٣

كثير التردد على دكان علوة، استدراراً لعطفه ، كما أن علوة لم يبخل عليه بشيء، إلى أن استطاع الوصول إلى قصره ، والانضمام إلى أولئك البؤساء الذين تجمعهم حسنات علوة.. فاهتدى أخيراً إلى حقيقة علوة التي كان يحاول اخفاءها، وبدأ في مساومته واستغلاله مقابل التكتم ... إلاَّ أن علوة لم يأبه بتلك المساومة، ولم ينقطع عن تقديم المعونة لذلك الفقير وغيره من البؤساء ، ولما كانت أطماع الفقير أكبر مما يقدمه له علوة، ولما لم يمكنه علوة مما يريد ، أدار له ظهره ، وقد طوى نفسه على الحقد والكره، بل والغدر في أول فرصة تسنح له . وما هي إلاَّ أيام ، وإذا بجريمة يشيع خبرها في كل أنحاء جدة ، فقد سطا أحد اللصوص على أرملة وأغتالها (ثم سرق مدخراتها من المال والنفائس ، دون أن يترك وراءه أثراً ينم عليه .)[١]وأعلن عن مكافأة سخية، لمن يرشد إلى ما يضيء التحقيق، وذات مساء ، ذهب الفقير إلى الشرطة، ليقص عليها كل ما يعرفه عن علوة، وماضيه المشوب ، بل أضاف بأن علوة (يرأس عصابة من أخطر اللصوص ، يسرقون كل ما تناله أيديهم ، ثم يأوون إلى بيته، ليقتسم معهم ماسرقوا، ويحتفظ لنفسه بالنصيب الأوفر،وقد حاولني أحدهم للانضمام إلى عصابتهم ، فأبيت ، وأخبرني هذا عن حكاية سطوهم على الأرملة ، واغتيالها، وسرقة مدخراتها من حلي ومتاع، ونقله إلى بيت علوة توطئة لاقتسامه .)[٢].

وبعد التحريات تأكد رجال الشرطة مما قيل عن ماضي علوة بالسؤال عنه في مكة، فما كان منهم إلاَّ أن هاجموا قصره ، ولكن دون أن يجدوه. واختتم السباعي القصة بقوله : (وبذلك أُسدل الستار على الرجل التائب، وضاع في غمرات الحياة كضحية لما نسميه "صفحات السوابق". ورُؤي علوة بعد سنوات من الحادث في مدينة من جزر جاوا، يصاحب أستاذه القديم "أمين الجاوي" الذي علمه بعض فنون اللصوصية في السجن !! فهل عاد سيرته الأولى ؟؟؟

إذا صح هذا ، فمن المسؤول ؟؟) [٢]

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" ص ٧٥

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٣) المصدر السابق . ص ٧٧

فالقصة كما هو واضح ، تدور حول فكرة محددة هي :

التربية .. ودورها في تنشئة الفرد وتحديد مسلكه .

البيئة .. وأثرها في تكوينه النفسي والعقلي والوجداني.

الطفولة.. وخطورتها في تحديد ميوله واتجاهه ونظرته لما حوله من أحياء وأشياء.

ويبدو أن هذه الفكرة، كانت تشكل لدى السباعي هاجساً كثيراً ما يردده،ليس في مجموعة "خالتي كدرجان" وحسب، بل في مؤلفات له أخرى، يقول في أحدها : (لو أتيحت لنا دراسة أحوال الجناة لوجدنا أن ٩٠ ٪ من العتاة ، واللصوص ، والقتلة ، يعانون أمراضاً نفسية انتقلت إليهم ، في بيوتهم، من أم تجهل مبادىء التربية وأب لايعرف بناء الشخصية، ومحيط لايقدر الغرائز، ولا يؤمن بفضائل التوجيه)[١] كما يقول : (ولا ينقصنا شيء ، كما ينقصنا توجيه الطفل في حياته الأولى، فالطفل العاصي ، والطفل المغرور ، والطفل الذليل، والطفل البغيض، الذي لايضمر الخير في الحياة ، كل هؤلاء ضحايا، تناط آثامهم بكواهلنا، ونُسأل أمام الله عن جميع ما يقترفونه .)[٢] ولعل القاريء لقصة "اليتيم المعذب" بدءاً من الإهداء الذي تصدرها بقول السباعي: (إلى الذين يناقشون أخطاء غيرهم على ضوء ما عرفوا من أخطاء أنفسهم.. أهدي هذه القصة .)[٣] وانتهاءً إلى آخر كلمة فيها وهي : (من المسؤول ؟) سيجد نفسه أمام عمل بيِّن الملامح في توجهه نحو الواقع، ووضع يده على مكمن خطير من مكامن العلة والعوار فيه ، في محاولة لتفسير ظاهرة تتعلق بأمن المجتمع كما تمس حياة الفرد وسعادته، وهي ظاهرة الجريمة، وملابساتها، المجرم وظروفه ، الخير والشر وكيف يتصارعان في مكامن النفس الإنسانية.

وقد انتهت واقعية هذه القصة نهاية موفقة، إذ ترك الكاتب النهاية مفتوحة، فلم يفجأنا بخيبة الأمل ، وفي نفس الوقت لم يسلمنا إلى الطمأنينة التامة، فللقاريء أن يتوقع هذا أو ذاك، وإن يَكُنْ تحميل المجتمع ، والبيئة ، والظروف ، المسئولية كاملةً عن توجهات الفرد وسلوكه، فيه بعد كبير عن الواقعية الصحيحة، التي يفترض فيها أن ترى الإنسان مزيجاً من

---

(١) كتاب.."أيامي"، سلسلة الكتاب العربي السعودي ،السعودية،١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م . ص ١١٦

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(٣) مجموعة "خالتي كدرجان" ص ٣٥

الخير والشر، إلاّ أن جانب الخير لابد وأن تكون له الغلبة إذا أراد الإنسان نفسه ذلك، وإن حدث ومالت النفس إلى الشر، فلا يفترض في الكاتب أبداً أن يحاول إيجاد المبررات لهذا الخطأ، والرجوع بأسبابه إلى الظروف والملابسات دون أن يكون للإنسان إرادة وقدرة على مواجهة هذه الظروف، مادام قد اختار لنفسه طريق الخير، ووطنها على ألا تعود سيرتها الأولى مهما كانت الظروف . ولعل السباعي قد قدم للقارىء فلسفة خاصة به هو، ولكنه لم يستطع الدفاع عن هذه الفلسفة إلى النهاية، بدليل أن علوة قد خسر كل شيء بسبب مساعدته وعطفه على ذلك الفقير من أصحاب السوابق، الذي تنكّر له ووشى به بعد أن الصق به جريمة لم يقترفها، مما يثبت أنه قد لايكون للخير والشر علاقة بالظروف ، وإنما هما ينبعان من داخل النفس الإنسانية ، والإنسان وحده هو القادر على تغليب أحدهما على الآخر .

وبقراءة باقي قصص مجموعة "خالتي كدرجان" نجدها وقد سارت في الاتجاه نفسه الذي سارت فيه القصتان السابقتان، وأعني به الاتجاه الواقعي ، في نزعته الإصلاحية، المتخذة من الوصف والتسجيلية أسلوباً لها، وإن لم تقتصر على عرض المشكلات والقضايا الاجتماعية فقط، فقد قدم السباعي إلى جانب ذلك بعض الصور الاجتماعية ،والنماذج الإنسانية كما في قصة "صبي السلتاني" و"أبو ريحان السقا" و "أخطأ العفريت ولم أخطيء" ، التي استمد السباعي واقعيتها من واقع المجتمع الحجازي ،الذي استيقظ مع بدايات العهد السعودي، ليجد نفسه مكبلاً بالكثير من العادات والتقاليد المنحرفة، التي خلفتها عصور الجهل والخرافة، وبات من الصعب استئصالها ، وقد استطاع السباعي، مع غيره من الكتاب (تجسيد الكثير من تلك الخلفيات بهدف التحذير منها، وتسجيلها للتاريخ، وهكذا أسهم الفن القصصي ،في البناء تجاوباً مع حركة التغيير والتطور التي عرفها المجتمع الحجازي منذ بداية العهد السعودي .)(١)

وإبراهيم الناصر ، كاتب آخر من الكتاب السعوديين الذين كتبوا القصة الواقعية ، التي تدور في فلك الإصلاح والتهذيب، المتخذة من الخطابية،

---

(١) إبراهيم فوزان الفوزان. الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد . ج ٢ ، ص ٧٢٤

والوعظ أسلوباً لها ،ومجموعة "أرض بلا مطر" هي النموذج الذي اختارته الدراسة ، لتمثيل واقعية إبراهيم الناصر، وتحديد ملامحها ، وإن لم تكن هي المجموعة الوحيدة للكاتب ،فله مجموعتا "أمهاتنا والنضال" و "غدير البنات" ، (ومع أن هاتين المجموعتين لم تقفزا تماماً من القصص الجيدة، إلاّ أن مجموعة "أرض بلا مطر " - فيما أعتقد - أكثر نضجاً من المجموعتين المذكورتين ، وأكثر تمثيلاً لفن الكاتب .)(١)

والحقيقة أن قضية "التحول الاجتماعي" الذي طرأ على المجتمع السعودي ، - بعد ظهور النفط وما نجم عن هذا التحول ، من بروز للكثير من القضايا والصور الاجتماعية ، التي لم يكن للواقع السعودي عهد بها قبل ذلك - كانت من أهم القضايا التي شغل بها الكاتب إبراهيم الناصر، فجاءت موضوعاً لكثير من قصص المجموعة. وأولى هذه القصص قصة "أرض بلا مطر" (٢) التي تصور خيبة الأمل التي أصيب بها شاب غادر أهله مع كثير من الشباب غيره، بحثاً عن العمل في إحدى الشركات الصناعية، واستقر به العمل مع هذه الشركة ، في إحدى القرى النائية وسط الصحراء ،وبعد مرور عام كامل عانى خلاله الكثير من ويلات الغربة، والوحدة،والحرمان، أراد أن يعود إلى أهله في إجازة من الإجازات فرحاً بما استطاع ادخاره من مال ، سيعود به إلى أهله، وقبل أن يعود بيوم واحد فقط ، نشب في تلك القرية حريق أتى على كل مافيها ، بما في ذلك المبلغ الذي اكتنزه ذلك الشاب ، وهو يحلم طيلة عام كامل، باليوم الذي سيعود فيه، وقد حقق لأهله أملهم فيه، إلاّ أن أُحلامه جميعها طارت أدراج الرياح، (وعُدتُ إلى أهلي مثقل القلب ، كسير الخاطر، لضياع نقودي التي ادخرتها عاماً كاملاً في التشرد والجوع والمتاعب .

وتلقاني الجميع فرحون * بعودتي، وقصصت عليهم مشكلتي والعبرات تخنق صوتي .

---

(١) منصور ابراهيم الحازمي. فن القصة في الأدب السعودي الحديث، السعودية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م . ص ١٢٤

(٢) انظر مجموعة " أرض بلا مطر" . السعودية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م . ص ٥

* هكذا وردت .والصحيح "فرحين"

لم تعقب أمي بشيء ،ولكني لحظت دمعة كبيرة تتدحرج بالرغم منها، أما أبي فقد نظر إلي شزراً وبصق على الأرض بتأفف وهو يقول : كنت أعلم أنك ولد غير نافع ..) (١) .

وخيبة الأمل نفسها نلقاها في قصة أخرى من قصص المجموعة بعنوان "خيبة أمل "(٢) ترك البطل فيها قريته ليتغرب في المدينة ،طيلة ثمان سنوات، كان يحلم خلالها باليوم الذي يعود فيه إلى قريته ليقترن برفيقة طفولته "خالدة" بعد أن يكون قد جمع مهرها ، ويأتي اليوم الذي يعود فيه ومعه المهر، ويطرق باب أبيه ، ويفاجأ بـ "خالدة" تفتح له الباب وقد أصبحت زوجة لأبيه!! .

فالقصة من جهة تصور كفاح شبابنا، وهجرتهم من القرية إلى المدينة ،بحثاً عن سبل العيش ، مع كل ما كانت المدينة تعنيه من معاني التغرب ، والوحدة، والخوف من المجهول . ومن جهة أخرى تجد في القصة تصويراً لجشع بعض الآباء وأنانيتهم وعدم اكتراثهم بمطالب أبنائهم، فالأب هنا كان يعلم برغبة ابنه في الزواج، ومع ذلك لم يزوجه، بل كلفه عناء الهجرة طيلة ثمان سنوات ليجمع تكاليف الزواج الذي لم يتم ، لأنه تزوج من الفتاة التي كان يريدها ابنه.

وإذا كانت الهجرة من القرية إلى المدينة من أبرز قضايا التحول الاجتماعي، التي عالجها إبراهيم الناصر، فإن الصراع بين القديم والجديد قضية أخرى من قضايا هذا التحول وقد طرحها الكاتب في قصته "الأشقياء" (٣) التي تصور موقف أهل البادية ،من ذلك الانقلاب الحضاري الذي ظهر أول ما ظهر في المدينة، ثم بدأت عدواه في الانتقال إلى القرى والبوادي ، فهاهم في البادية ، ينظرون إلى السيارة، على أنها بدعة شيطانية، يسيرها شيطان يتقمص أجزاءها ويوجهها كيف يشاء ، ومن هنا كانت الحرب تعلن على كل من يقتني مثل هذا الهيكل الدميم، لأن في اقتنائه خروجاً وإبتداعاً ينافي الدين !! ولقد أُطبق هذا الجهل قبضته على أهل البادية آنذاك ، مما جعل مجرد التفكير في محاولةإقناعهم بخطأ

---

(١) مجموعة "أرض بلا مطر " ص ١١

(٢) أنظر المصدر السابق ص ٣٥

(٣) المصدر السابق . ص ٧٥

نظرتهم من الصعوبة بمكان . إلاّ أن بطل هذه القصة صمد أمام تلك الحرب التي أعلنت ضده، ولم ييأس من محاولة إقناعهم ، وبكل الطرق ، بأن ما يسمونه هيكلاً شيطانياً ما هو إلاّ (مجرد اختراع يسيره الإنسان متى شاء لأنه نتاج العلم فحسب، وليس للشيطان أو سواه دخل في الأمر .)[١] ثم ما لبث أن غادر البادية إلى إحدى المدن الصناعية، التي قذفت بهم طبيعة الترحال بالقرب منها، ليعود بعد مدة إلى مضارب قبيلته، وهو يرتدي حلة غريبة، وقد لطختها الزيوت، فما كان منهم إلاّ أن تحلقوا حوله (صغيرهم وكبيرهم يحملقون به غير مصدقين . وبعدما أطمأنوا إلى شخصه انهالوا عليه بالاسئلة الحبيسة، وإن بدت غبية: كيف رأيت الحياة مع النصارى ؟ كيف تسنى لك مخاطبتهم؟ ما هي صفاتهم وأشكالهم ؟ وهل نساؤهم جميلات ؟ وهل حقاً بأن عيونهم زرقاء..؟) [٢] . (وهكذا قضى ذلك اليوم والليلة بطولها يشرح مشاهداته ويتحدث بما رآه أو سمعه، مغالياً تارة مبتدعا حكايات من بنات أفكاره وكأنما هبط على رفاقه من السماء ليشدهم بغرائب ما يقوله . ثم تصرمت الشهور ليعود ممتطياً عربة نقل كبيرة.) [٣] أخافت عربته جمال البادية ففرت مولية، مما أثار غضب القوم ، (إلاّ أن ذلك لم يطل كثيراً، إذ سرعان ما تعطف بعضهم على ذلك الهيكل الدميم، فأتاه ببعض الحشائش ليأكل منها) [٤]وانتهت القصة بأن (ربت البطل على محرك سيارته وهو يبسمل قائلاً : "علم الإنسان مالم يعلم") [٥]

فالفكرة في قصة "الأشقياء" وإن كانت واقعية، إلاّ أن النبرة الخطابية كانت مسيطرة على جو القصة بشكل لم يلاحظ في القصتين السابقتين ، مما أدى الى إشاعة نوع من المبالغة غير المطلوبة، أضف إلى ذلك أن الكاتب لم يوضح العلاقة بين فكرة قصته، والاسم او العنوان الذي اختاره لها وهو "الاشقياء" فمن هم الأشقياء هنا؟ أهم أهل البادية الذين أُشقوا انفسهم

---

(١) مجموعة "أرض بلا مطر " ص ٧٩

(٢) المصدر السابق . ص ٧٨

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٩

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٥) أنظر المصدر السابق . ص ٧٩

بالرفض لكل جديد؟ أم هم أمثال بطلنا من ابناء البادية الذين تجرأوا لخوض المعركة ضد المتمسكين بكل قديم الرافضين لكل جديد؟؟ .

ومن قضايا التحول الاجتماعي التي طرحتها المجموعة أيضا ما جاء في قصة "خيانة" (١) التي تتناول مشكلة من أبرز المشكلات التي بدأت في غزو المجتمع السعودي، وهي ميل بعض الشباب إلى الزواج بأجنبية، وما يثمره هذا الزواج غير المتكافيء من مشكلات أسرية واجتماعية غالباً ما تنتهي بمثل هذا الزواج إلى الفشل ومن ثم الانفصال .

والتحول الاجتماعي وحده لم يكن القضية الوحيدة التي طرحتها مجموعة "أرض بلا مطر" بل إن هناك قضايا اجتماعية أخرى ، نجح الكاتب في تصويرها ، وإبرازها ، مثال ذلك ما جاء في قصة "عروس القرية" (٢) التي تضع القاريء أمام لوعة ذلك الطفل الذي قذف به بعيداً عن حضن أمه، التي قررت الزواج دون اعتبار لمشاعر وحيدها ،الذي فوجيء بأمه عروساً تزف دون سابق إنذار أو تمهيد، مما أدى إلى انهياره أمام هذه الصدمة ، وقدرة الكاتب تتمثل في تصويره لمشاعر الخوف ، والقهر ، والهزيمة التي امتدت في نفس ذلك الطفل ،في حين كانت الأيدي تدفعه بعيداً عنها (شاهدها بصورة لم يصدق معها أنها أمه حقاً . كانت تلبس ثياباً صارخة الألوان، وقد تلطخ وجهها بالأحمر والأبيض وزاد سواد عينيها وكانت تتشح بغلالة وردية أضفت عليها مسحة من جمال في أواخر خريفه ..وكانت رغم ذلك جميلة .. جميلة إلى درجة ملحوظه . وانفتل نحوها يريد احتضانها.. كان مدفوعا بقوة طاغية ، قد يكون مبعثها الخوف على هذا الشيء الوحيد الذي يملأ حياته. وكان يريد أيضا أن يلقي برأسه على صدرها كعادته ، لتمسده بحنان ،وتربت على ظهره مشجعة ومطمئنة، وعندما خطا عدة خطوات لتحقيق هذه الرغبة تنبهت بعض النسوة فحالت بينه وبين تحقيق هذه الرغبة، ولم تجده مقاومته نفعا .) (٣)

وفي قصة أخرى هي قصة "الزوجة الثانية" (٤)صور الكاتب زواج الأب

---

(١) مجموعة "أرض بلا مطر " ص ٤٤

(٢) المصدر السابق . ص ١٩

(٣) المصدر السبق . ص ٢٤

(٤) انظر المصدر السابق . ص ٨٥

وموقف الأبناء منه، الأبناء في هذه القصة لا يعرفون عن أبيهم سوى أنه صاحب الكلمة النافذة في البيت ، والسلطان الذي لايجرؤ أحد على مخالفته، فهو غائب جل الوقت في أعمال التجارة، وإذا حضر فهو متجهم صامت، لايجرؤ أحد على رفع صوته أمامه، إنما يكفيهم التفاهم فيما بينهم بالاشارة والإيماء، أما الزوجة فقد كانت مثالاً لايحتذى في الخضوع والطاعة العمياء.. ولكن حدثاً جديداً طرأ في حياة هذه الأسرة قلب موازينها وحرك ساكنها، إنه زواج الأب من شابة متفرنجة تختلف عن زوجته الأولى كثيراً ، ولا تختلف عنه في حب السيطرة ونفاذ الكلمة، وإن حاولت بناء جسر من المودة والانسجام بينها وبين أبنائه، إلاّ أنهم كانوا شديدي النفور منها، شديدي الثورة على اقتران أبيهم بها، مما حدا بهم إلى تدبير خطة للوقيعة بينها وبين أبيهم ، وقد كانت هذه الخطة من بنات أفكار "حسان" ابن السادسة عشرة الذي يمثل الرجل الثاني في البيت ، الذيأوهم أباه بخيانة زوجته له، من خلال رسالة وهمية ، أوقعها في يد أبيه ، وما أن قرأ الزوج الرسالة حتى فقد صوابه ،فأوقع بزوجته أشد العقاب قبل أن يطلقها، ويستيقظ ضمير حسان في آخر لحظة ،ولكن بعد فوات الآوان ، فقد ضاع صوته أمام ثورة أبيه العارمة ووقع هو الآخر - حسان - ضحية لهذا الزواج الذي كان ينقصه الكثير من المقومات .

وقصة "شقاوة"(١) تعالج قضية أخرى من القضايا الاجتماعية ، تتلخص في اعتقاد كثير من الناس بوجود الأشباح والأرواح الشريرة، التي قد تؤذي من لايرضيها وتوقع به أشد العقاب .

لقد سيطرت مثل هذه الأفكار على عقول أهل القرية جميعاً، في قصة "شقاوة" ، حتى لقد شاع بينهم أن النهار إنما يغيب صريعاً بين يدي وحش يأتي في الظلام!! (وقيل لنا أن ثمه وراء تلك التلال بركاً عظيمة من الدم .. دم الشمس التي تنشب مخالب الوحش المفترس أظفارها في جسدها كل مساء، وهي تصارعه وتذب عن نفسها ، وكنا نخشى كل أمر يذكرنا بالموت والدماء، والوحش الذي يتربص بنا للانقضاض على أجسادنا الصغيرة من وراء تلك الأكمة ، عندئذ نطلق سيقاننا تسابق الريح لنحتمي في صدور أمهاتنا من تلك العتمة الدكناء والوحش المفترس يحتمي

---

(١) مجموعة "أرض بلا مطر " ص ٢٧

بأسجيتها السمراء لابتلاعنا في لحظة واحدة!!)[١] وقد شاع في مرة من المرات أن الجن غير راضين عن جيرة ساكن جديد انتقل إلى ذلك الحي ،(ومن يومها لم يعد للحي من حديث سوى الحجارة التي أخذت تتهاطل وتنهمر على المنزل التعيس ، وكأنما هي أفواه قرب. فلا يسمع في صمت الليل المدفون بالأحلام الراعشة سوى تساقطها الضاج على الأواني ،أو تهشيمها للزجاج بينما استغاثات أطفاله تتشنج في الأفق وتشق السكون وتداعيه ، وثمة العديد من الرؤى الرهيبة تتلبس أحلامهم ،وتنهش قلوبهم الغضة..)[٢].

(وهكذا لم يجد أبو مصطفى بعد استفحال الخطب وتكرار الإنذار المخيف مناصاً من الرحيل بعد أن استشار أخاه وشيخ الجامع في الأمر ، فإذا هما يحثانه على وجوب الانصياع لرغبة الأرواح قبل حلول كارثة مؤكدة وماحقة .) [٣] وفي آخر القصة يفضي طفل من أطفال الحي ، لواحد من أترابه ، بسر الجن التي كانت ترشق بيت أبي مصطفى بالحجارة ، وأنه هو الذي كان يفعل ذلك، ليخرج أبا مصطفى من الحي جزاء ملاحقته له بالإيذاء والتعذيب !! .

أما قصة "ضحية الثأر" [٤] فهي قصة طالما تكررت على المسامع، عن جرائم القتل ، التي قد ترتكب في البادية لأتفه الأسباب ، وعن ذلك التعصب الذي يُلزم القريب بأخذ الثأر لقريبه، وفاءً له ، وغسلاً للعار الذي أوقعه قتله بأقربائه .

ففي هذه القصة تهيء الأم ابنها - الذي قُتل أبوه وهو لايزال في العاشرة -

ليأخذ الثأر من قاتل أبيه . وحين ناهز السادسة عشرة من عمره، بدأ يترصد لغريم أبيه الى أن تمكن منه وصرعه ، ليجد نفسه بعد ذلك في قبضة الأمن متلبساً بجريمته ، ومفاجأة أخرى في انتظاره وقع مغشياً عليه من هولها ،وهي أنه إنما قتل رجلاً بريئاً لاذنب له سوى أنه يشبه الغريم

---

(١) مجموعة " ارض بلا مطر " ص ٢٧

(٢) المصدر السابق . ص ٣١

(٣) انظر المصدر السابق . ص ٣٢

(٤) المصدر السابق . ص ٩٢

المطلوب .

وفي قصص أخرى من هذه المجموعة نجد واقعية إبراهيم الناصر، وقد خرجت عن الإطار المحلي والبيئي وتجاوزتها إلى أفق أوسع وأرحب، حيث نجد الواقعية وقد أُصبحت تحتضن الكثير من القضايا التي لاتختص بها بيئة دون أخرى ، وإنما هي قضايا تمس الإنسان في كل مكان وتشمل ما تعانية الإنسانية من آلام وهموم .

فهذه قصة "شروق وغروب"[١] تصور مأساة أبوين ، خطف الموت وحيدتهما الصغيرة ، التي ألمت بها وعكة طفيفة ما لبثت وأن استفحل أمرها، لتتحول إلى داء عضال أودى بحياتها ، في حين رفضت الطبيبة المعالجة، متابعة العلاج،وتقديم المساعدة لها، وماذلك إلاّ لأنها طُلبت في وقت راحتها، مما جعلها موضع اتهام الوالدين ومقتهما، ولم تستطع الأم المسكينة الاحتمال، فذهبت الى تلك الطبيبة لتلقنها درساً قاسياً، جزاء غرورها ولا مبالاتها بألام الآخرين . أما الأب فقد كان أكثر ثباتاً لعلمه بأن (تلك سنة الحياة .. إقبال ودبور .. شروق وغروب) [٢] وما كان منه إلاّ أن بحث له ولزوجته عن منزل آخر،يبتعدان فيه عن موطن الذكريات مع ابنتهما الراحلة .

أما قصة "الظلام المر"[٣] فهي تحكي قصة ذلك الموظف ذي الدخل القليل، الذي رزيء - على حد تعبيره - بحب القراءة ، فهو إنما يصرف اكثر دخله على شراء الكتب ، بينما لايكفي باقي ذلك الدخل لتلبية طلبات زوجته التي لاتنتهي. وفي أحد الأيام خرج مطوفا بطفلته على محلات بيع الملابس الجاهزة، وبعد رحلة مضنية من التطواف ، وبعد أن اشترى لطفلته بعض الملابس التي اتت على البقية الباقية في جيبه، خاض الطريق عائداً الى بيته وهو يسلي نفسه المرهقه وخاطره المبلل بالتفكير في محاسن الإفلاس ، والتي من أولها تخليص الإنسان من عبودية المادة.

وبينما هو في الطريق ، صادفه متسول ووقف أمامه بذلة ،وقد تعلقت بأثوابه صبية صغيرة تنظر إليه باستجداء، فما كان منه لما لم يجد ما

---

(١) مجموعة " ارض بلا مطر " ص ٥٩

(٢) المصدر السابق . ص ٦٤

(٣) انظر المصدر السابق . ص ٧٠

يستطيع مساعدتهما به، إلاَّ أن لوى عنقه ، محولاً نظره عنهما، ولكن ابنته حملته بحركة منها على النظر اليهما، ليفاجأ بالحزمة التي كانت بين يدي ابنته، والتي تحوي ملابسها الجديدة، وقد انتقلت من يدها إلى يدي تلك المتسولة !!

صعقته المفاجأة ، بل أثارت غضبه فوقف صامتاً (وإن كنت في سري ألعن الطفولة والإنسانية ،التي لم يشعر بوشيجتها سوى ابنتي البلهاء)(١) غير أنه حين أُبصر الطفلة الأخرى وقد علت ملامحها الابتسامة ،مالبثت عصبيته أن زالت، ولم يشعر إلا وهو يؤكد للمتسول بأن ابنته تستطيع الاحتفاظ بتلك الثياب، وعاد إلى بيته بعد أن تلقى من ابنته درساً لن ينساه، عن تلك الإنسانية الطائشة - كما أسماها - التي قد تدفع الإنسان الى التضحية بما يملك من أجل الآخرين ، وإن عوقب على ذلك بمرارة الحرمان في أعماق الظلام المر .

ومن الملاحظ على أغلب قصص الناصر، أنها وإن كانت إنسانية في نزعتها، إلاَّ أنها لاترى من الإنسانية سوى صورها المظلمة، فنهايات القصص في الغالب هي نهايات مأساوية محزنة، لا مكان فيها للتفاؤل أو الأمل ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن الكاتب هنا، إنما يكتب بوحي من تلك النزعة الواقعية الإصلاحية، التي جعلت من القصة عند كثير من كتاب تلك المرحلة، صوراً يراد بها وضع القارىء أمام العظات والعبر، التي تقترن عادة بالنهايات السوداوية .

وعند خليل إبراهيم الفزيع ، يجد القارىء أن الاتجاه الواقعي المعتمد على الوعظ والارشاد ،مايزال مسيطراً على القصة لديه ،وللكاتب ثلاث مجموعات هي "الساعة والنخلة" صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٧م ، والثانية " النساء والحب " صدرت عام ١٩٧٨م ، والثالثة" سوق الخميس" ، صدرت عام ١٩٧٩م .

وستتوقف الدراسة أمام"سوق الخميس" باعتبارها آخر أعمال الكاتب ، وأكثرها تمثيلاً لهذا الاتجاه لديه، والمجموعة تحوي أربع عشرة قصة،

---

(١) مجموعة " ارض بلا مطر " ص ٧٣

تتفاوت قرباً أو بعداً من الاتجاه الذي سلكه من سبقوه من كتاب القصة السعودية. وأولى القصص التي اختارتها الدراسة قصة "الأيدي الكثيرة" (١) التي تحكي واقع شاب توفيت أمه وهو طفل، أما أبوه فقد كان مصدراً لشقائه وتعاسته، نظراً لسوء معاملته إياه،وقسوته في الحكم على تصرفاته،التي لم تكن تخلو من بعض أخطاء لايجيد سترها، إلى أن أصبح في نظر والده - بل وأصدقاء والده ومعارفه أيضاً - مجنوناً لايحسن التصرف، لذا يجمل به أن يكون عديم الرأي تماماً، وله أن ينفذ ما يؤمر به لاغير، ولا جزاء له فوق ذلك سوى الإهانة والتحقير، لقد أجبره والده على ترك الدراسة لمساعدته في أعمال التجارة، مع أنه لم يكن يأتمنه على شيء، فهو يشك في كل تصرفاته، ويحاسبه عليها حساباً عسيراً حاول الهرب والفرار، إلاّ أن سطوة أبيه أعادته صاغراً ذليلاً، يطلب الرحمة والعفو.

ولما بلغ به العذاب منتهاه، وسدت في وجهه كل الأبواب ، وفي غمرة من اليأس والشعور بالعجز ، سولت له نفسه أن يفعل شيئا يثبت به لأبيه ، بل وللجميع ، أنه ليس عاجزاً، بل هو قادر على ما لم يكن في الحسبان، لقد سولت له نفسه أن يقتل أباه، وليكن بعد ذلك أي شيء، أليس في نظر الجميع مجنوناً؟؟

إن القارىء لهذه القصة سيجدها تحكي واقعاً، مألوفاً، إذ كثيراً ما نجد الأب وهو يقسو على أبنائه قسوة لا مبرر لها ،وكثيراً ما نجد الابن الذي يعاني القسوة وسوء المعاملة،من والديه أو من أحدهما، وكان يمكن أن تنتهي القصة، دون أن يكون هناك جريمة قتل ، لو أكتفى الكاتب بتكثيف الإحساس بمعاناة الابن من خلال الحوار الداخلي الذي نجح الكاتب في الاعتماد عليه، ويبدو أن النهاية التي اختارها الكاتب لقصته ،قد أتت بدافع من تلك النزعة الإصلاحية التي أرادت ان تقرع الأذهان بنهاية يعتبر بها أولو الألباب .

ومن الملاحظ أن أغلب أبطال قصص خليل الفزيع هم أشخاص عاجزون يائسون ،قد ينتهي اليأس بأحدهم إلى أن يرتكب جريمة كما في القصة السابقة، أو أن يخرج على حدود العقل والأخلاق كما في قصة

---

(١) أنظر مجموعة "سوق الخميس" ، السعودية ،١٣٩٩هـ ،ص ١٣

"نهاية المطاف"[١] حيث كان البطل شاباً ، تُوفي والداه ، وتركاه في كنف عمه الذي استخدمه طيلة خمس عشرة سنة، عاملاً في حقوله الواسعة، بلا أجر، ولكن حب ذلك الشاب لابنة عمه وأمله في أن تصبح زوجة له ، كان سبباً في تفانيه في خدمة عمه، وصبره على جشعه ودناءة نفسه. إلى أن جاء اليوم الذي صارح فيه عمه، برغبته في الزواج من ابنته ، فما كان من عمه إلاّ أن صاح به وقد ثارت ثائرته:

(- لا بد إنك مجنون ... إن ابنتي لم تخلق لأمثالك.. عليك أن تنزع هذه الفكرة من دماغك اللعين .) [٢] ومع هذا لم ييأس، فقد كرر المحاولة مع عمه أكثر من مرة ولكن دون جدوى ، وأخيراً قرر اللجوء الى حل ظن أنه الطريقة الوحيدة، التي سيجبر عمه بها على الموافقة ، لقد قرر اقتحام بيت عمه ، في محاولة لاغتصاب ابنة عمه ووضع أبيها أمام الأمر الواقع، ولما كان قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ خطته، فوجيء بعمه يقف له بالمرصاد، محبطاً خطته، فما كان منه حينذاك إلاّ أن ولى هارباً، بعد أن فقد الأمل تماماً في أن يتحقق حلمه بل حلم ابنة عمه أيضا في ذلك الزواج الذي كاد أن يتم في دائرة فحشية لا يقرها الدين.

وفي قصة " الصفعة" [٣] يطالع القاريء واحدة من المشكلات الأزلية، التي طالما سمع عنها في كثير من المجتمعات، إنها مشكلة الزوج الذي لابد له أن يختار أحد أمرين ، إما أن يرضى زوجه ليخسر أمه، وإما أن يرضي أمه ويخسر زوجه، دون أن يكون هناك اختيار وسط. ولقد أختار الزوج في هذه القصة رضا أمه ، ليس لأن الحق معها، بل لأن طاعته لها، صورتها أحرص الناس على مصلحته، وسعادته، ومن هنا فلا يمكن أن تكون هي المخطئة بأي حال من الأحوال ، بل أن لها الحق في أن تربي زوجته وتضربها إذا استدعى الأمر ذلك، وإن اعترضت الزوجة قال لها : (إنها أمي، ولها مطلق السلطة عليك ..أنا لم أخترك، هي التي اختارتك لي، وبالتالي

---

(١) أنظر مجموعة "سوق الخميس" ص ١٩

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠

(٣) المصدر السابق . ص ٩٣

هي المسئولة عنك !!)[١] تزوج مرتين ، وفي كل مرة يطلق زوجته ،وهو الآن يعيش الصراع للمرة الثالثة، دون أن يشك مرة واحدة في أن زوجته قد تكون مظلومة وأن والدته حباً منها للسيطرة، ونفاذ الرأي قد تخطيء.. فهو يقضي طيلة الاسبوع في منطقة عمله، ولا يعود إلا آخر الاسبوع في زيارة سريعة، تاركـاًزوجته مع أمه والمشاكل بينهما لا تنتهي أبداً، حاولت الزوجة معه بشتى الطرق كي يأخذها معه فرفض ،حاولت إقناعه بأنه لاذنب لها فيما آلت إليه حياتهما من تعاسة وشقاء فم يصدقها، وأخيراً أخذها عائداً بها إلى أهلها ،وبينماهي تحاول استجداءه وللمرة الأخيرة كي يصدقها ويثق بمدى إخلاصها وحرصها على ألاّ يغرق زورق حياتهما، فما كان من هذا الاستجداء إلا أن زاد من ثورته ، ليفاجأ كل من كان حولهما في عربة القطار بصوت صفعة مدوية استقرت على وجه الزوجة المسكينة.

أما قصة "سوق الخميس"[٢] فهي عبارة عن صورة مصغرة للحياة بكل ما فيها من صراع وتناقضات ومفارقات عجيبة ، متمثلة في المدينة،فالقصة تأخذ القاريء في رحلة مع ذلك القروي الساذج الذي جاء إلى سوق الخميس كغيره من القرويين الذين يأتون كل خميس إلى هذا السوق لبيع مالديهم من مواشي وخضار وتمور وسمن،وفي المقابل يبتاعون ما يحتاجونه من لوازم لايجدونها إلاّ في هذه السوق. في ذهن القروي "عليان" الكثير من الأشياء التي يريد شراءها ،منها ماهو لأمه ،ومنها ماهو لابن عمه، ومنها ماهو لأم صديقه ،ومنها ما هو لجاره العجوز... أشياء كثيرة يخشى أن ينسى منها شيئاً. وبينما هو في رحلة الشراء المضنية يتصفح في السوق الكثير من المواقف الغريبة التي كانت تسترعي فضوله، فيتوقف أمامها بعض الوقت ، فقد وقعت عيناه على شخصين يتشاجران لسبب تافه،ثم تطور الشجار بينهما مما أدى إلى تدخل الشرطة لفض الخلاف والقبض عليهما،مما أثار حزن بعض الواقفين،واستحسان البعض. وفي مكان آخر من السوق وجد حلقة من الناس يتزاحمون لرؤية شيء ما، وفغر فاه حين رأى وسط الحلقة رجلاً، قد قُطعت كفه وهو يتلوى وسط بركة من الدماء،فما كان منه إلاّ أن ابتعد عن المكان وقد سيطر عليه شعور بالغثيان،وأذناه

---

(١) مجموعة "سوق الخميس" ص ٩٤

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧

تلتقطان كلمات التشفي من هذا السارق الذي لقي جزاءه. ترك المكان ليرى منظراً آخر يحتال فيه أُحد البائعين على المشتري ، اذ يبيعه السلعة بالسعر الذي يريده هو موهماً المشتري بأنه عميل يستحق كل خير. إنها صورة طالما حذرته أمه منها ،كلما فكر في الحضور إلى المدينة. لقد انتصف النهار، وعليه الآن أن يسرع في شراء بقية الأشياء ليعود إلى القرية مبكراً ، إن ربحه اليوم كبير، ويستطيع شراء كل مايحتاجه ، وسيفيض معه بعد ذلك مبلغ لابأس به، سيضيفه إلى المبلغ المدخر لديه لشراء الأرض المجاورة لحقله، التي يريد صاحبها الطاعن في السن بيعها، وهو أحق من غيره بشرائها ، وبينما هو مع هذه الأفكار (كانت حواسه تلتقط المتناقضات روائح كريهة وطيبة.. مناظر مؤذية وجميلة، أجسام خشنة وناعمة، أصوات سب وشتم ورجاء واستعطاف) [١]وتذكر صوت أمه وبسمتها الحانية حين قالت له : لاتتأخر يا عليان، فتوقف عند أحد المحلات اشترى منه بعض ما يلزمه (ولما هم بدفع الثمن وأدخل يده في جيبه ليخرج النقود.. لم يجد شيئا!! .. لم يصدق .. وفتش جيوبه ولكن دون جدوى.)[٢] (وفي لحظة تبخرت أحلامه،واجتاحته موجة من الخيبة،لم يتمكن معها من نسيان كل من ينتظره في القرية بفارغ الصبر.)[٣].

ونقابل القروي مرة أخرى في المدينة،الممتلئة بكل صور المكر والخداع في قصص خليل الفزيع، والقروي هذه المرة يختلف عنه في القصة السابقة،فهو حريص يقظ لم يسمح لأحد أن يستغل سذاجته بالاحتيال عليه وسلبه وإن كلفه الأمر أن يقضي ليلة عرسه في السجن. فحميد في قصة "فتوة القرية"[٤] مثله مثل باقي الرجال هناك،توجه مع بزوغ الشمس إلى المدينة لبيع ما معه من محاصيل،مع أن الليلة هي ليلة عرسه، لكنه لم يشأ أن يضايق أحداً بإضافة ما معه من محاصيل إلى حمله (فلدى كل واحد منهم ما يكفيه من التعب)[٥] هذا إلى جانب أنه يريد أن يبتاع من المدينة بعض الأشياء والهدايا لعروسه. وصل ومن معه الى المدينة،وبدأ كل واحد

(١) مجموعة "سوق الخميس" ص ٨٠
(٢) المصدر السابق . ص ٨١
(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق . ص ٨٧
(٥) المصدر السابق . ص ٨٧

منهم في بيع مالديه من محاصيل وخضروات ،(وعندما كاد حميد أن ينتهي من البيع كان قد اتفق مع آخر زبون أن يبيعه كل ما بقي لديه من مختلف الخضروات على شرط أن يوصلها إلى الدار بحماره.. فوافق على ذلك بعد أن أكد له الزبون أن الدار غير بعيد عن السوق .)[1]، فسار حميد خلف الزبون إلى أن وصلا أحد المساجد، فزعم الزبون أن تلك هي داره وأخذ ما مع حميد طالباً منه انتظاره حتى يحضرله الثمن،فوقف حميد ونفسه تحدثه : (إن هذا الباب لمسجد، وهذا المسجد له باب آخر في الجهة الثانية .. قد يكون مخطئاً في اعتقاده،ولكن الشك يقلقه..لايمكن أن يخدعه هذا القزم)[2]فما كان منه إلاّ أن راقب الزبون إلى أن توارى خلف الباب، فربط حماره،حتى لايبرح ثم تحرك بهدوء إلى أن وصل إلى الباب الثاني للمسجد،وكمن وراءه في انتظار فريسته. (ولم يطل انتظاره،فقد انتفح الباب ، وخرج منه الزبون القزم،ذو الوجه الخنزيري،ولكنه لم يعرف حميداً الذي بدا هادئاً،كأن شيئا لم يكن، ويبدو أنه لم يكن يتوقع أن تكتشف حيلته،وبهذه السهولة ،فمر على حميد كما يمر على أي شخص وقال :

— السلام عليكم

فقال حميد :

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .) [3]

ثم أنقض عليه ،وقد أحكم قبضته حتى كادت روحه أن تزهق،فاجتمع الناس على صراخه، فما كادوا يخلصونه من يده حتى أغمي عليه. فأخذ حميد يجمع خضاره المبعثرة متوجها إلى حماره،في حين (استقرت يد على كتفه،ولم تكن تلك اليد غير يد الشرطي الذي تدخل أخيراً بعد أن ناداه أُحدهم ،وقاده إلى القسم ليقضي فيه ليلة كان يظن أنها ستكون أسعد ليلة).[4]

ومع أن (المفاجأة المأساوية تبرز كبديل عن لحظة التنوير)[5] في

---

(١) مجموعة سوق الخميس .ص ٨٨

(٢) المصدر السابق . والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق . ص ٨٩

(٥) محمد صالح الشنطي .القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م،ص٥٥

أغلب القصص السابقة،إلاّ أن المجموعة لم تقفر تماماً من النهايات المتفائلة ، التي تقترب بالقصة عند خليل الفزيع من الواقعية التي نريدها، والتي لايشترط فيها دائماً أن تكون واقعية مأزومة وسوداوية، فعند قراءة قصة "نقطة التحول" [١] يجد القاريء أن هذه القصة يمكن اعتبارها القصة الأولى في المجموعة من حيث تمثيلها للصورة المثالية،والنموذج الصحيح للكتابة في ضوء المنهج الواقعي .ففي هذه القصة نجد البطل وهو يعيش حياة رتيبة مملة،لاجديد فيها ولامتعة،فاليوم كأمس كغد،كلها ضياع،كلها ملل،ومع ذلك هو لايحتج ،ولكنه يتساءل: (ما فائدته ما دام يعيش على هامش الحياة؟)[٢] لاشيء في حياته يستحق الذكر،هو يومياً (يتناول عشاءه مع أمه وأخيه الصغير،ليذهب بعد ذلك إلى منزل أحد الأصدقاء.. فيسهرون حتى ساعة متأخرة من الليل .. وبعدها ينام ليبدأ في الصباح الباكر عمله،وهكذا سيمضي اليوم التالي كغيره من الأيام، نوم .. وعمل .. وثرثرة بغيضة مع أحد الأصدقاء .. لاشيء يستحق الذكر.. هو شيء لايختلف كثيرا عن غيره من الأشياء.. تِرْسٌ في عجلة الزمن.. يدور ويدور،ولكنه لايستطيع أن يتبعد عن محوره،حتى الفراغ الذي يفصله عن ذلك المحور لايملك حق التقدم إليه أو التأخر عنه). [٣]

هكذا كانت حالته إلى أن جاءت لحظة الانقلاب ، حيث كان على شاطيء البحر يرقب الشمس (وهي تنتحر في أفقها البعيد، مخلفة وراءها كآبة تغلف كل كيانه..)[٤]، وبينما هو غارق في أفكاره (سمع صوتاً يملأ الفراغ الذي يحيط به .. صراخ امرأة مكلومة.. امتدت يدها في الفراغ طالبة النجدة.. بينما الأمواج تتقاذف طفلاً يقارب التاسعة من عمره)[٥]،ولم يشعر بنفسه إلاّ وهو في الماء يصارع الأمواج إلى أن بلغ الطفل واتجه به إلى الشاطيء ونفسه تحدثه : (إن الموت شيء لايطاق .. فعليه أن ينقذ نفسه كما يحاول أن ينقذ الطفل ..يبدو أن فقد الحياة ليس بالأمر السهل،فالذين يواجهون الموت فقط .. هم الذين لايمكن أن يكرهوا الحياة ، الحياة لذيذة

---

(١) أنظر مجموعة "سوق الخميس" ص ٥٣

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق .الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق . والصفحة نفسها.

(٥) المصدر السابق . ص ٥٥

عند الشعور ببداية فقدانها.. علينا ألا نتخلى أبداً عن الأشياء التي نجد أنفسنا مرغمين على التخلي عنها)[١]ووصل الشاطيء أخيراً،وبعدها لم يشعر بشيء (وعندما فتح عينيه في المستشفى رأى حوله أكثر من شخص .. في عيونهم شكر .. وعلى وجوههم المستبشرة امتنان،وتحركت الأيدي لتصافحه في حرارة. قال أحدهم :

— شكراً جزيلاً .. لقد أنقذت حياة ابني .

كان الأب أول من تكلم .. وحاول أن يرد،ولكن كلماته لم يسمعها أحد،إذ ارتفعت الأصوات تشكره وتثني على شجاعته،وقضى ليلته في المستشفى شاعراً أنه ولد من جديد..لقد تفتح قلبه للحياة،وأصبح على استعداد لأن يحب جميع الناس.)[٢]وفي اليوم التالي كان في نفس المكان على شاطيء البحر يشارك الأطفال لعب الكرة (وعندما ضرب الكرة بكل قواه كان حذاؤه قد طار في الهواء،فغرق مع الأطفال في ضحك ،شارك فيه المارة)[٣]

وهذه الواقعية المتفائلة،يجدها القاريء أيضاً في قصة "أيام مضت"[٤] قصة ذلك الأستاذ الذي اضطرته ظروف العمل الى الانتقال للعيش في إحدى الهجر البعيدة،التي يفصلها عن العمران - حيث يعيش أهله وزوجته وطفلته - مساحات شاسعة من الصحراء،ومع مرور الأيام بدأ يشعر وكأنه في منفى، فحياته أصبحت أقرب ما تكون الى الجحيم في مكان مقفر كهذا،وبين أناس لايجد بينه وبينهم أي نوع من التوافق.. ومضت سنوات حاول خلالها تكييف نفسه مع هذه الحياة الجديدة،إلى أن جاء اليوم الذي شعر فيه أن لا أحد يستطيع إجباره على هذا النوع من الحياة،وأنه يستطيع من تلك اللحظة ترك عمله،والعودة إلى أهله،ولامانع حينئذ من أن يقبل هناك بأي عمل مهما كان وضيعاً.. المهم أن يفر من هذه الهجرة التي أضاع في رمالها(ذكرياته وأيامه .. حتى وقته لم يعد يملكه.. أو لم يعد يهتم بأن يملكه.. فكل شيء تافه.. كل شيء لايستحق الاهتمام).[٥] وبينما هو في

---

(١) مجموعة "سوق الخميس" ص ٥٦

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق .ص ٥٧

(٤) أنظر المصدر السابق . ص ٢٥

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

الفصل ،وأحد الطلبة منهمك في قراءة الدرس، في حين كان باقي الطلبة ،يملأون المكان بضجيجهم ، أخرج ورقة وقلماً،وجلس على كرسيه ليكتب مسودة استقالته،وفي هذه اللحظة باغته الخادم ،ليخبره أن المدير قد أرسل في طلبه. شعر بضيق شديد،ثم ذهب إلى المدير،فما كان من المدير إلاّ أن سلمه مذكرة لم يصدق نفسه حين قرأها، إنها مذكرة من المسؤولين عن التعليم ، تنص على نقله إلى بلدته مع زيادة مرتبه، تقديراً لمجهوده وإخلاصه في العمل !!

أما قصة "في المقهى"[1]فقد بالغ الكاتب فيها،باعتماده على عنصر المصادفة. فهذا شاب يتوقف في إحدى المقاهي ليشرب كوباً من الشاي،بينما هو يحمل هموم الدنيا على رأسه، فقد تُوفي والده وتركه وحيداً، يواجه مصاعب الحياة.. ليوفر لقمة العيش لأمه وأخويه الصغيرين، وبينما هو في جلسته ، تناهى الى سمعه حوار بين رجلين يجلسان في مكان غير بعيد عن مكانه، أحدهما عجوز تبدو عليه مظاهر النعمة، يحدث الآخر عن إبن الأخ له يتمنى لقاءه، فقد تُوفي أخوه وله ابن لايعرف أين يكون، وهو الآن وريثه الوحيد،والبقية الباقية من ذكرى أخيه الراحل، ومع انتهاء الحديث نفاجأ بأن بطل القصة هو ابن الأخ ، موضوع التحاور بين الرجلين .

وهناك كتاب آخرون كتبوا القصة الواقعية – أوانذاك – ولكنها لم تكن قصة بالمعنى الصحيح، بل هي أقرب إلى المقالة منها إلى فن القصة،حيث لم تكن القصة سوى قالباً أو وعاء أراد بعض الكتاب منه حمل رسائلهم الإصلاحية،دون أن تقصد القصة لذاتها،ومن هنا لم يعنوا بالتزام الحدود الفنية لكتابة القصة ، قدر عنايتهم بالمضمون التهذيبي، ويكفي دليلاً لمثل هذه النزعة أن يقرأ القاريء ما كتبه لقمان يونس في مقدمة مجموعتة "من مكة مع التحيات"[2] التي يقول فيها: (إن هذه القصص هي في الواقع،مقالات صحفية كنت أرمي من وراء نشرها إلى معالجة بعض مشاكلنا الاجتماعية،أو على الأقل إلى تفتيح العيون إلى وجودها البشع،وقد

---

(١) مجموعة "سوق الخميس" ص ٦١

(٢) السعودية عام ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

لجأت إلى القالب القصصي لأتمكن بواسطة ما أدير من الحوار بين أبطاله من ممارسة مزيد من الحرية في التعبير .)[١]

وتجدر الإشارة إلى أن الأدب السعودي حين كان ينزع نحو الإصلاح والتهذيب في تلك الفترة، إنما كان يشترك في تلك النزعة مع كثير من الآداب العربية التي مرت بتجارب مماثلة لما مر به المجتمع السعودي من متغيرات سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ،فبنظرة سريعة لتاريخ الأدب العربي ، في عصوره الحديثة،نجد أنه (ومن يوم أن بدأت الشعوب العربية في تكشف قواها الكامنة، تكشفاً حقيقياً ، بدأ الأدب يتجه ليأخذ صورة واقعية، وإن كانت هذه الواقعية في أول أمرها سطحية من ناحية ، ومحلية محدودة من ناحية أخرى) .[٢]

والحقيقة أن الكتابة في ظل الواقعية التسجيلية المتخذة من الخطابية والوعظ اسلوباً لها، لم تقتصر على جيل الرواد وحدهم. بل إن بعضاً من الكتاب المعاصرين ، قد ساروا في الاتجاه نفسه، تأثراً بأسلوب الرواد، واصراراً على اقتفائه،بالرغم من كل المتغيرات التي طرأت ،والتي كان يفترض معها أن تخطو القصة بخطوات واسعة، وصولاً إلى النموذج الأمثل لكتابة القصة القصيرة، في ظل الاتجاه الواقعي .

ولعل الأستاذ عزيز ضياء، واحد من هؤلاء الكتاب، فالقاريء لمجموعته "ماما زبيدة"[٣] سيلحظ،أنه وإن تكن المجموعة قد صدرت في فترة متأخرة إلاّ أنها لازالت تنزع الى الواقعية في صورها الأولى ، بالرغم من سعة اطلاع الكاتب، ومعرفته لنماذج القصة الحديثة، سواءً في الأدب العربي، أو في الآداب الأجنبية، التي يجيد بعضاً من لغاتها... والمجموعة تحوي خمساً وعشرين قصة، كلها تسير في اتجاه واحد لم يتحول عنه الكاتب ابداً،فهو حريص كل الحرص، على تصوير الواقعية من خلال وضع يده على بعض الصور الاجتماعية، والنماذج الإنسانية، بشكل يذكر القاريء بأقاصيص أحمد السباعي (في عنايتها بالطفولة ،والمرأة، وأمور التعليم، ولاغرو ، فهما ينتميان إلى ذلك الجيل الذي كان يحاول جهده التخلص من

---

(١) مجموعة "من مكة مع التحيات" ص٦

(٢) عبدالمحسن طه بدر. حول الأديب والواقع، مصر ، ١٩٨٠م ص ٣١ .

(٣) السعودية ، ١٤٠٤هـ .

تركات الماضي، وأهمها ضياع الطفل، وتخلف المرأة ،وضآلة التعليم .) [١]

إلاّ أن عزيز ضياء (لم يحرص على شيء قدر حرصه على أن يجعل المشاهد تتحول في نهايتها إلى ألوان سارة، وذلك لكي يوجد في نفس القاريء ما يجعله يتفاءل .)[٢]، فهذه "ماما زبيدة"[٣]القصة الأولى في المجموعة تحكي واقع امرأة وحيدة اضطرتها الظروف للعمل مربية لأطفال الأسر الكبيرة، وحين تقدم بها السن ،وكبر من كانت تربيهم من أطفال، استغنت تلك العائلات عن خدماتها، فعادت إلى الوحدة والحاجة مرة أخرى، حتى جاء اليوم الذي استيقظت فيه على آلام شديدة، مما دفع بجيرانها إلى ان ينقلوها إلى المستشفى ،وما أن رآها الطبيب، حتى قرر أن تجرى لها عملية جراحية، فأجريت لها العملية،وتكللت بالنجاح، ثم كانت المفاجأة ،بأن تكتشف ماما زبيدة – بإحساسها أولاً ثم ببعض الملابسات الأخرى – أن ذلك الطبيب الناجح الذي أجرى لها العملية لم يكن سوى واحد من أولئك الأطفال الذين عملت على تربيتهم !!

(وانقضت خمسة أيام في المستشفى، توافد عليها خلالها أكثر من سألت عنهم من أبنائها.. حتى الذين يعملون في الرياض، وكانوا يقضون إجازتهم في جدة، ظلوا يزورونها ومعهم زوجاتهم وأطفالهم،والكل يناديها : ماما.. ماما زبيدة .) [٤] وخرجت من المستشفى لتجد نفسها في بيت جميل ، وقد كتب باسمها، كما أن لها رصيداً في البنك، وخادمة تقوم على رعايتها، وتنتهي القصة وقد أحاط بها أبناؤها جميعاً، يطلبونها الصفح والسماح عن تقصيرهم في حقها ..

وفي قصة "الحل "[٥]ينال رضوان الشهادة الثانوية،ويتحقق أمله في الابتعاث إلى الخارج ،لدراسة الهندسة،ولكن مشكلة ما تعترض طريقه،إذ أين

---

(١) منصور ابراهيم الحازمي.مجلة اليمامة،ع٩٣٥،الاربعاء ٢٣ربيع الثاني،١٤٠٧هـ .ص٧٨

(٢) طلعت صبح السيد. القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية ، السعودية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . ص ٦٥

(٣) انظر مجموعة "ماما زبيدة" ، ص ١٧

(٤) المصدر السابق . ص ٢٤

(٥) انظر المصدر السابق ص ٨٣

طريقه إذ أين يترك عمته الشابة التي كرست حياتها لتربيته، وضحت بحقها في أن يكون لها بيت وأطفال ،حرصاً على التفرغ لرعايته والاهتمام به، فهي قريبته الوحيدة، بعد أن ذهبت أسرته كاملة في حادث سيارة، وهو مايزال طفلاً حينذاك، فلم يجد من يعينه على تكاليف الحياة ومواصلة التعليم سوى تلك العمة، وهو الآن يعاني الصراع (بينه وبينها ، ثم بينه وبين نفسه، فهي تصر على أن يذهب إلى حيث يجد مستقبله، وهو يصر على أن يظل إلى جانبها إلى الأبد..)[١] وأخيراً أتى الحل (سنسافر معا ياعمتي .. والتوجيهية التي في يدك تؤهلك للالتحاق بأي جامعة .... ومرت سنوات تخرجت هي قبله ببكالوريوس في الأدب الانجليزي، وأخذت تتقدم للماجستير)[٢]وحين عادا الى المملكة وجد كل منهما العمل في انتظاره (وفي اللحظات التي حمل اليها بشرى تعيينها معيدة في الجامعة.. قال لها: زميلنا في الطائرة تقدم لخطبتك .. فماذا ترين ؟).[٣]

ومثل القصتين السابقتين تأتي قصة "الطفل"[٤] الذي عاش محروماً من أبيه الذي سافر وابنه مايزال في بطن أمه، ومن يومها لم يعد، ولم يعرف أحد شيئاً عن سر غيابه، وما إذا كان ما يزال حياً او ميتاً، ومرت السنوات،كبر فيها الابن إبراهيم ، ودخل المدرسة، بينما أمه تقضي الليالي ساهرة خلف آلة الخياطة ، لتلبي احتياجاته. وغاص قلبه الصغير ،حين علم أن رجلاً قد طلب الزواج من أمه،وأنها قد وافقت ،وفي الليلة التي تقرر فيها الزواج، فوجيء الجميع بعودة الأب الغائب .

ومن النماذج السابقة وغيرها من أقاصيص عزيز ضياء يتضح للقاريء أن (أبوة عزيز ضياء وحدبه على شخصياته تجعله حريصاً على تحقيق ما يسميه النقاد "العدالة الشعرية" حتى لو التمس لها بعض المصادفات الغريبة التي تبدو بعيدة الاحتمال)[٥] والتي تضطره أحياناً إلى افتعال بعض الأحداث واختلاقها وإن لم تكن منسجمة مع واقع القصة، لتخرج القصة

---

(١) مجموعة "ماما زبيدة" ، ص ٨٧

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق ص ٨٨

(٤) انظر المصدر السابق .ص١٧٩

(٥) منصور ابراهيم الحازمي. مجلة اليمامة ع ٩٣٥ ص ٧٨

وهي أقرب ماتكون إلى الحكايةالمروية التي لا أثر فيها للصراع أو المعاناة الواقعية التي كان يمكن أن تضفي على جو القصة الكثير من المنطقية والصدق في نقل التجربة التي لايشترط فيها دائماً أن تكون ذات نهاية سعيدة. (ولا اعتقد أن الكاتب - وهو الخبير بتقنية القصة العمودية وأصولها - يجهل أن مثل هذه المصادفات الكثيرة تضعف من قناعة القاريء بواقعية الحادثة أو احتمال وقوعها . ولكنه فيما أظن - كان مشغولاً - كما شغل جيله الرائد - بالدرس الأخلاقي ،فلم يرض - مهما كلفه الأمر - أن يضيع الخير وتتلاشى الفضيلة من أجل الفن .)[١]

ويبدو أن الكاتب كان يتوقع مثل هذا الرأي في مجموعته فجاء في مقدمتها بما يحاول أن يبرر به اتجاهه ، إذ يقول : (إني لم أحاول في هذه القصص ركوب موجة التحديث والحداثة، ولذلك فهي خالية - إلى حد الفقر المدقع المحزن - من لمسات أو شطحات التهويم والضياع، والرمز وفنون الإيقاع .. وحسبي أن يجد فيها القاريء "الحدوتة" أو "الحكاية" التي يفرغ من قراءتها في دقائق ، قبل أن يسلم أجفانه لتعسيلة الظهيرة أو النوم بعد سهرة حافلة .)[٢]

وغير عزيز ضياء هناك كتاب آخرون اتخذوا الواقعية التقليدية منهجاً لهم ، وإن تأخرت تاريخية القصة لديهم ، ومن أبرز هؤلاء الكتاب :

علوي طه الصافي ، وله ثلاث مجموعات : (مطلات على الداخل)[٣] (ارزاق يادنيا ارزاق)[٤] (يا زمن العجايب)[٥].

وعاشق الهذال صاحب مجموعتي (الكلب والحضارة)[٦](الفرسان والفارس)[٧].

وناصر العديلي صاحب مجموعة (الزمن والشمس اللذيذة).

---

(١) منصور ابراهيم الحازمي. مجلة اليمامة ع ٩٣٥ - ص ٧٨

(٢) ص ١٢

(٣) السعودية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٤) السعودية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٥) السعودية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٦) السعودية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٧) السعودية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(٨) السعودية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

الفصـــــــــــــل الثاني

بين الواقعية والرومانسية

(إن النظرة الناقدة، لوجوه الحضارة الحديثة، ليست بالضرورة رفضاً للحضارة، بمقدار ما هي نقد لتجاهلها إنسانية الإنسان، أو تصحيح مسار تلك الحضارة،ومن هنا نجد امتزاج الرومانسية بالواقعية في تلك النظرة الناقدة،فبينما نجد الكاتب متجهاً للرومانسية في استجابته للقرية، وهجرة المدينة،وحديثه عن الغدير، والنهر، والطيور والأزهار، والنبع، والمرج الأخضر... نجده ذا نظرة واقعية لحياة الإنسان، فهو يرنو للحياة البسيطة الخالية من التعقد،ويظهر مساويء استخدام الآلة، ويصور الصراع النفسي، ويتناول الفوارق الطبقية،إلى غير ذلك من مظاهر اجتماعية تدنيه الى المنهج الواقعي.)(١) وهذه الظاهرة يلمسها المتتبع لرحلة القصة السعودية القصيرة،خاصة في تلك المرحلة التي توسطت بين الواقعية التقليدية من جهة،والواقعية الناضجة في صورتها الفنية من جهة أخرى، حيث ما يزال القصاصون في هذه المرحلة الوسط مشغولين بقضايا الواقع وهمومه،إلى جانب أنهم اصبحوا مشدودين إلى الطريقة الوجدانية والاسلوب الذاتي في التعبير عن تلك الهموم.

والحقيقة أن (كل أدب سليم لا بد أن يمر مضمونه خلال نفس الأديب، وأن يتخذ لونه الإنساني اثناء رحلته داخل تلك النفس ، لكنا لانسلم أبداً بأن تكون ذات الأديب هي الغاية،وهي الوسيلة والهدف والبداية والنهاية في العمل الفني فليس هناك فن فردي غايته الفرد،ومشكلات الفرد، وخصوصيات الفرد، وأنانية الفرد، وانعزالية الفرد،لأن أي إنسان فرد، لايمكنه أن يعيش وحده بعيداً عن الناس في جزيرة نائية، وإنما الفن تعبير اجتماعي، موضوعه الإنسان داخل المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه ذلك الكائن الاجتماعي الذي يعيش دائماً على الرقي بعقله، دائباً على التسامي بعواطفه،داخل مجتمع إنساني يتطور بتعاقب الأجيال إلى الأمام ، في غير رجعة أو نكوص على الأعقاب .)(٢)

ومن هنا (تكاد الواقعية الرومانسية تكون منهجاً فنياً للقصصي العربي، بجمعها بين سمات الواقعية التي تدنيها من جمهور قاريء ،وجمهور يعيش في الأعمال القصصية ، وفي مجتمعها المصور، ثم جمعها إلى ذلك من

---

(١) يوسف حسن نوفل. أدباء من السعودية. السعودية.١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .ص٥٨-٥٩

(٢) سيد حامد النساج، في الرومانسية والواقعية، مصر ، ١٩٦٩م .ص١٧

سمات الرومانسية وسيلة المخاطبة الوجدانية،والإفعام العاطفي، والتعبير عن الذات،والالتصاق بالفرد .)[١].

وقد كان لظهور الرومانسية في الأدب العربي في العصر الحديث (أسباب وعوامل سياسية واجتماعية وثقافية، تكاد تتفق في جوهرها في الأقطار العربية التي توثقت صلاتها بالغرب،وتختلف في تفاصيلها من قطر إلى قطر.)[٢]،ففي الأدب السعودي (ونتيجة للظرف التاريخي وهمومه، ظهر الاتجاه الرومانسي في كتابة القصة القصيرة، كانعكاس شديد الارتباط بواقع تلك الفترة، وما تميزت به من شعور بخيبة الأمل)[٣]والقلق ،أمام ذلك الانقلاب الحضاري الذي أحدثه اكتشاف النفط في منطقة الخليج،وما أحدثه هذا الانقلاب من صراع بين القديم والحديث، متمثلا في الصراع بين القرية والمدينة، مما كان له أكبر الأثر في الشعور بالخوف من طغيان المادة،وتمزيقها لفطرة الإنسان وعواطفه،لذا كان الحنين إلى الماضي،والظمأ إلى العاطفة، والفرار إلى الطبيعة، من أهم ملامح التعبير الرومانسي عند كتاب هذه الفترة.

وعند البحث عن نماذج الواقعية الرومانسية لدى القصاصين السعوديين، يأتي الكاتب حسن عبدالله القرشي في مقدمة هؤلاء الكتاب من خلال مجموعته "انات الساقية"[٤]التي اصدر طبعتها الأولى عام ١٩٥٦م، وقصة "أنات الساقية"[٥] تأتي في مقدمة الأقاصيص التي حوتها المجموعة، وهي تحكي واقع "حميد" ، فتى البادية، وابن الخمسة والعشرين ربيعاً، الذي أحب ابنة عمه"ناجية" وبات يوم زفافها اليه حلماً يوشك أن يصبح حقيقة، (ويطل الصباح إطلالة الندى على مباسم الورد،ويستقبل حميد نشيطاً منازل عمه، تسدد خطاه عزيمة الشباب،ويؤجج صدره ولع وهيام! هذا هو

---

(١) يوسف حسن نوفل. أدباء من السعودية . ص ٦٣

(٢) كامل السيرافي،الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر. مصر ١٩٧٣م . ص ٢١٢، ولمزيد من هذه التفاصيل عن هذه العوامل انظر ص ٢١٣ إلى ٢١٥ من المرجع نفسه .وانظر مذاهب الأدب معالم وانعكاسات .لياسين الأيوبي .لبنان ١٩٨٤م . ص ٢٧٨

(٣) عبدالله عبدالرحمن الجفري، مجلة اليمامة، ع٨٧٢. الاربعاء ١١محرم١٤٠٦هـ ص ٤٨

(٤) مصر ، ١٩٨٩م .

(٥) انظر مجموعة "أنات الساقية" ص ٩

عمه، يرد تحيته في هيبة ووجل! أين ما عهده حميد من بشاشة وترحاب؟ ولكن اللقاء الشاحب لايفتر من عزيمة حميد،فها هي ذي كلماته تتسابق مستنجدة مستعطفة!)[١](وتصرم شهر وعاد حميد يذكر حاجته في ذلة الواله، وضراعة الأسير، ولكن العم لايحير جواباً، بل ينيب عنه في الجواب دموعاً حراراً تغمر وجهه وتفهق بها لحيته)[٢]، وأخيراً أتاه جواب عمه :

(- إن ما يشجيني يا حميد أن حجازاً سميكاً قد قام يذود عنك ناجية ، ويمنعك قربها طوال العمر)[٣]

(ولو هبطت صخور الوادي على رأس حميد فتناثرت ذرات في الهواء،لما أحس في نفسه من الألم ما أحسه لحظتئذ!!)[٤] وخرج دون أن ينطق بكلمة،وانتزع خطواته إلى ناحية الساقية، (تلك الساقية التي طالما استمع إلى حنينها مرجعا حنينه ، فهاهو ذا الآن يصغي إلى أنينها مازجاً به أنينه !)[٥]، وتسعى إليه أمه لتخبره بما سمعت: (لقد جاء مالك الضيعة،فتى الحضر الشاب الثري السري "غالب" ومن له ولأبائه من الأيادي الجسام على عمه وعلى عشيرته،ومن الأنعم ما تنوء به أعناقهم،وما يوقر ظهروهم، جاء خاطباً ناجية، وبرغم وجاهة العذر الذي تذرع به العم، وانتحاله كل الأسباب لإرجاع الخطيب الجديد عن موقفه، فإنه لم يتراجع، فهو قد رأى ناجية في احدى زياراته للضيعة، وقد علقها قلبه، فلا يهدأ له مضجع، ولا يستقر على مهاد، وقد تهدد العم - اذا ما أصر على الرفض - أن يذيق العشيرة ذل التشرد، وأن يجليها عن مزارعه لينالها الكرب والضيق، وتعضها الفاقة، ويؤودها الحرمان ،أو يزوجه ناجية ، فيضمن الرغد والميسرة.)[٦] لقد كانت الأم تتحدث إلى حميد بينما ، كان ينكث بشفرته المرهفة في الأرض التي بين قدميه. ولقد وخز حميد نفسه بالسكين وهو

---

(١) انظر مجموعة "أنات الساقية" ص ١٠

(٢) المصدر السابق، ص ١١

(٣) المصدر السابق ،الصفحة نفسها

(٤) انظر مجموعة "أنات الساقية" ص ١١

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢

(٦) المصدر السابق . الصفحة نفسها

لايدري وخزاً متواصلاً انبثق له الدم متفجراً من عروقه في غزارة وتدفق،ومن ثم سقط حميد سقطة المذبوح ،وتعالى صراخ أمه الولهى :

– وا ولداه .. وا ثكلاه .. وا ذلاه ..)(١)

وانتهى أمر حميد إلى أن يقضي بقية أيامه (في مصح الأمراض العقلية، شيخا أشيب، هدمته السنون، وقوست ظهره الأيام، أما سلوانه الوحيد بين زملائه المساكين فهو أن يصفر صفيراً خافتاً متقطعاً مقلداً فيه أنات الساقية) !!(٢)

إن قصة ابن العم الذي أحب ابنة عمه، ثم حيل بينه وبين تحقيق أمله في الاقتران بها، ليست بالقصة الغريبة عن الواقع العربي،وكأن الكاتب إنما (يستوحي قصص المحبين من تراثنا الشعري البعيد في الشعر الجاهلي، حيث عنترة وحبيبته وعمه مالك، ومشكلة عنترة الطبقية تلك التي ترجع إلى سواد لونه، وعبوديته ،وعجزه عن منافسة الأحرار في الإصهار والحب. وفي تراثنا الشعري في العصر الأموي حيث قصص الحب العذري لدى قيس وليلى ، وقيس ولبنى، وكثير عزة، وجميل وبثينة ، ممن اقترن حبهم بالحرمان واللوعة والعذاب والعفة)(٣) .

والحقيقة أن أول ما يلفت الانتباه في قصة "أنات الساقية" تلك الحيرة التي يشعر بها القاريء بعد انتهاء القصة،فهل الفكرة هنا عبارة عن صورة واقعية تتمثل مشكلة من المشكلات الاجتماعية بحثاً لها عن حل، أم أن القاريء لهذا العمل سيجد نفسه أمام تجربة عاطفية أول ما يلقاه منها تلك الروح الرومانسية الحالمة في عالم الحب المعذب، والحرمان من تحقيق الأمل ؟؟.

ولعل نظرة متأنية لهذا العمل ستقف بالقاريء على تنازع الاتجاهين الواقعي والرومانسي ،في هذه القصة بل في المجموعة كلها، ومع هذا التنازع أصبحت القصة لدى حسن القرشي واقعية الموقف، رومانسية القالب والاسلوب،بمعنى أن القاريء لقصة "أنات الساقية" سيجدها وقد اتخذت

---

(١) انظر مجموعة "أنات الساقية" ص ١٣

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) يوسف حسن نوفل. أدباء من السعودية ، ص ٦٥ .

من الواقع موقفاً، بطرحها لإحدى الصور الاجتماعية الواقعة في البيئة السعودية بل العربية عموماً، طرحاً ينم عن الرفض والاستهجان لهذه الصورة وأمثالها من الصور المتأصلة أحياناً، والمفروضة أحيانا أُخرى على الواقع البيئي في المجتمع السعودي، خاصة فيما يتعلق منها بشئون الزواج والمصاهرة.

فهذا حميد بطل "أنات الساقية" متعلق بابنة عمه أشد التعلق، يستدني الأيام ويتعجلها ليأتي اليوم الذي يجمعه بها، إلا أن هذا اليوم لم تبزغ شمسه، فقد تحطمت رغبة حميد وعمه أمام قوة الدفع الإجتماعي والمادي، فقد جاء من هو أكثر غنى ووجاهة منهما، ليجبر أباها على مصاهرته والزواج من ناجية عنوة،وإلا فسيلحق العار والدمار بوالدها وبالعشيرة كلها، لما له عليهم من أياد وحقوق طوقت أعناقهم وسلبتهم الحرية، فلم يعد هناك مجال للاختيار .

فالقصة تكشف جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية، وما قد يوقعه الإقطاعيون، وأصحاب المزارع والملك ،على من تحت أيديهم من قرويين بسطاء، من ممارسات لا إنسانية ،وضغوط اجتماعية ومادية، مستغلين في ذلك ما لهم من نفوذ وسلطان،لايستطيع القروي أن يرفع رأسه أمامهما،مع كل ما يعانيه هؤلاء البؤساء من سلب لحرياتهم وكرامتهم ،وحتى لأحلامهم وعواطفهم كما حدث لحميد.

أما الرومانسية ،فقد اتخذ منها الكاتب وسيلة للتناول وأداة للطرح الأدبي ،حتى أن القارىء ليجد القرشي في هذه التجربة، وهو لايستطيع التخلي عن (عواطفه وصوره وألوانه التي رأيناها متألقة في شعره الرومانسي) (١)

(ولقد تعدى الإحساس الرومانسي الإطار اللغوي الشاعري والزخرفة اللفظية، بل الإيغال في التعبير التقليدي، والألفاظ القديمة من مثل: تصرم، وجلمد، وتفهق ،وأشجاه فأصماه،ولأواء ،تعدى ذلك كله إلى السقوط في بحر الغرام الرومانسي الذي يغرق فيه الرومانسيون دائماً،وهو المبني دائماً على حب مفرط وفراق حتمي قهري، وعجز عن المواجهة والتصدي، أي

---

(١) منصور ابراهيم الحازمي، فن ا لقصة في الأدب السعودي الحديث ، ص١٠٣

الاستسلام القدري، والولع بالطبيعة وجمالها وأزاهيرها، والأحلام والآمال ،والصباح الندي ،ومباسم الورد، وهلع الأم ويأس المحب .)[١] فقد استهل القرشي قصته بهذا المطلع الذي يحمل الكثير من الملامح الرومانسية،من حرص على اللغة الشعرية، وولع بمظاهر الطبيعة، ومزج هذه المظاهر بمشاعر البطل وأحاسيسه ، يقول :

(كان حميد جالساً قرب الساقية . ولو راح شاعر موهوب يسكب على الورق رائعة من خرائد الشعر تزري بعقود الجمان، ويتغنى بسحرها الزمان، لما استطاع أن يصور مرح الربيع كما هو ثائر معربد في إحساس حميد وتوهج نشاطه وبشره)[٢] وقد أفاض الكاتب في تصويره للمواقف الدامعة الموغلة في الحزن والأسى كما هي عادة الرومانسيين (وتصرم شهر وعاد حميد يذكر حاجته في ذلة الواله وضراعة الأسير، ولكن العم لايحير جواباً بل ينيب عنه في الجواب دموعاً حراراً تغمر وجهه وتفهق بها لحيته .

- آه ! ما يؤسيك يا عماه ؟

- إن ما يشجيني يا حميد أن حجازاً سميكاً قد قام يذود عنك ناجية ، ويمنعك قربها طوال العمر .

ولو هبطت صخور الوادي على رأس حميد فتناثرت ذرات في الهواء لما أحس في نفسه من الألم ما أحسه لحظتئذ!!)[٣]كما أنه اتخذ من الطبيعة مهربا له من الخيبة وضياع الأمل ،ومرآة تعكس أحزانه وأنينه (فوقف ينتزع الخطو انتزاعاً،آماً ناحية الساقية! تلك الساقية التي طالما استمع إلى حنينها مرجعاً حنينه،فها هو الآن يصغي إلى أنينها مازجا به أنينه)[٤] وأخيرا وقع حميد صريعا ودماؤه تتفجر حين وخز نفسه بالسكين دون أن يشعر،وصراخ أمه يملأ الفضاء، وانتهى الأمر به إلى مصحة للأمراض العقلية وقد (هدمته السنون وقوست ظهره الأيام، أما سلوانه الوحيد بين زملائه المساكين فهو أن يصفر صفيرا خافتا متقطعا مقلدا فيه أنات الساقية)[٥].

---

(١) يوسف حسن نوفل ، أدباء من السعودية، ص ٦٥

(٢) مجموعة "أنات الساقية" ، ص ٩

(٣) المصدر السابق ، ص ١١

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢

(٥) المصدر السابق . ص ١٣

ولكن يبدو أن الشاعر الغنائي قد جنى على الكاتب القصصي كما يرى الدكتور منصور الحازمي الذي قال : (لم يستطع القرشي أن يتخلى عن عواطفه وصوره وألوانه التي رأيناها متألقة في شعره الرومانسي... وأغلب الظن أن كاتب "أنات الساقية" كان لايزال في ذلك الوقت مشدوداً إلى فنه السابق في مجال الشعر الرومانسي، وأن اتجاهه إلى القصة لم يتأصل أو يتبلور، كما تأصلت وتبلورت موهبته الشعرية. فهي تظهر باديء ذي بدء في الأسماء التي انتقاها بعناية لأقاصيصه وما بثه في تضاعيفها من صور شعرية خلابة. فهذه "أنات الساقية" وذلك "غروب أمل " وهذا "حب بلا أمل" وتلك "رسالة غرام" وهكذا .)(١)

وفي قصة "غروب أمل " تقف "صالحة" أمام المرآة ونظراتها ملأى بالقلق والحيرة، فقد أنبأتها مرآتها بما لم تكن تعلمه .. أنبأتها بأن شبابها المتفجر ضاع، ولم يبق منه سوى ظلال شمس مالت نحو المغيب، وأن جمالها الدافق (قد أصبح صبابة كأس كانت يوماً مليئة مترعة)(٢) إنها في الخامسة والثلاثين من عمرها، ومعنى هذا أنها على شفا حفرة من (اليأس الأنثوي المرير)(٣) المنذر بخريف العمر .

ولا تزال صالحة في موقفها أمام المرآة حين سافرت بذاكرتها إلى الماضي البعيد قبل عشرة أعوام ،حين كانت زهرة نضرة، تتسابق العائلات لخطبتها،والحظوة بجمالها، لكن دون جدوى فقد أصر والدها أن يبقيها .. يبقيها له وحده، فهي ابنته الوحيدة، والقائمة بخدمته في شيخوخته، والمؤنسة له في وحشته، ولن يحتمل العيش بدونها. وبقيت صالحة رهينة في بيت أبيها، ارضاء له، وتحقيقاً لرغبته، وعيناها تبصران ربيع العمر، يمر من أمامها مرور السحاب، ويسلمها ليد العنوسة التي لاترحم . وأتى اليوم الذي توفي فيه والدها، تاركاً إياها ووالدتها الضريرة،تعصف بهما رياح الوحدة والضعف ... وعادت صالحة من رحلة التذكر المؤلمة،والدموع تبلل وجهها، عاتبة على المرآة، أن عادت بها إلى ماضيها الأسود، وأن ذكرتها بقسوة والدها وأنانيته، وإيثاره لنفسه . إلا أن أملاً قد لمع في ذاكرتها ..

---

(١) انظر "فن القصة في الأدب السعودي الحديث" ص ١٠٣

(٢) مجموعة "أنات الساقية" ، ص ٢٩

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

وخاطراً حبيباً قد تراءى لعينيها، إنه "عدنان" ابن عمها الذي أحبها كثيراً، وكثيراً ما تردد على والدها خاطباً إياها في شجاعة وإصرار، بالرغم مما كان يلاقيه من مجابهة أبيها له بالرفض في عنف وشدة.. إنه بلا شك لازال على العهد.. ولكن أين هو الآن ؟؟ إنه لم يعد يسأل عنها، ولم يجدد خطبته لها رغم مرور عام كامل على وفاة أبيها.. ترى ما السبب ؟؟ ربما اعتقد بأنها لازالت (حريصة على ذكرى أبيها، وعلى إرضاء رغبته، حتى بعد مماته محافظة على أن تظل روحه قريرة هانئة في عالمها)(١) .. لم تطل الحديث مع نفسها، بل قامت من توها،وبكل جرأة وشجاعة وتناولت ورقة وقلما لتخط لعدنان هذه الكلمات :

(عزيزي عدنان

لا تدهش إذا أتتك رسالتي هذه ،فإنها همسة حيرى أفقدها الدهر نصيرها وأضاعت الأيام أحلامها!)(٢)

إلى أن قالت :

(لقد طالما ذكرت لأبي أنك ستنتظرني مهما طال بك المطال .. وها قد تحقق أملك أخيرا !)(٣)

وفي الوقت الذي وصلت فيه الرسالة إلى عدنان، كانت صالحة تستعد لاستقباله (وكانت المرآة تنبئها بتباشير جديدة، لقد أبرزت لها جمالها في حلة من السحر والشفافية، وأرتها أن الأعوام قد عادت بها يوم كانت تتخطر في ربيعها العشرين)(٤)لكن عدنان لم يأت !! بل بعث إليها برسالة يخبرها فيها أن نداءها قد جاء متأخرا جدا، لأنه تقدم لطلب فتاة أخرى عرفها إبان دراسته في مصر . وقد وافق أهلها على طلبه، وهم العارفون بأنها سترحل عنهم لتعيش معه أينما يذهب .. وختم الرسالة بقوله :

(إنه لاذنب لك يا عزيزتي في ذلك ،ولكنه ذنب الجهل والأنانية المقيتة. وعلى أية حال فإنني لازلت لك النصير المخلص)(٥)

---

(١) مجموعة "أنات الساقية" ، ص ٣٣

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق . ص ٣٤

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

طوت صالحة الرسالة ،ووقفت تتطلع إلى المرآة من جديد،ولكنها لم تر شيئا هذه المرة!! (لقد كانت الدموع المنهمرة تحجب عنها حتى رؤية وجهها في المرآة !!)(١).

ومن خلال هذا العرض لقصة "غروب أمل" يجد القاريء نفسه أمام المرأة مرة أخرى ،ومع الصورة نفسها التي رآها من قبل في "خالتي كدرجان" صورة المرأة الضعيفة المسلوبة الإرادة أمام جبروت العادات والتقاليد ،وما قد توقعه على المرأة أحيانا من ظلم وعسف ومصادرة لحقها في أن تعيش حياتها إنساناً له الحرية والحق في أن يختار ويقرر ويرفض ،كما له الحرية في أن يحلم ويسعى لتحقيق حلمه دون أن تحول العوائق بينه وبين رغباته .

فهذه صالحة الجميلة المتعلمة، تقف مكتوفة اليدين - بدافع من حيائها وحرصها على إرضاء والدها - تتأمل شبابها وهو يحتضر في قبضة أبيها المحكمة،الذي سولت له نفسه ،أن ولايته لابنته ووصايته عليها قد أعطياه الحق في أن يرسم مصيرها وفقا لمصلحته ،التي تمليها عليه أنانيته،وإيثاره لنفسه، بحيث تصبح حياتها ظلا لحياته، ومستقبلها صدى لرغباته ومطالبه.

فالفكرة في "غروب أمل" واقعية تلمز واقع الكثير من الآباء في البيئة السعودية، بما ينم عن الرفض والمعارضة لمثل هذا الواقع المنحرف. أما الملامح الرومانسية فقد اتخذ منها الكاتب إطاراً عاماً للقصة، ومنها ذلك الحرص على التعبير الرومانسي الذي استغرقه كثيراً وسرح به في غمرة التصوير الشعري ،فصالحة تتطلع إلى المرآة ،وتطلبها الأنباء، نبأ شبابها الضائع، وجمالها المذبوح، والخريف المنتظر، وحين استيقظ الأمل في نفسها وجدت المرآة (تنبئها تباشير جديدة، وتبرز لها جمالها في حلة من السحر والشفافية،وتريها الأعوام وقد عادت بها يوم كانت تتخطر في ربيعها العشرين)(٢)وبعد غروب الأمل وقفت صالحة أمام المرآة ثانية ،وقد حالت الدموع المنهمرة بينها وبين وجهها في المرآة .

---

(١) مجموعة "أنات الساقية" ، ص ٣٤

(٢) مجموعة "أنات الساقية" ، ص ٣٤

ولا تخفى تلك العاطفة الجياشة، وذلك الحب العاثر الذي جمع صالحة بإبن عمها والتي (نظن ظناً أن صورة عنترة كانت في أعماق القرشي وهو يكتب بريشة الواقعية الرومانسية، ولاسيما ونحن نعلم أنه كان قد كتب بحثا طيبا عن عنترة)[١] إضافة إلى ذلك الحوار الرسائلي الذي بين صالحة وابن عمها ، شأنهما في ذلك شأن أغلب المحبين في القصص الرومانسي .

كما أن القصة في بنيتها اللغوية قد اعتمدت على اللغة الشعرية الوجدانية المبالغ في تشكيلها ،مما كثف الاحساس الرومانسي في القصة يتضح ذلك من مثل قوله : (يا لقسوة العنوسة بل يا لقسوة الحياة)[٢] (أيزوج ابنته الغالية صالحة، ويظل بعدها كليما كظيما يقتات الذكريات ؟)[٣] (وهكذا استشهدت أنوثة صالحة على مذبح رغبة والدها الشيخ)[٤] (ألا إنها لمظلومة بائسة ، وإنه لأناني اثر)[٥].

ومن النماذج التي مزجت بين الواقعية والرومانسية في القصة السعودية ايضا ما جاء في مجموعتي "امرأة تعبر تفكيري"[٦] و"حدث في الزمن الأخير"[٧] للقاص سليمان الحماد، وقد اكتفت الدراسة بعرض واحدة من قصص المجموعة الأولى واخرى من قصص المجموعة الثانية، لتكون مثالا لبقية الأقاصيص التي لم تخرج عن الاتجاه الذي اختطه الكاتب لنفسه، وهو الاتجاه الواقعي الرومانسي، والقصة الأولى هي قصة "امرأة تعبر تفكيري"[٨] من المجموعة التي تحمل الاسم نفسه، وهي عبارة عن رسالة بعثت بها امرأة إلى واحد من رجال الصحافة، تخبره فيها بأنهم معشر الصحفيين، أبعد ما يكونون عن هموم المرأة ومشكلاتها، في حين أنهم

---

(١) يوسف حسن نوفل، أدباء من السعودية، ص ٦٥ .

(٢) مجموعة "أنات الساقية" ، ص ٢٩

(٣) المصدر السابق . ص ٣٠

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٥) المصدر السابق . ص ٣١

(٦) السعودية ، ١٣٩٩هـ .

(٧) السعودية ، ١٤٠٦هـ .

(٨) مجموعة "امرأة تعبر تفكيري" ص ١٧

مشغولون بكثير من الأمور السطحية التي لا تمس الواقع ،ولاتقدم مفيداً (إنكم تتحدثون عن أشياء لاتملكون ناصية العمق الفكري في طرحها، في الوقت الذي صرفتكم عن قضايا ومشكلات هي من الخطورة والأهمية بمكان ،في مجتمع يجتاز منطقة الوسط بين القديم والحديث.)[١] (إن أبي – ولست بلائمة له – لم يتعلم ،ولكنكم لستم أفضل منه على الدوام، وإذا ما تساءلت فلأنكم تشاركونه عدم الإلمام بمسئولية الأب – وبعمق المشكلة – وأبعاد الصراع الذي يجتاح نفسي الآن ،لست بلائمة لأبي، لأن أبي لم يرفض التوعية ،أنتم الذين لا تجيدون أساليب بث هذه التوعية على نحو شيق ومقنع .)[٢]

وبعد أن تنتهي من هذه المقدمة ،تبدأ في سرد تفاصيل مشكلتها التي تتلخص في أن أباها قد أجبرها على الزواج بصديقه وجاره الذي توفيت زوجته،وتركت له خمسة أطفال، دون أي مراعاة لفارق السن الكبير بينها وبين ذلك الرجل، وحين حاولت الرفض ،كان جواب أبيها (سوف تتزوجينه، لأني لن أزج بك لشباب هذه الأيام ،ألا ترين ما تعانيه ابنة عمك مع ابن العشرين، لماذا يسهر خارج البيت؟ لماذا حتى أواخر الليل، لماذا لايستطيع الإنفاق عليها؟ لماذ يعيشان في دوامة؟ هل لابد من معرفة الطريق إلى المحاكم ،حتى يكون الزواج ممتعاً؟)[٣](وهكذا تمت الصفقة أو المساومة،وتزوجته رغم إصراري، ومحاولات أخي وتوسلات أمي.)[٤]والآن ،وقد مر على زواجها خمس سنوات ،لم يكن فيها فارق السن هو المشكلة الأساسية، حتى الاختلاف في طريقة التفكير لكونها متعلمة وهو جاهل، لم يعد هو الآخر مشكلة في نظرها. (ذلك أن أشياء أكثر أهمية استجدت في حياتنا المضطربة . إذ رزقت منه خلال عشرتنا بأربعة أطفال ،وهكذا أصبح عددنا عشرة أشخاص داخل بيت واحد . ووصلت بي الآلام والمخاوف التي تنتابني على مستقبل أطفالي إلى حد لاينفع معه التراجع والتعقل، لأننا لم نعد نستطيع الصمت لساعة واحدة. وكان النوم هو فرصتنا الوحيدة للصمت بعض الوقت. وبدأ صراخنا يصم آذان الجيران، فأطفاله يعتدون

---

(١) مجموعة "امرأة تعبر تفكيري" . ص ٢٣

(٢) المصدر السابق . ص ٢٤

(٣) المصدر السابق . ص ٣٠

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

بالضرب على أطفالي ،وأنا أضرب اطفاله ،وهو ينتقم لأطفاله بضربي. وهكذا فقدنا جميعاً حكمة الصمت والتعقل ،ولم تعد لدي فرصة للتحكم في أعصابي وسلوكي معهم ، وقد أصبحت أعاني من نوبات حادة، إذ اصبت بمرض القلب. كذلك زوجي كان يعاني من السكر، وا رتفاع الضغط بشكل يهدد حياته بين لحظة وأخرى، لقد كان الموت معنا في كل لحظة شجار،وليس هذا سوى التصور او التوقع الطبيعي لمعايشة مثل هذا الجو الخانق)(١)

وأخيراً تركت بيته،وذهبت إلى أهلها غير آسفة على شيء،حاول والدها إرغامها على العودة، إلا أنها اصيبت بنوبة قلبية كادت أن تودي بحياتها، ولكن زوجها هو الذي مات ،حين سمع بمرضها،جزعاً عليها، وظناً منه بأنها قد ماتت !!

من الواضح أن القصة تهدف إلى إدانة هذا الأب الذي رأى أن واجب الصداقة والجيرة يحتم عليه تزويج ابنته التي لم تكمل العشرين من عمرها بعد، من صديقه الذي في مثل سنه، ظناً منه أن مثل هذا الزواج سيضمن لها الراحة والسعادة، (لماذا ترفضين هذا الرجل، أنت لن تستطيعي أن تتزوجي أفضل منه، وحتى لو طال بك الانتظار ،هذا الرجل لن يغضبك أبداً، لأنه صديقي على الأقل، ثم إنه كما تعلمين شهم وكريم)(٢).

كما أن القصة تدين الصحافة ورجالها على بعدهم وعدم تلمسهم القضايا والمشكلات التي تهدد المجتمع وتقوض أركانه، حيث شغلوا أنفسهم، وأهدروا طاقاتهم في أمور لا طائل من ورائها،فالوالد في هذه القصة،حين أقدم على تزويج ابنته ممن يكبرها ،فعل مافعل ، وهو يظن ابنته ستكون سعيدة،دون أن يتعمد الإساءة اليها وتدمير حياتها، وعلى الصحافة وحدها تقع مسئولية وعبء نشر الوعي، وتصحيح المفاهيم،

---

(١) مجموعة "امرأة تعبر تفكيري" . ص ٣١

(٢) المصدر السابق . ص ٢٧

واقتلاع العادات السيئة المتفشية في المجتمع من جذورها. (إن الكاتب بمفرده لايستطيع قطع دابر المشكلة ،واستئصالها من الجذور على أي حال، وليس بمقدوره أن يصنع الحلول الملائمة لكل مشكلة على الدوام، ولكنهم يستطيعون عندما يحسون بحرارة تأثيرها. ويكتبون عنها جميعاً بإحساس المؤمن بفعالية الكلمة ومقدرتها على إزالة بعض المفاهيم والعادات التي لاتقوم على قيم ومثل سامية عليا)[١].

أما الملامح الرومانسية فتظهر أول ما تظهر من خلال العنوان الذي اختاره الكاتب لقصته "امرأة تعبر تفكيري" ،ثم في القالب الذي أخرج قصته من خلاله وهو قالب الرسالة، التي كثيراً ما يعتمدها الرومانسيون في التعبير عن معاناتهم وشكواهم ،في غنائية وذاتية تستثير المشاعر وتنطق بالأسى والحزن البالغين :

(إن الأشياء أصبحت عدمية الإيحاء ،لقد تساوى عندي كل شيء. الموت والحياة، الحب والكراهية، لقد أصبحت دمية أفكاري، تلعب بي كيفما اتفق، تثيرني، وتضج بي ،تصمتني ،تضحكني وتبكيني،لاأهمية لشيء على الإطلاق .الأشياء عدمية الجدوى ممسوخة القسمات)[٢]كما أن الكاتب لم ينس الاستئناس بصحبة الطبيعة ومشاركتها للبطلة في معاناتها:

(لم أنم ليلة خروجي من بيته، ليس لأن الجو كان حاراً، ولكن لأن أفكاري ملتهبة،كان بصري طيلة الليل مشدوداً إلى فوق، فقط أنظر إلى السماء،لم أكن أبث النجوم شجوني ولا القمر شكواي،فقد تحولت في نفسي إلى أمساخ ودمى بلهاء، ولم يعد القمر أكثر من جماد أو مرآة تعكس ضوء الشمس!! ليس لأنهم جددوا تعريفه بهذا الشكل ، ولكن لأني أراه من مكاني الباعث على الاشمئزاز، إن النجوم كذلك لم تعد ذلك العقد المنثور وسلوتي القديمة ،ولكنها أحالت وجه السماء الضحوك إلى وجه مجدور مقطب الجبين)[٣]

أما القصة الثانية التي توقفت لديها الدراسة من أقاصيص سليمان

---

(١) مجموعة "امرأة تعبر تفكيري" . ص ٢٤

(٢) المصدر السابق . ص ٣٢

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها

الحماد ،فهي قصة "الآلة تسرقني ذهني"[١] من مجموعة "حدث في الزمن الأخير" . والقصة تمثل رحلة (أثناء أربع وعشرين ساعة من حياة إنسان في القرن العشرين يشهد التقدم العلمي الهائل الذي جعلنا نقضي معظم أمورنا أو حاجاتنا بواسطة الآلة)[٢].

يصحو بطل القصة على رنين الساعة متأففا من صوتها المزعج (ينهض ليغتسل : ولكن هل الصنبور آلة ؟! قالها وهو يفتح الحنفية مع نصف ابتسامة ساخرة)[٣] (اتجه نحو الثلاجة، أخرج منها بعض المعلبات والطعام المحفوظ... ما أجمل الكبدة المقلية على جمر الغضا، ومع الغذاء شريحة من لحمة طرية . أيتها الآلة : كم تتليف الأشياء داخل جوفك الثلجي !)[٤] تناول إفطاره، تذوق الشاي (ما الفائدة ،الشاي لايزال يحتفظ بحرارته، ولكن مذاقه ولونه اختلفا)[٥] خرج من المنزل ،ركب سيارته، الساعة في سيارته السابعة والنصف ،وساعة يده أقل بثلاث دقائق (لو أن الآلة لاتكذب أو تخطيء إذاً لتعطل ذهن الإنسان تماما)[٦] حرك سيارته فذهست قطة كانت نائمة على إحدى العجلات (هذه السيارة، أجل ، كم من الأرواح تزهقها)[٧]انطلق إلى عمله (ينظر إلى الإشارة : هذه الآلة تعمل بانتظام .. مال بسيارته ناحية الرصيف تلافياً لحادث اصطدام... دخان هذه الشاحنة يخنق أنفاسي، الآلة تفسد جو المدينة)[٨]

في عمله يبشره أحد الموظفين (: لقد تم التوصل إلى اختراع جهاز يعمل على الطاقة الشمسية ، ويستخدم للأ ......

---

(١) انظر مجموعة "حدث في الزمن الأخير" ص ٤٩ . وقد شارك الكاتب بقصة "الآلة تسرقني ذهني" في المهرجان الرابع للشباب العربي الذي أقيم في المغرب عام ١٩٧٩م أي قبل صدور المجموعة .

(٢) يوسف حسن نوفل ، أدباء من السعودية ، ص ٥٣

(٣) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" ص ٤٩

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٠

(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥١

(٧) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٨) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

- لاتكمل أرجوك
- لماذا ؟
- أشياء كهذه لا تهمني !
- ولكنها تهم الجميع ، تهم جميع البشر بالتأكيد .
- ليس بالضرورة ، وإذا كان كذلك فلست مع الأكثر ، أنا أكره الآلة .)[١]

(- إن معالي الكمبيوتر يعطل ممارسة الذهن الإنساني لمقدرته الحسابية والرياضية
- معالي !! قالها بتعجب ثم أردف :
لكن هذا في خدمة الإنسان .
- الخادم لايسرق ذهن سيده. حتى مخترع الكمبيوتر أصبح يخاف على مستقبله من هذه الآلة .)[٢]

(الآلة تأمر بنهاية الدوام .. الآلة تصنع رغيفي.. الألة تمنع العامل من كسب قوته، تنشر البطالة بين مجتمع العمال ،الآلة تقبض رواتب العمال)[٣]

وحين يصل بيته (يدخل غرفة نومه، يوصل آلة التكييف بالتيار الكهربائي ويستلقي ، هذه الآلة توفر لي مقداراً مناسبا من البرودة ،لكنها تصيبني بالرشح،والروماتيزم والام المفاصل)[٤] (الآلة تسرق فراسة الإنسان وتكذب عليه ايضا)[٥].

وانتهى به الصراع مع الآلة إلى القول بأن (شللر وبتهوفن وإليوت، المتنبي والأخطل الصغير وموزار، أفضل عندي من أبي الدرة وحتى من أديسون ومخترع الصفر الرياضي)[٦]و(زمن الآلة أكثر من وضع الحواجز بين الإنسان وما يحب، أثر في عواطفه، وعلمه التباعد والجمود، حتى الجار - احيانا - لايعرف جاره زمن المادة والآلة قلل من أولئك الذين يتواصلون

---

(١) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" ص ٥٤
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٦
(٣) المصدر السابق ، ص٥٧ - ٥٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٩
(٥) المصدر السابق ، ص ٦٢ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٦٤ .

ويتراحمون، الآلة والركض في المدينة، أثر في سلوك الإنسان .)[١]حتى حلمه الجميل في أحضان الطبيعة - حيث (الوجوه المطمئنة لاتعرف فزع الحرب ولا معاناة الآلة)[٢]- استيقظ منه فزعا على رنين الساعة وهي تشير إلى الرابعة صباحاً...؟

البطل هنا يكره الآلة،لأنها سرقت ذهن الإنسان وعطلت مواهبه، وربما غيرت طباعه،كما أنها ملأت حياته بالتوتر والقلق،باعتبارهما من أبرز أمراض عصر الآلة والتقنية،ومن هنا كانت العلاقة بين الإنسان والآلة علاقة مشوبة بالكثير من الحذر والتخوف، وبهذا يكون الكاتب قد وضع يده على تلك العلاقة باعتبارها واقعاً ملموساً يشهده إنسان هذا القرن، بكل ما في هذا القرن من متغيرات منها ما هو لصالح الإنسان، ومنها ما جلب للإنسان البؤس والشقاء، فيد الحضارة التي قدمت للإنسان وسائل النقل، والحفظ والتبريد، والاتصال ، هي نفسها التي صنعت وسائل الحرب والقتل والتدمير.

والفكرة هنا إلى جانب كونها تمثل واقع إنسان القرن العشرين، وتصور تأزمه النفسي أمام الزحف الحضاري، قد اصطبغت في جوها بصبغة رومانسية ،تتمثل في موقف العداء من الآلة، والنظر اليها (على أنها تقلل من شأن الفرد)[٣] وهو موقف اتخذه الأدباء الرومانسيون لمواجهة خطر الآلة، وشيوع التقدم الصناعي ، بل إن (منهم من تخطى بمواقفه الإطار العاطفي إلى مجافاة الواقع والحزن والتشاؤم ، والأحلام ،وبرزت الذاتية ،وظهر الاعتزاز بالفرد ، والعطف على البؤساء ،والإنسان عامة)[٤] يقول البطل في "الآلة تسرقني ذهني" (العالم والمخترع والمفكر كان فردا، لكنه الآن ليس كذلك، الآلة تساهم في صنع الآلة، المصنع والمعمل والورشة والمؤسسات العلمية،احتوت الفرد. الابتكار الآلي والجماعي، حل محل الابتكار الفردي. لم يعد دافنشي ،ولا أديسون، ولا الأخوين رايت، لم يعد الخوارزمي والا الفارابي ، ولا اقليدس، ولا ابن الهيثم .) [٥]

---

(١) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" ص ٦٥

(٢) المصدر السابق . ص ٧٠

(٣) يوسف حسن نوفل . أدباء من السعودية . ص ٥١

(٤) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٥) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" ص ٦٠

كما أن الحنين إلى الماضي إنما هو حنين إلى البساطة والنقاء (ليت هذا السقف سقف خباء في ربوة ناعسة، إذن لما كان بيني وبين القمر سقفان، زمن الآلة أكثر من وضع الحواجز بين الإنسان وما يحب. أثر في عواطفه وعلمه التباعد والجمود)(١).

وقد بلغت المعاناة من متاعب الآلة بالبطل إلى الحد الذي بلغ فيه ذروة اليأس وأسلمه إلى المبالغة والتفكير في هذه المعادلة غير العادلة (شللر وبتهوفن وإليوت ، المتنبي والأخطل الصغير وموزار، أفضل عندي من أبي الذرة وحتى من أديسون ومخترع الصفر الرياضي)(٢) (لو كنت شاعراً لخدمت الذهن الإنساني ! الشاعر الحق يوفر مقداراً جيداً من الرفاه الذهني. إن المتعة الذهنية في الجماليات حقاً، وإن الشعر من أرقى الفنون الجميلة. الخيال والإيحاء ، والتأثير والإثارة والمتعة - أيضا - آه لو كنت شاعراً)(٣).

أضف إلى ذلك أن الهروب إلى عالم الأحلام كما فعل البطل ملمح آخر من الملامح الرومانسية ،وكذلك الولع بوصف الطبيعة في لغة شاعرية حالمة. لقد نام ليجد نفسه بعد ذلك (في قرية ما. تنام في حضن جبل أخضر، الماء يجري على سطح الأرض، ينساب جداول إلى مروج تحيط بالقرية من جهاتها الأربع. أعجبه غدير رقراق، الغدير صاف كعين حمامة وادعة، تحركه الرياح فيرفرف رفيف أجنحة الفراش . يقف على حافة الغدير ويسرح: هذه البحيرة ، لو كان "لامرتين" قد شرب منها لأعاد صياغة بعض جمله الشعرية .)(٤) (النجوم كعقود من لآليء منثورة ، الزهور الناعسة تلثم قطرات الندى المتساقطة)(٥)(الليل يلبس القرية وشاحاً أسوداً ، لكن القمر البلوري الشعاع، ينزع هذا الوشاح عن مفاتن الطبيعة فتبدو ساحرة)(٦).

---

(١) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" ص ٦٥
(٢) المصدر السابق . ص ٦٤
(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها .
(٤) المصدر السابق . ص ٦٨
(٥) المصدر السابق . ص ٧٣
(٦) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

وغالب حمزة أبو الفرج ، كاتب آخر من الكتاب الواقعيين الرومانسيين، وهو من المعروفين بغزارة الإنتاج،المتوجه هذه الوجهة ، ولكن الدراسة ستكتفي بعرض نموجين من أعماله وهما قصتي " موعد مع الحياة "[١] و "رسائل ملونة "[٢] فقصة "موعد مع الحياة" تحكي واقع من تغرب عن وطنه لسنوات طويلة، كان خلالها يتلقى تعليمه في الخارج، وهو الآن في طريق العودة إلى وطنه ومسقط رأسه "أبها" وكثير من الأسئلة تملأ رأسه، ترى هل سيجد قريته كما تركها؟ وأناسها البسطاء هل مازالوا على عهده بهم من الألفة والمحبة؟ أم أن السنين قد فرقت شملهم؟؟ لقد كان في غربته يقارن بين مايراه هناك ،وبين ما تركه في بلاده، وكان يخرج(من المقارنة بشيء واحد هو أن جبال بلده وأرضها ووديانها وأزهارها وسماءها وجوها، أجمل وأحلى وأنضر من أي شيء في هذه الدنيا المترامية الأطراف) [٣].وعاد إلى أبها، ليرى (مظاهر الفرحة والاستبشار بالجديد، تكاد تقفز من على صفحات هذه الوجوه السمر المعروقة، التي كدها الدهر ثم جاء عليها الزمن فأعطاها من أطايب الحياة ما هي في حاجة إليه)[٤]فهو (يؤمن بأن يد التطور استطاعت أن تغرس في انعقول الذكية معالم حياة جديدة،يراها وكأنها تكاد تحتوي القديم بجميع مظاهره، وإن لم تستطع أن تقضي على بعض تقاليده الطيبة .)[٥](قد يكذب عندما يقول بأن الحياة في بلده لاتزال على ما كانت عليه، فقد شاب أجواءها أشياء جديدة، وبدت مع التطور فازداد تكالب الناس على المادة ،وانفرط عقد الأسرة نتيجة إحساسات بعضهم المرهفة تجاه هذه المادة،وإلا ماذا يقول عن تلك الأسرة التي عاشت سنواتها الطويلة في وفاق ،حتى إذا ما مر الطريق الاسفلتي بالارض الكبيرة التي يملكونها أصاب بعضهم السعار،نتيجة ارتفاع قيمة سعر الأرض من جهة ،ومطالب الحياة الجديدة من جهة أخرى،ووصلت حكاياهم إلى المحاكم .)[٦](وهو يأمل أن تأخذ مدينته بكل

---

(١) أنظر مجموعة "ليس الحب يكفي" .بيروت،١٤٠٢هـ - ص ٢٦٣

(٢) أنظر مجموعة "رسائل ملونة" .بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ٥

(٣) مجموعة "ليس الحب يكفي" ص ٢٦٧ .

(٤) المصدر السابق . ص ٢٦٥

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٦) المصدر السابق . ص ٢٦٨

أسباب المدنية والحضارة،دون أن تدفع ضريبة هذه المدنية أو هذا التطور،وإن دفعتها فليس على حساب تلك التقاليد التي عرفها صغيراً واستأنس بذكرها كبيرا)[١]وفي آخر القصة يمر "عبدالرحمن" - بطل القصة - بصبي يحمل نايا ويصدر عنه لحناً يذكره بلحن راعي الغنم الذي طالما سمعه قبل خمس وعشرين سنة، حين كان طفلاً من أطفال هذه المدينة، وأخيرا عرف "عبدالرحمن" في ذلك الطفل ابن صديق قديم له، سأل الطفل عن أبيه ، فقال : (إنه هناك يعيش على تلك الربوة، في البيت القديم بعد أن ترك داره الجديدة لابنائه، فهو يحب هذا البيت، ومن كل قلبه)[٢](ومضى عبدالرحمن والصبي إلى البيت القديم في هدوء، وكأنهما يذهبان إلى موعد مع حياة جديدة .)[٣]

إن مسايرة الجديد ،والوئام مع متغيرات الحضارة، لاينفي أبداً أن يقف الإنسان أمام هذا المد الحضاري ،بشيء من التحفظ والقلق، خوفاً من أن تسطو يد الحضارة على كل شيء في حياته، حتى تلك الأشياء التي يحرص دائما على أن تبقى كما هي، دون أن تعبث بها يد التغيير، وأول هذه الأشياء ،إنسانيته التي تحن دائماً إلى الفطرة والبساطة في كل شيء. وهذا الموقف من المدنية ، يعتبر واقعاً إنسانياً يحياه كل إنسان يحلم بالحرية والانطلاق بعيداً عن قيود المادة وصراعاتها، التي قد تأخذ من الإنسان أكثر مما تعطيه. وهذا هو الواقع الذي تحكيه قصة "موعد مع الحياة"، فمع أن بطل هذه القصة قد عاش طيلة خمسة وعشرين عاماً بين أوربا وأمريكا، أي في محيط يشهد كل صور التقدم الحضاري وفي كل المجالات ، ومع أنه عاد إلى قريته وهو يمتطي سيارته الفارهة إلا أنه عاد وهو يحلم بأن يجد قريته كما تركها،وفي تلك الصورة النقية التي طالما حن إليها وهو في غربته.

هو لايمانع أن تنعم قريته بمظاهر العمران،وأن تأخذ بكل أسباب المدنية والحضارة (فهو يرغب أن يرى أرضه ومدينته، صورة رائعة من صور تلك المدن، والقرى التي رآها، ولكن بأسلوب آخر يتميز بالإيمان والقدرة على

---

(١) مجموعة "ليس الحب يكفي" . ص ٢٦٩

(٢) المصدر السابق . ص ٢٧٤

(٣) المصدر السابق . ص ٢٧٥

صنع الخير، وعمل المعروف وإسداء النصيحة .)[١]

ولعل امتزاج هذه الواقعية ببعض الملامح الرومانسية على درجة كبيرة من الوضوح، فقد اتكأ الكاتب في هذه القصة على عدد كبير من المحاور الرومانسية، استطاع من خلالها أن يبث في قصته الكثير من الأبعاد الإنسانية عميقة الأثر في نفس القاريء، ولعل أول هذه المحاور، تأكيده على الشعور بالغربة والحنين الى الماضي، ذلك الماضي المتمثل في قريته التي لم تستطع مدن العالم بكل ما فيها أن تنسيه حبها وقوة انتمائه اليها (ترى كم من هؤلاء الأطفال يعرفون المدينة "أبها" التي يعيشون على أرضها كما يعرف؟ وجاء الجواب كالعادة : هم قلة ولاشك ،لأن من يسكن على الأرض ينسى مع الزمن أن يمنح أطفاله معرفة كل شيء عن الماضي)[٢]هذا إلى جانب حرصه على عالم الفضيلة والمثال الذي كان يخشى أن تنال المدنية منه (فهو يرغب أن يرى أرضه ومدينته صورة رائعة من صور تلك المدن والقرى التي رآها ،ولكن بأسلوب آخر يتميز بالإيمان والقدرة على صنع الخير وعمل المعروف وإسداء النصيحة)[٣](وهو يأمل أن تأخذ مدينته بكل أسباب المدنية والحضارة ،دون أن تدفع ضريبة هذه المدنية أو هذا التطور وإن دفعتها فليس على حساب تلك التقاليد التي عرفها صغيراً واستأنس بذكرها كبيراً).[٤]

ومن هذه الملامح ايضاً،الولع بتصوير الطبيعة ووصفها فهو (يقارن بين أرضه وجبالها وأوديتها وأشجار الزيتون المتعالية، والزهور البرية ذات الألوان المختلفة،وبين جنوب سويسرا،حيث تقع بحيرة "كومو" على مقربة من الجبال التي امتلأت قممها بأشجار كثيرة متنوعة الأصل، والفروع، يعرف بعضها ولا يدرى عن أكثرها شيئا، وخرج من المقارنة بشيء واحد هو أن جبال بلده وأرضها ووديانها وأزهارها وسماءها وجوها، أجمل وأحلى وأنظر من أي شيء في هذه الدنيا المترامية الأطراف .)[٥] (ترى لم يذكر كل هذا

---

(١) مجموعة "ليس الحب يكفي" ص ٢٦٩

(٢) المصدر السابق . ص ٢٧٣

(٣) المصدر السابق . ص ٢٦٩

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٥) المصدر السابق . ص ٢٦٧

الآن ، وهذا الجمال الرائع يحيط به من كل جانب، يدفع في صدره أماني وآمال طالما جاشت بها نفسه)[١].

وإلى جانب الحنين إلى الماضي والارتماء في أحضان الطبيعة فإن الكاتب قد اعتمد على اللغة الشعرية في مساحة كبيرة من القصة لتسهم في تكثيف الإحساس بما يعتمل داخل نفس البطل من مشاعر الحنين والحب للوطن، فهو يفتح المذياع فيسمع أغنية أجنبية تحكي (قصة تشبه قصته، وحياة تماثل حياته،كانت كلمات الأغنية تقول :

ويعود الوافد الغريب إلى جزيرته
ليرى أنها على عهده بها خضراء جميلة
تغلف سماءها المحبة، ويقبل أقدامها الموج
والناس في الطريق لاهم لهم إلا أنهم في الطريق
.......الخ .

... وأحس بحاجة إلى أن يكتب ما تقول ، فجاءت كلماته :

ويعود الوافد الغريب إلى مدينته ..
وقد امتلأت نفسه سعادة
فالناس في مدينته على سابق عهدهم
رغم ما أحاطهم من مظاهر ألفها ولم يحبها
بسطاء يحبون أبناءهم ويعشقون حياتهم ...)[٢]

أما قصة "رسائل ملونة" من مجموعة "رسائل ملونة" فهي عبارة عن سبع رسائل، جاءت كل واحدة منها في فصل مستقل، وكأنها قصة مستقلة مع أنها جميعاً تدور حول فكرة واحدة ،ولكنها تعرضها من زوايا متعددة.

وتتلخص فكرة القصة في عرض واقع شاب سعودي،ابتعث إلى أمريكا، وهناك جمعته ظروف الدراسة بفتاة عربية من أصل مغربي، ارتبط بها عاطفياً طيلة سنواته الأربع التي قضاها في الخارج، ورغم أن هذه الفتاة قد وطنت نفسها على الزواج به والعودة معه،لكنه رفض هذا الزواج، بل لم يعدها به أصلاً، رغم حبه لها، مراعياً في ذلك بعض التقاليد البيئية التي

---

(١) مجموعة "ليس الحب يكفي" . ص ٢٦٩

(٢) المصدر السابق . ص ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢

التي لاتحبذ الزواج بأجنبية! فتركها وعاد ليتزوج بواحدة من بنات أرضه، وكانت هذه الزوجة مثالا للمرأة العاقل الصبور، رغم علمها بماضي زوجها مع تلك الأجنبية،ولكن زواجه بها لم يدم ، فقد طلقها دون ذنب على أثر بعض المشكلات التي كان أهله يختلقونها،ودون أن يحاول هو فعل شيء من أجل زوجته ، وبعد أن طلقها ما كان منه إلا أن تزوج بصديقتها المطلعة على كل أسرارها، من خلال الرسائل التي كانت الزوجة تبعث بها إليها. وقد كانت الزوجة الثانية على درجة كبيرة من الرعونة والطيش وحب الذات، والأهم من ذلك - في نظره - انها كانت تشبه إلى حد كبير صديقته المغربية، والغريب أن هذه الزوجة أيضا لم تستطع أن تواصل الحياة معه، إذ سرعان ما طلبت منه الطلاق !!

هذه هي القصة باختصار، يستطيع القاريء استنباطها من خلال الرسائل السبع. فالرسالة الأولى أتته من الفتاة المغربية تخبره فيها أنها غير نادمة على فشل علاقتها به، لأنها عرفت فيه نوعاً غريباً من الرجال، حين عجز عن اتخاذ قراره بنفسه دون أن يقع اسيراً لبعض العادات والتقاليد، التي قد لايكون للتمسك بها في كثير من الأحيان أي مبرر، كما أخبرته بأنها مشفقة على الزوجة التي اقترنت به :

(لاتظنني أستجديك الحب.. وإنما الذي أردت أن أقوله لك فقط، بأنك لو عدت إلي وطلبت يدي هذه المرة لرفضتك، لأنك إنسان ضعيف الشخصية رغم جميع مقومات شخصيتك .)[١] (صدقني أنا لا أغار عليك منها،هي التي ربما كانت إلى جانبك،لا لأني لا أغار ،وإنما لأنها هي الأخرى مظلومة معك مثلي)[٢]

أما الرسالة الثانية فقد كانت من زوجته الأولى إلى صديقتها تبثها فيها ذلك الألم والصراع الذي تعيشه مع هذا الرجل الذي يعيش معها تحت سقف واحد، بينما عواطفه ومشاعره مع امرأة أخرى :(كنت أحب أن أكون زوجة وحبيبة، لكنني لم أستطع أن استل من قلبه صورة الأخرى .)[٣]

---

(١) مجموعة "رسائل ملونة" . ص ١١

(٢) المصدر السابق . ص ٧

(٣) المصدر السابق . ص ١٨

والرسالة الثالثة كانت من الزوجة الثانية إلى الزوجة الأولى تخبرها فيها أنها من معدن آخر يختلف عن معدنها،لذا نجحت في بناء حياتها مع هذا الرجل بينما فشلت هي : (كان يأمل أن يكون هناك حديث مشترك بينك وبينه، لكنك كنت تصرين على الصمت . أتدرين يا صديقتي ماذا يسميك ، لاتضحكي ، فقد قال بأنه يلقبك بالخرساء الناطقة، ولكم حاولت أن أفهمه أنك غير ذلك كليا .)[١](كنت أنثى ياصديقتي، ولهذا أحب في زوجي هذه الصفة بمقدار ما افتقدها فيك .)[٢] وأخيراً تفاجئها بأن زوجها لم يكن بالصورة التي كانت هي تراه عليها: (ولكم دهشت عندما رأيت في صندوق الزينة الذي يحتفظ به في خزانته الحديدية أوراقاً عديدة دفع بها إلى لأقرأها . كان من ضمن الأوراق صور كتبك التي كنت تبعثين بها إلي ،وعندما كبرت دهشتي وظهرت على وجهي قال: كانت لي من الوسائل ما أستطيع به أن أحصي عليها أنفاسها دون أن تدري .لقد عاملتها بنفس الأسلوب فقد كنت أقرأ ما تكتب وأحاول أن أبدو كالزوج.. آخر من يعرف لكني كنت غير ذلك !)[٣].

والرسالة الرابعة كانت من خادمته ومربيته، العارفة بكل أسراره، تخبره فيها أنها تتألم دائما من أجله، فقد تألمت لأنه لم يستطع الزواج بمن أحب، وتألمت حين طلق زوجته الأولى دون ذنب، (واليوم وأنت تعيش حياتك أرجو ومن كل قلبي أن لاتسيء الثانية لصديقتها، فلقد رأيتها تكتب الرسائل وتعنونها باسم الأولى، وفي هذا العمل الطائش ما يسيء إلى سمعتك وتقاليد الأسرة)[٤]

أما الرسالة الخامسة فهي من صديقته المغربية تخبره أنها قد تزوجت من أول طارق ، إلا أن هذا الزواج لم يدم، فقد تركت بيت الزوجية ، ولم تعد تفكر في الزواج مرة أخرى (خوفاً من أن أكون مثلك ، فأنت حسبما عرفت تعيش مع زوجتك الثانية بعد أن طلقت الأولى)[٥] ، لذا شغلت

---

(١) مجموعة "رسائل ملونة" . ص ٢٢

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٣) المصدر السابق . ص ٢٣

(٤) المصدر السابق . ص ٢٩

(٥) المصدر السابق . ص ٣٣

نفسها بأعمال التجارة والصحافة وأخيراً تفرغت لخدمة والدتها واليوم والدتها تنوي أداء فريضة الحج وهي بحاجة إلى من يقدم لهما يد العون خلال إقامتهما في الحجاز .وبعد أدائهما لفريضة الحج وعودتهما إلى المغرب ، ثنت برسالة أخرى هي الرسالة السادسة في القصة .شكرته فيها على كرم الضيافة ،وأثنت على مارأته في بلده من نمو حضاري ، كما ناقشت معه أوضاع المرأة في بلده وأنها معجبة أشد الإعجاب بزوجته الأولى وبكفاحها، حيث أتمت تعليمها بعد أن تركته حتى أصبحت طبيبة ناجحة (لكم أحسست بأنني بالنسبة لها مجرد أنثى مراهقة ،لأنني لم استمر في تجارة أبي، بل تركتها بعد وفاته خوفاً من إخفاقي وعدم قدرتي على السير بها في الطريق الصحيح)(١)

وتأتي الرسالة السابعة من زوجته الثانية لتقول له :(أنت أناني يا عزيزي .. في الوقت الذي كنت تتهمني بأنني أنا الأنانية. لقد فاق حبك لنفسك حبي لنفسي، وكنت أشكو كثيراً من هذه الناحية،كثيراً ما يقال بأن الإنسان دائما يجني ثمار ما زرعه.. وأنا وإن لم أزرع شراً .. لكن رضائي بأن أكون زوجة لك في أعقاب طلاقك صديقتي كان جريمة . جريمة كبرى حاولت أن أنساها في غمرة معاناتي من الحياة بلا جدوى .. وساهمت أنت في تكبير الصورة أمام عيني. فأنت إنسان غير عادي.. شيطان في ملامح ملاك، تظهر غير ما تبطن، وتصنع في الخفاء أشياء كثيرة)(٢) (لكم حاولت أن أقرأ كتب علم النفس لأتعرف على شخصية الرجل فيك بلا جدوى لأن ما رأيته منك يفوق كل ما قرأته في هذه الكتب!!)(٣) وأخيراً (سأسدل الستار على حياتي معك وعلى حياة الأخريات، وأدعك تنعم بقراءة ما يكتب إليك .. فهذا في رأيي سيكفيك يا صديقي العزيز الذي استطعت أن أنجو من براثن مصيدته التي كان ينصبها لاحتواء الأنثى ثم يترك جميع أبوابها مفتوحة لتخرج منها بأمر منه .)(٤)

---

(١) مجموعة "رسائل ملونة" . ص ٣٨

(٢) المصدر السابق . ص ٤٤

(٣) المصدر السابق . ص ٤٧

(٤) المصدر السابق . ص ٤٨

من خلال هذا العرض يتضح أن قصة "رسائل ملونة" بفصولها السبعة، إنما كانت تناقش قضية من القضايا الحساسة جداً والهامة في الوقت نفسه ،لأنها تمس العلاقة الزوجية التي تشكل الأساس في بناء الأسرة، إنها علاقة الرجل بالمرأة أو بالأصح علاقة الزوج بزوجته، كيف يختارها، كيف يجب أن يعاملها، كيف يجب أن تعامله ، كيف يتعامل الاثنان مع أي مشكلة قد تعترض حياتهما الزوجية .

فالقصة بكل تفاصيلها تدين رجلاً من أولئك الرجال الذين وقعوا ضحية لبعض العادات والتقاليد التي تنظر إلى علاقة الرجل بالمرأة بكثير من الحذر، وتضع القيود والعراقيل في طريق هذه العلاقة دون مبرر، خاصة وأن هذه العلاقة قد لاتتنافى مع مبادىء الدين، أو ما يحتمه العرف من حدود اجتماعية أو أخلاقيات حميدة يجب أن تحترم . فبطل هذه القصة بالرغم مما وصل إليه من درجات العلم العالية، والنضج الكفيلين بأن يكون الإنسان على قدر وافر من الثقة والقدرة على اتخاذ القرارات، فإنه لم يستطع الفكاك من أسر تلك العادات والتقاليد التي لاتحبذ أن يرتبط الابن بامرأة اجنبية، مما أدى إلى أن تصبح حياته سلسلة متواصلة من الأخطاء، فقد أخطأ أولاً إذ استمر في علاقته بتلك الأجنبية وهو العارف سلفاً بأنه لن يتزوج بها. كما لم يوفق في تخليه عنها رغم حبه لها واستعدادها للعودة معه والتكيف مع الأوضاع السائدة في مجتمعه وما يجب أن تكون عليه المرأة هنا من أوضاع تختلف عما كانت عليه في أمريكا أو حتى في بلدها المغرب ، علماً بأن هذه الفتاة مسلمة وعربية مثله. وفشل مرة اخرى مع زوجته الأولى التي سرعان ما طلقها لأسباب واهية ، ثم تزوج بصديقتها التي ما لبث وأن طلقها هي الأخرى .

هذا هو الواقع الذي أرادت القصة تصويره ، أما الملامح الرومانسية التي مازجت هذه الواقعية، فأول مظاهرها يتبدى من خلال القالب الرسائلي الذي اختاره الكاتب لقصته، إلى جانب أن قضية العلاقة بين الرجل والمرأة التي دارت حولها هذه القصة تعد من أبرز القضايا التي شغل بها الكتاب الرومانسيون. إضافة إلى الكثير من الصور الرومانسية التي استأنس بها الكاتب وبالغ في اختيارها أثناء عرضه للقصة ومنها على سبيل المثال :
(لقد أريتني صورتها.. كانت أشبه بالشفق الذي يختار الشروق بدلاً من

الغروب ، بيضاء مشربة بحمرة فيها أسرار الجبال والمياه والمحيطات .)(١)

(وعدت وفي عينيك لهفة الذي أحب، وفي خيالك ذكريات للماضي لم تذهب، وإنما ظلت تعيش في سويداء قلبك، لا وجلة أو خائفة حتى تزوجت)(٢)

ويتضح من خلال قراءة النماذج القصصية السابقة أن القصة القصيرة، لم تنفك في مرحلتها الثانية تماماً عما كانت عليه في أدوارها الأولى ، من نزوع إلى الوعظ والإرشاد في نبرة خطابية تعليمية ،وإن حاولت أن تتلبس بثوب جديد من التعبير الرومانسي ...

---

(١) مجموعة "رسائل ملونة" ص ٢٧

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها .

الفصـــــــــل الثالث

الواقعية في صورها الناضجة

(لقد كان ذلك التطور السريع الذي شهدته مجالات علم النفس، والاجتماع،وتقدم طرق الدراسة في هذه المجالات، دافعاً لقولبة الفن القصصي في قوالب مستحدثة ،تركز بالدرجة الأولى على باطن الشخصية القصصية،وبدأ القاصون في الانتقال بالحدث القصصي والعقدة إلى عالم النفس البشرية الباطني)[١] ولعل هذا نتيجة طبيعية (لواقع الاهتراء والتمزق والألم،التي عاشها العالم، وما نجم من حالات الصخب والعنف ،والقلق، التي تبعت ظروف الحربين العالميتين،الأولى والثانية،وماحدث في العالم من التناقضات والتباين ،على المستوى الحياتي كله، فتطور الحياة المادية،والتقدم الصناعي والتكنلوجي، صحبه في كثير من بلدان العالم خوف على مستقبل الإنسان،في عالم تضيع فيه قيم ،وأصالة عظيمة صنعها الأسلاف بكثير من الأمانة، والصدق والوفاء. ومع هذا التناقض الحاد الذي مس ظروف الحياة والإنسان بصورة عامة ،ظهرت مؤشرات نفسية دقيقة توجه النفس الإنسانية إلى ضرورة الثبات،والوقوف في وجه التيارات العنيفة ،التي تحاول هدم كل القيم، وبدا أن دور الإنسان أكثر أهمية وخطورة، فظهرت محاولات علم النفس والاجتماع نتيجة لهذا كله،ومن خلال هذا التصدي ظهر فن القصة الجديد، باعتبارها مؤشراً جيداً وصحيحاً يحاول الكتاب من خلاله رصد هذه المساويء التي يحياها الإنسان ،وتحليلها، ووضع الحلول لها،سواء أكان ذلك بشكل مباشر ،أم بطريق الرمز والايحاء الفني)[٢].

وقد أسهم الجيل الجديد من كتاب القصة السعودية القصيرة في تصوير هذه الأزمة، مثلهم في ذلك مثل كتاب القصة الحديثة في كل أنحاء العالم، إلا أن رؤاهم ومواقفهم أمام هذا الواقع قد تشابهت إلى حد كبير مع رؤى ومواقف إخوانهم الكتاب العرب،على اعتبار أن جذور الأزمة في جميع الأقطار العربية تعتبر واحدة وإن اختلفت في مظاهرها ،إلى جانب (أن ثمة تواصلاً واضحاً في المناخ الثقافي العام، فالأجواء الثقافية مصادرها واحدة، والانفتاح الذي عاشته المملكة في كافة الميادين وعلى كافة الأصعدة قد أتاح

---

(١) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة . السعودية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ٩١

(٢) المرجع السابق ص ٩٤

لهؤلاء الشباب أن ينهلوا من مناهل الثقافة العصرية، وأن يشكلوا رؤيتهم متأثرين بالأوضاع السائدة في العالم العربي ، متواصلين تواصلاً حميماً مع المشكلات والظروف التي يعاني منها إخوانهم والتي تدفقت إلى رؤاهم عبر قنوات التوصيل المتعددة)[١]مما لايدع مجالاً للشك في أن لرؤية هذا الجيل من كتاب القصة القصيرة في المملكة مرجعها الواقعي،وجذورها الإنسانية المعاصرة، وأنها ليست مجرد تقليد لما هو سائد من مناخ فكري وفني بين كتاب القصة المعاصرين في العالم العربي وخارجه،كما يرى بعض النقاد أمثال الدكتورة فاطمة موسى التي أثارت في إحدى دراساتها الدهشة حول وجود مثل هذه الرؤية الكابوسية فيما أصدره الكتاب السعوديون من قصص قصيرة منذ عام ١٩٧٩م - حينما بدأت هي في متابعة الكتابات السعودية - وهالها (هذا الإنسجام أو التماثل الغريب مع الرؤية العربية ،على الرغم من كل التغيرات التي جلبتها إلى بلادهم دولارات البترول .)[٢] متناسية أن الطفرة البترولية نفسها قد تكون واحداً من أهم الأسباب وراء وجود مثل هذه الرؤية الكابوسية ،لدى كتابنا على اعتبار (أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية لها دور كبير في تشكيل مثل هذه الرؤية)[٣] ومتجاهلة لذلك (التواصل الحميم والطبيعي بين كتاب هذه المنطقة وكتاب نظرائهم واخوانهم في الوطن العربي)[٤].

فقد صدرت في عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م مجموعة "الخبز والصمت" للكاتب محمد علوان، محملة بهموم الفترة ،ومعبرة عما يعانيه الإنسان المعاصر من مشاعر القلق والخوف،والإحساس بعدم الارتياح بطريقة توحي إلى هذه المعاني إيحاء يخاطب إحساس القاريء، ويخترق ذهنه، دون حاجة إلى تلك الأساليب المباشرة التي اتبعها رواد القصة القصيرة في فترة الثمانينات الهجرية وما قبلها،(حتى لقد أصبح في مكنة الناقد، القول بأن

---

(١) محمد صالح الشنطي.القصة القصيرة المعاصرة في المملكةالعربية السعودية.ص٣٢٧

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٨

وقد أشارت الدكتورة فاطمة موسى إلى ذلك في بحث لها ألقي في الاجتماع السنوي للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط. بجامعة كامبردج عام١٩٨٣م . وترجمه عن الانجليزية سامي حشبة ونشر في مجلة ابداع في العدد الخاص بالقصة العربية أغسطس عام ١٩٨٤م .

(٣) محمد صالح الشنطي.القصة القصيرة المعاصرةفي المملكة العربيةالسعودية.ص ٣٢٨

(٤) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

ثلاثين سنة أو أكثر من النمطية والتقليدية التي غلفت فن القصة السعودى،قد جاء أخيراً من يحركها بثقة ،ويخرجها إلى مجال أوسع نطاقاً ،فيوسع دائرة المقبلين عليها - عبر جدة التناول والطرح - ويسمح من ثم ،بالمجاهرة بقصة سعودية تنتمي إلى شكل وروح العصر الحالي،بتحررها من الأسلوب التقليدي القديم، مع اتخاذها سمة القصة القصيرة، بمفهومها المعاصر.)(١).

ففي القصة الأولى من مجموعة "الخبز والصمت" يطرح الكاتب فكرة الموت قضية طالما شغلت الكتاب قبله وبعده، على اعتبار أن الموت هو الحقيقة الصماء الوحيدة التي تقف في طريق الإنسان، لتشعره بالعجز التام عن تحقيق حلم الخلود الذي طالما راوده.

فقصة "الطيور الزرقاء"(٢) تحكي مأساة أب يرى يد الموت تمتد إلى ابنته ووحيدته "زينة" التي لاطعم للحياة بدونها ، يرى ابنته وهي تصارع شبح الموت، تريد البقاء، يحاول هو بكل ما أوتي من قوة أن يحميها من سطوة الفناء (أيها الموت.. أناديك لا لتقترب ، إصغ لي .. ما نفعها الحياة بدون من نحب، مانفعها حين نطرق الدروب بدونهم.. ما نفعها الحياة؟)(٣)(يا موت يا طيور زرقاء .. فلتحترق في سمائها الاجنحة ،يا مناقير تكدست في الحقل ألف ألف سنبله، لكن قمحتي الوحيدة أنا زرعتها،أنا سقيتها، أريدها لي، تمنحني العزاء، يا طيور زرقاء أنا البديل، مساحة كبيرة تموت أنت تسعين مرة قبل أن تصل، ودع حبيبتي الوحيدة تقطف من ركنها الشرقي زهرة شذية، ياموت ها أنا.ها أنا)(٤) أهالي القرية جميعا وقفوا في محاولة للمساعدة (يمنعهم من الدخول بالقوة، بالحيلة يقولون له: زينة زهرتناجميعا دعنا نراها ،لن تموت يا وحيدها العنيد)(٥) وبينما هو (ساهر يرقب العيون الذابلة، يناله التعب، عصاته الغليظة في يده، عينه في يده ،لكنه جواد، والشوط يقترب ،لابد أن حدوة خضراء

---

(١) نبيه شعار،مجلة قافلة الزيت العدد الأول،المجلد الثامن والعشرون.محرم ١٤٠٠هـ.

(٢) أنظر مجموعة "الخبز والصمت" ،مصر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .ص ١٧

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق ص ١٩

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

أكلت صدرها الرمال . الجواد واقف والشوط يقترب، عينه تنام. ومن كهوف الليل تجيء من وكرها الطيور لتحمل الوحيدة الحزينة،ترفعها مغمضة العينين، تغيب،وفي يده عصا غليظة وقلب. ويستفيق فجأة. الجواد يعاود الركض. لكن أين الفارس الحبيب !؟)[١] لقد ماتت زينة!! (ويصرخ العجوز: ابنتي، الكلب يبتلع لسانه.. يزدرد عواءه، والأعين الحزينة، الحجارة ملعب الصغار، الزهرة الوحيدة تموت في باطن التراب، ويصرخ العجوز صرخة طويلة جذورها في الأرض ،ويرفع العيون فوق ..فوق ، يصيح فينبت السحاب وينزل المطر.) [٢].

فلعل الكاتب هنا أراد من موت زينة أن يكون رمزا لموت كل الأشياء الجميلة كالأمل، والأحلام ،والخير، والعدل، والحرية، والطمأنينة،والحب .. وغيرها من المعاني التي تملأ حياة الإنسان بالدفء والسعادة، ومع ذلك هو لايملك ضمانا لبقاء هذه المعاني واستمرارها دون أن يحرم منها في يوم من الأيام، ولعل هذا هو منبع القلق الدائم الذي يعيشه الإنسان المعاصر،فـ "زينة" هنا وحيدة أبيها، وفي قريتها (يحبها الجميع لأن عينيها سوداوان ووجهها مضيء... لأن صوتها ينثر الطيوب)[٣] لقد كانت زينة رمزا للحياة والأمل والخصوبة، وموتها يعني موتاً لكل هذه الأشياء (يا لنمأساة،ليس في القرية القديمة امرأة ،إمرأة واحدة تحمل البذور)[٤] ومن هنا يأتي تركيز الكاتب الشديد على هذه المأساة ،وكما يقول الأستاذ يحي حقي: (لا أعرف وصفاً لمأساة الأب الذي يفقد ابنته الوحيدة ، أقسى ولا أفجع من هذه الصورة التي نقرأها في قصة "الطيور الزرقاء ..)[٥]

وفي قصة "بائع العرقسوس"[٦] يتوقف الكاتب أمام أحد النماذج الإنسانية التي قد لايتنبه لوجودها كثير من الناس ،فبائع العرقسوس صورة لكثير من الاشخاص الذين أرهقهم البحث عن لقمة العيش، في زمن

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت" اص ١٩

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق . ص ١٧

(٤) المصدر السابق . ص ١٨

(٥) المصدر السابق . المقدمة

(٦) انظر المصدر السابق . ص ٢٨

تعقدت فيه مصادر الرزق، وكثرت فيه متطلبات الحياة، ،فها هو يذرع الشوارع ، يتجول ببضاعته بين الطرقات ، عل الصدفة تجمعه بشخص يحيي الأمل في داخله بأن يشتري منه قليلا من العرقسوس (ولكن لا جديد، سوى الجوع، ولا من شار يسير في الشارع بلا هدف)[١]ومع هذا (اليأس لن يتطرق إلى صاجاته التي لا تكف عن الأنين الصاخب)[٢] ولكنه ينتفض حين يرى زميلاً له في المهنة ،قابعاً على قارعة أحد الشوارع يستجدي الناس، الرحمة وقد فقد القدرة على السير بعد أن أنهكته (رحلتة الطويلة التي يسقي فيها الناس عصيراً حلواً بالصاجات !!)[٣] انتفض لهذا المصير و(قرع بقوة صاجاته النحاسية وكأنه يطرد هذه النهاية السوداء التي تلاحقه)[٤]. كاد اليأس أن يقتله، ويثنيه عن رحلته ،لكن الأمل ما لبث أن انتفض في داخله ليرى أن (الرحلة هي هي .. لا تغيير ولا تبديل .. الناس في السابق يملكون الوقت . أما الآن فها هو ينوء بحمله الثقيل،عصارة الدموع والآلام ..عصارة الحياة الرتيبة. أتقتله ؟ كلا الصاجات ستكف عن الصراخ.. الوجود سينتهي في لحظة. فلماذا نستعجلها؟ قالها ومضى يصيح:

سكر .. يا عرقسوس .)[٥]

وفي قصة "الجدران الترابية"[٦] يصور الكاتب مأساة ابن المجتمع الشاب الفنان الذي (يؤمن أن الفن أقوى سلاح لنقل هذا المجتمع من الجمود إلى الحركة، من الغيبوبة إلى الوعي ، فلا يكون نصيبه إلا الصد والإعراض، ويصاب بخيبة أمل تكاد تكون قاتله.)[٧]

لقد عاد هذا الفنان من الغربة ،وكل حصيلته مجموعة من اللوحات الزيتية، التي تحمل صور قريته، وما تعانيه هذه القرية، وما تريده من أحلام المستقبل، ولكنه قوبل بالاستهزاء والسخرية ، لأنه لم يأت بجـــــديد، أو

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت . ص ٢٨

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٦) المصدر السابق . ص ٢٩

(٧) يحي حقي ، مقدمة مجموعة "الخبز والصمت" ص ١٤

بالأصح لم يأت بمفيد .فموقف الشاب الفنان هنا يشبه إلى حد كبير الموقف الذي وقفه كثير من المثقفين الذين قنعوا بأن لايكون لهم في المعركة أكثر من دور المتفرج المنهزم الذي لا يملك أكثر من أن يبدي الحزن والأسى ،ثم يحلم بالخلاص، دون أن يحاول مد يده ليشارك مشاركة فاعلة في حل الأزمة .

لقد ثار الجميع في وجهه :

(- ماذا ستقول ؟ لم نفهمك ؟ ألم تتعلم شيئا في حياتك، سوى حمل هذه الفرشاة الغبية؟ .. علمنا كيف نوقف هذه الرمال ؟ علمنا كيف نهزم المرض؟ علمنا .. كيف ؟ كيف ؟)[١] وأخيراً أحرقوا لوحاته (جاءوا باللوحات. النار تشتعل في الوجوه الصارمة، في قلبه ،في يده في أكوام الحطب أمامه ، النار تأكل رسوماته جميعها تحترق، النخلة الخضراء وتحتها طفل يبكي كانت آخر لوحة. أحس بها تصرخ. الألوان تضج بها. بلا وعي يدخل يده في النار، لينقذها .. تتحول إلى شعلة تنهش يده)[٢] لقد أكلت النيران أصابعه، وحينها قالوا له :

(- أما الآن فقد فهمناك .. أنت إنسان منهزم)[٣]

وعلى العكس من قصة "الجدران الترابية" يجد القاريء ،أن قصة "يُحكى أن" [٤]تحقق التواصل بين الوافد المثقف ، وابن الأرض الملتصق بها،المحدود المعرفة الذي شبهه الكاتب بالجمل الذي يدور معصوب العينين (جمل وراء جمل تقاطرت .. تدور معصرة .. والجمل معصوب العينين ،والقرية ملحية[*] نامت فوق الشاطيء .. رفض القمر الساري أن يوقظها ،وعيون الناس تحت قبعات من ضنى وخوص تتقي الشموس .)[٥]

عاد الغائب ووضع يده في أيديهم (عاد يقود ناقة عجيبة . ناقة بسنامين، اندهش الأطفال والنساء والرجال.. تحلقوا ..تجهموا .. معلبة في

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت" ص ٣٠

(٢) المصدر السابق . ص ٣١

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق . ص ٥١

(*) هكذا وردت . والصواب والقرية مليحة.

(٥) المصدر السابق . ص ٥٢

قريتي العواطف والأحاديث والغناء والسوالف .)[١] قال لهم (ناقة قوية وجلدها العافية، تدير المعصرة لكن بلا عصابة.. وشرطي الوحيد أن من يمتلكونها لابد قادمون .. يعرفون طبعها.. أعرفكم تماما .. جاهلون.. جاهلون.)[٢] قال له مجنون :(وأرضنا .. جمالنا الحبيبة.. رجالنا.. نبيعها؟ نبيع خيرها؟ لمن . لن نستبدل الجمال ولن تموت في عيوننا نضارة الحياة وأنت لم تعد تعرفنا . نسيت صبرنا .. جبالنا.. صحراءنا.. شطآننا.. وجئت في النهاية تبيعنا.)[٣]

ولكن العائد يرى أن (الحب لم يعد ذاك الالتصاق بالأرض والجمال والمعاصر.. الحب صار كيف تصطاد في سماء غريبة طائرين، يحملانك لتكتشف أن الأرض لاتزال تدور.. وأنت تدور معصوب العينين كالجمل.. وليس لك حتى سنام واحد.)[٤]

وأخيرا اجتمعوا وإياه واتفق الطرفان أخيرا على التعاون لحل الأزمة : (المسافر يقود ناقته .. تحلقوا .. المجنون صاد حوتا .. الأرض تنبت الطعام .. الأكف تزرع العرق .. والجمال والرجال تدور من أجل حزمة من نور .. لكن هذه المرة بلا عصابة.)[٥].

أما القصة الأساس في المجموعة وهي قصة "الخبز والصمت"[٦] فهي تصور ذلك الواقع المتأزم الذي يحياه كثير من الناس بتأثير من شعورهم بالقلق والضياع والعجز عن ممارسة الحياة بشكل طبيعي،لأسباب قد ترجع إلى الشخص نفسه، وقد تعود إلى بيئته التي نشأ فيها، وفي أحيان كثيرة قد ترجع إلى ما يعانيه إنسان القرن العشرين عموما من ضغوط نفسية عديدة، قد تحول بينه وبين تحقيق ما يريد، فالبطل هنا يعاني من الانحباس داخل نفسه، لشعوره بالعجز وضعف الإرادة، ولإحساسه بوجود مركب نقص في شخصيته (يتبادل فيه الانعكاس بين البدن

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت" ص ٥٢

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق . ص ٥٣

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها .

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٦) المصدر السابق . ص ٣٤

والروح)[١]متمثلاً في يده المشوهة بأثار جروح قديمة، مع ملاحظة ما ترمز إليه اليد من كونها اداة لتنفيذ الإرادة ،وأي عطل فيها يعني عطلا وتشويها للإرادة نفسها،(جس بيده ذلك الجرح القديم فوق أصابع يده اليمنى .. تمنعها من الحركة أو الدفاع أو حتى الاعتراض.. أبسط حقوق الإنسان .. ويقال والله سبحانه العالم بالحقيقة: أن أهل قريته ورثوا هذا المرض الغريب .. صواب أن أهل قريته تنتشر فيهم الأمراض بأنواع مختلفة.. جسدية كانت أو نفسية .. تتعدد .. تختلف أما هذا المرض فقد انتشر أشبه ما يكون بصفة وراثية يتناقلها الأبناء عن الأباء)[٢] كما أن عوامل خارجية اسهمت في تعميق مأساته، وهي أنه فرد من عائلة تفتقر فيما يبدو إلى أبسط صور الوئام والتفاهم والتراحم الأسري ، فوالده غليظ المعاملة قاس، ووالدته منكسرة ضعيفة لاحول لها ولا قوة، أما إخوته فصامتون مثله، ولكنه قرر أخيراً أن يثور على صمته وأن يقول "لا" ولأول مرة ، لشعوره بأنه إذا قالها، سيمارس أدنى درجة من درجات الحرية ، لقد قالها وفي وجه أبيه حين كان يحاول إرغامه على الزواج ، بينما هو لايريده (أيتزوج؟ ماذا يمكن أن يحدث؟ أن يتغير؟ أن يتجدد؟ أيضيف إلى وجوده كارتباط مزعج ارتباطاً آخر.. ما نوعيته؟ ما مدى استمراره.. أين السلب والايجاب ؟)[٣] فهو إذاً رافض لمبدأ الزواج كارتباط مسئول، لشعوره بالعجز أمام هذه المسئولية، في حين أنه قد يسقط ويقع في الخطيئة ، ولكن في الخفاء،ظناً منه أنه بذلك قد استطاع أن يمارس حريته باقتدار، وهذا ما أومأ إليه الكاتب حين قال : (غادر عيونه النوم .. بعد ساعة أنهكته تفكيراً، وخواطر أزعجته.. فترك المكان إلى منزل صغير في طرف المدينة، فتح الباب دون أن يطرقه.. دخل إلى الغرف جميعا، واحدة .. واحدة يعرف ألوانها جميعاً .. وسكانها.. إحساساتهم.. حركاتهم.. سكناتهم.. وبدأت الحمى التي يشعر بها لمجرد لقائه بسكان المنزل ...)[٤]ولكنه يعرف أخيراً أن الحرية لاقيمة لها في الظلام ،وأنها لاتعد حرية مالم تمارس في النور، لذا (خرج ثعبان من جحره بعد أن غير جلده).[٥]

---

(١) يحي حقي ، مقدمة مجموعة"الخبز والصمت" ص ١١

(٢) مجموعة "الخبز والصمت" ص ٣٤

(٣) المصدر السابق . ص ٣٥

(٤) المصدر السابق . ص ٣٦

(٥) المصدر السابق . ص ٣٧

فالقصة كما هو ملاحظ تضج بالكثير من الصور التي توحي للقاريء بمعاني القلق والتوتر والعجز ومن ثم الثورة ومحاولة البحث عن خلاص، كمحاور أساسية للتعبير القصصي في هذه الفترة.

ولعل قصة "المرآة المشروخة"[١]تصور الواقع نفسه الذي جاء في قصة "الخبز والصمت" ،فالبطل في القصتين يعاني من الشعور بالنقص والضعف والانهزامية لأسباب تكاد تكون متشابهة.

أما قصة "خضراء"[٢] فقد انهزم فيها الشاب المتعلم، أمام الشعوذة والسحر ،لما أحس مع غيره من الشباب بأنهم عاجزون عن تحقيق أحلامهم، لقد باع كتبه ،ودفع بثمنها إلى واحد من المشعوذين ليحقق حلمه في لقاء الفتاة التي أحبها،ولكن القصة انتهت نهاية طريفة، فبدلا من أن يحظى ذلك الشاب بلقاء فتاته، يذهب ليجد أمها العجوز في انتظاره، وشتان بين الاثنتين!!

... (وبعد .. فحدة الأفكار .. وجوع النفس وظمأ الروح، والقصور البشري والعجز .. هو ما يشكل نسيج هذه المجموعة ،قصص قصيرة، منفصلة ،ولكنها تدور حول محور واحد، واع .. ناضج متفجر بالحياة .. يصرخ بكل ما فيه من حياة.. وأكثر الأفكار المسيطرة على هذه المجموعة ذلك الجوع النهم إلى الحرية.. عجز الإنسان .. قيوده البشرية، التي تبقيه دائماً عاجزاً عن إدراك السر .)[٣]

وفي عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م صدرت مجموعة "الرحيل" لحسين علي حسين ، معبرة عن الأزمة نفسها، كما صدر للكاتب بعد "الرحيل" مجموعتان أخريتان ، سارت في الاتجاه نفسه ،حتى أن القاريء لقصص حسين علي حسين ،سيجد أن (الارتحال الى الداخل في تأمل دقيق لما يجري في الخارج نابشا في نخاع الواقع عن جذور الخيبة والفشل، اللذين يرجان الشخصية رجاً عنيفا، هو هاجس الكاتب الرئيسي. إن الشخصية مستلبة، فاشلة، ولكن هذا الفشل ليس بفعل التكوين النفسي، أوالقصور

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت" ص ٣٨

(٢) المصدر السابق . ص ٦٦

(٣) رشيدة مهران . المجلة العربية، العدد ٦٠ -السنة السادسة ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م - ص ٢٦

الذاتي، إنه نتيجة طبيعية لتراكمات الواقع.)(١)

ففي قصة "الرحيل"(٢) يرى البطل أن لانهاية لما يكابده من النزق والشعور باللا جدوى ،إلا بالرحيل ، لذا ترك الورشة التي يعمل بها وسط دهشة صاحب الورشة، وعاد إلى منزله ليبدل ثيابه ويخرج مرة أخرى وأمه تشيعه بنظرات الاستنكار ،وإذا به يتجه إلى دائرة الحفائظ للحصول على حفيظة نفوس ،تمكنه من الرحيل، ولكن الموظف أعاد إليه أوراقه، لأنه لم يحضر تابعية والده (وحين وضع الموظف المعاملة على الطاولة، تناولها حامد بهدوء ،وهرول ينزل بها الدرجات الكثيرة وقد تأكد تماما أنه فقد الأمل في الرحيل .. وكيف سيفتح المحل .. وكيف سيباشر في إخراج الرخصة.. وهو يعلم أن حفيظة والده عند أمه.. إنها قطعاً لن تجعله يراها.. ولذلك قرر أن يتحمل العذاب.. وهو يغذ السير ناحية ورشته ومعاملته لم تزل تحت إبطه .)(٣)

فالقصة تحمل حدثاً في منتهى البساطة والعادية ،والكاتب إنما اراد أن يرمز بهذا الحدث إلى واقع الإنسان المعاصر في بحثه الدائب عن الانتماء والحرية، والاقتدار،وغيرها من المعاني التي يفتقدها إنسان اليوم . ولعل فكرة البحث عن هوية من أكثر الموضوعات التي تناولها كتاب القصة الحديثة، للدلالة عما يكابده هذا الإنسان من الضغوط الكثيرة التي تفرض القيود على إرادته وتسلبه الحق في ممارسة حريته كما يجب .

والبحث نفسه يجده القاريء لقصة "الوصول"(٤) من المجموعة الثانية للكاتب "ترنيمة الرجل المطارد" ، حيث يركب بطل القصة القطار ، متوجها إلى المدينة، وبه شوق كبير إلى رؤيتها، فهو يحدث نفسه :(أخيرا ستواجه المدينة، سيعانق غبارها المتطاير قسمات وجهك، وستستنشق ملء رئتيك دخان عربات الديزل ،وستنزل إلى زورك المشروخ المياه المفلترة ،فجهز نفسك من الآن لمواجهة قد لا يتحملها جسدك.)(٥)كثيرون الذين حدروه من المدينة

---

(١) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية . ص١٠٧

(٢) أنظر مجموعة "الرحيل" السعودية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ص ٦١

(٣) المصدر السابق . ص ٦٦

(٤) انظر مجموعة "ترنيمة الرجل المطارد" السعودية ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ص ٦٥

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها .

وغدرها (هذه المدينة قاسية القلب ،فلا تضع رأسك مباشرة على صدرها، تمنع كثيراً وإن لم يكن هناك بد فعليك العوض في كل ما فيك)[١]وأخيراً وصل به القطار ونزل في المحطة،حيث قضى يوماً كاملاً في انتظار سيارة تنقله إلى أحد الفنادق ليرتاح ويهرب من وهج الشمس الحارة، ولكن لافائدة، وحين لاحت له سيارة أجرة بعد انتظار طويل (سأل سائق التاكسي برجاء:

- هل تعرف الطريق إلى أماكن النوم ؟
- تقصد الفنادق ؟
- لا فرق !! رد بزهق

لا أعرف !! قال سائق التاكسي بحيرة متناهية .

وواصل الطريق .. واحد آخر.. وآخر ..كلهم لايعرفون الطريق إلى أماكن النوم . جاء العصر ولم يتوقف أحد. الظل أنقذه من اللزوجة ،نسمات الصحراء تتدفق على شعره ، تدخل إلى جسده ، فيشعر بأطنان الملح وقد بدأت تنزاح ، يشعر بالانتعاش . بعد لحظات أصبحت المحطة خالية، العمال وحاملو العفش ذهبوا وتركوه وحيداً ولم يجد غير الاتكاء على جذع النخلة العجوز المنصوبة بإهمال وسط الشارع المليء بالأتربة وأكياس الإسمنت الفارغة والقضبان الصدئة والعلب والأغطية .. ماهذه المدينة؟)[٢]وفي النهاية وجد سيارة أجرة أقلته إلى أحد الفنادق بعد أن تجادل مع صاحبها كثيراً حول الأجرة: (قال له سائق التاكسي بقرف وهو يتفحصه :

- أذهب بك إلى الفندق بعشرة ريالات .

حرص البادية يقفز الى السطح :

- دفعة واحدة ؟؟
- ...."يقلب شفتيه ولا يرد"
- كم يبعد الفندق من هنا ؟
- الله أعلم
- هل ذلك من الأسرار ؟
- لايعنيك أين يقع الفندق ألا تريد الوصول إلى مكان ترتاح فيه

---

(١) مجموعة "ترنيمة الرجل المطارد" . ص ٦٩

(٢) المصدر السابق . ص ٧٠

سوف أوصلك بعشرة ريالات .. ها .. تدفع ، أم أبحث عن غيرك ؟

- أدفع ...)[١]

ووصل إلى الفندق ليفاجأ بالموظف يقول له بكبرياء :

- (لا توجد غرفة خالية .. راجعنا غداً .

- هل توجد فنادق أخرى هنا ؟

- لا أدري ..)[٢]

وانتهت القصة بأن حمل حقيبته إلى محطة القطار مرة أخرى (أخذ دوره أمام شباك التذاكر ،كما ناضل في الخروج ، ناضل في الدخول ، حتى وصل إلى كرسيه سالماً،وضع شنطته تحت الكرسي. وغط في نوم عميق)[٣]وكما دخل المدينة خرج منها قبل أن تقتله الغربة والوحدة،ويكون مصيره كمصير تلك النخلة العجوز التي اتكأ عليها في محطة القطار ،بينما كانت تحيط بها أكياس الأسمنت،والعلب الفارغة، والقضبان الصدئة وغيرها من نفايات المدينة.

وتأتي المجموعة الأخيرة لحسين على حسين "طابور المياه الحديدية" عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (لتؤكد مساره الفني وعالمه الخاص في المجموعتين السابقتين .. ولكنها أقرب في حرفتها المحكمة إلى مجموعته الثانية "ترنيمة الرجل المطارد" منها إلى "الرحيل" ،ويبدو أن الكاتب لايزال على قرفه القديم ،بل إنه ازداد - فيما يبدو لي - بعداً أو تجهماً أو قل اشمئزازاً من الرتابة المملة التي تشيع في النفس الكآبة والسأم وعدم الإهتمام)[٤].

فقصة "كرسي الخيزران"[٥] مثلا، تؤكد على الانفصال الذي يعيشه إنسان اليوم عن واقعه ،وعجزه عن الالتحام بهذا الواقع ،أو الشعور بالانتماء إليه، وقد اراد الكاتب لهذا الإنسان أن يكون مثقفاً ليزيد من قتامة الصورة ومرارتها. مع ملاحظة ما يرمز إليه كرسي الخيزران عادة من معاني الراحة

---

(١) مجموعة "ترنيمة الرجل المطارد" ص ٧١

(٢) المصدر السابق . ص ٧٢

(٣) المصرد السابق . ص ٧٣

(٤) منصور ابراهيم الحازمي. جريدة الرياض. العدد ٦٠٤٥ الخميس ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . الملحق الثقافي .

(٥) انظر مجموعة "طابور المياه الحديدية" السعودية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . ص ٧

والاسترخاء والرفاهية.

ولعل نقل القصة كاملة هنا خير من إيجازها :

(من الشرفة كنت أرقب كل شيء، علبة السجائر بجانبي، الجرائد تتكوم كالملابس القديمة على الطاولة، كوب الشاي بارد والتفل منعقد في داخله، الرجل العجوز في الخارج يتكوم على الأرض ويحرك عكازه في التراب، يرسم أشياء مبهمة ويضحك بطفولة مثيرة، لم أتمالك نفسي فضحكت ، أخذت أهز كرسي الخيزران بطريقة جنونية . خفت أن يتزحلق فتوقفت عن هزهزته، تناولت كوب الشاي وامتصصت بقاياه، شعرت بحاجتي إلى الهواء ، مزيدا من الهواء والرياح الباردة، فمددت عنقي عبر الشرفة : كانت الخطوط قد كثرت وتعقدت تحت عصا العجوز ،وكانت ابتسامته قد احتجبت ولم يبق إلا فمه، مفتوح وخال من الأسنان تماما، بحركة لاشعورية تفقدت أسناني فوجدتها كما عهدتها قليلة ومكسرة، شعرت بالحزن على مستقبلي، فكففت عن التحديق من الشرفة على الرجل العجوز .. خبطت يدي على كومة الجرائد القديمة وتناولت واحدة ، فردتها وأخذت أبحلق في الحروف السوداء والبيضاء والملونة. لاجديد، شعرها يتمدد على الصفحة. ونستون هي الأفضل، فستوك يصل إلى القمر، سفتلاندا تنشر كتابا عن جدها.. وماذا في ذلك ؟ حفيدة تريد الأضواء من خلال جدها، حق مشروع قلت : في العالم كل شيء على مايرام .

وحيث رميت الجريدة من يدي فسقطت على الأرض ،أخذ الصرصار الصغير يدرب حركاته النزقة على صفحاتها. أزعجتني حركته، حركت قدمي ، فأنهيت مهمته تماماً. لففت الجريدة لإلقائها إلى الخارج، كانت حركة العجوز قد توقفت. أسند عصاه وراء ظهره . وأخذ يبحلق في المارة،السيارات ،مكنسة البلدية، سيارة الاسكريم كان مجهداً ويحاول الإلمام بكل شيء، ماذا يريد؟ قلت: لابد أنه يبحث عن شيء ما : سيارة الإسعاف، مندوب الضمان ، تنظيم الأسرة، دار العجزة، أي شيء ، بدا لي حاد البصر وهو يبحلق في كل شيء حتى أخذت أُبحلق مثله.. لكن أنا أبحث عن ماذا؟ كتاب ، جريدة ، راديو ، كوب شاي ساخن ، كرسي هزاز .. لاشيء .. لاشيء .. إنني مجرد أعوام هلامية تتساقط في الفراغ .

أحرقت سيجارة ، شربت كوب شاي قرأت جريدة، حدقت في السماء، لبست صندلي، وأخذت أهز كرسي الخيزران. تلك اللحظة أتي عجوز آخر كالقوس لحيته قصيرة وبيضاء وبعض شعراتها مصبوغ بالحناء، لايوجد

فوق اللحية شنب ، صف بجانبه. رقت ملامح العجوز وبدأت يداه تمارسان دورهما في الحديث ثم بدأ عكازه يمارس مهمته في الكتابة على الأرض، مسح كافة الخطوط القديمة وشرع في رسم خطوط جديدة وضيفه يراقب ويبتسم . الضيف أخرج مسواكه وأخذ يسوك فمه بيد مدربة بعد أن يئس من جر زميله للحديث .

لماذا يسوك فمه، هل لديه أسنان ، مهمة شاقة أن تسوك اللحم، قلت في نفسي، وحركت يدي لاشعوريا ، وبدأت في فلاحة فمي من جديد .

الشمس تسرع في حركتها، القرص الأحمر تعب من الوقوف، فأخذ بالانحدار . بياض السماء اكتسب حلكة غير محببة . كبرت حلقة العجوزين، انضم اليهما ثالث ورابع وخامس ،حتى سدت حلقتهم الدائرية المحكمة الرصيف، وكل واحد في يده عصا أخذ يعملها في الأرض .. خطوط .. خطوط .. والابتسامات الباهتة اختفت، وحلت محلها صرامة غير عادية، تخيلتهم في ورشة . كلمات من الشفاه، وحركات من العصي ، فجأة نط العجوز الأول واقفا وطلب منهم الابتعاد عنه. بهلع تناول كل منهم عصاه وانحدر من حيث جاء، بقي وحيدا والكلمات طائشة تخرج من فمه . قلت ماذا حدث ؟

لبست قميص البجامة، وعدت إلى مقعدي ، معي كوب ماء ، وسيجارة جديدة وجريدة قديمة، أخذت مكاني فوق كرسي الخيزارن. كان المساء قد حل والنجوم غائبة عن مواقعها في السماء الواسعة، وبدا أنها ستمطر، لكنني لم أهتم ، لقد أخذت مقدماً كافة الاحتياطات ، حركت رجلي قليلا ، فرقعت أصابعي، ثم هززت كرسي الخيزران . جاءت عيني مباشرة على موقع العجوز، رأيته وهو يتأهب للوقوف . قدم عصاه، إتكأ عليها ووقف، نزل من فوق الرصيف ببطء . كانت السيارات منطلقة كالصواريخ ،بحيث لم تتمكن أي واحدة من الوقوف ريثما يعبر الطريق، لكنه قامر، وأخذ يتحرك كاللولب وسط أسراب السيارات حتى وصل إلى الرصيف المقابل، وهناك سقط بهدوء .قمت من مجلسي، واشعلت السيجارة، ومددت النظر قليلا إلى جثة العجوز ،وإلى الناس تعبر من حولها، أدرت ظهري وخطوت إلى الداخل .تلك اللحظة أحسست أن كرسي الخيزران يتحرك بسرعة رهيبة)[١]- نتهت -

---

(١) مجموعة "طابور المياه الحديدية" ص ٧

بعد قراءة القصة يتضح للقاريء أن الشرفة هنا (تفصل بين عالمين، العالم الخارجي الذي ينتمي إليه البطل ، والعالم الداخلي الذي يعيش فيه، إنها تقع على الحدود بين عالمين، وتوجد على هامش كل منهما، وجلوس البطل في الشرفة يعني أنه يعيش على هامش العالم، فهو لايستطيع أن ينكفيء على نفسه ويعيش في عالمه الداخلي، لأنه يصاب حينئذٍ بالاختناق الذي يطبق عليه حتى وهو جالس في الشرفة لأنه ليس ثمه متنفس كاف في العالم الخارجي.. وجلوس البطل في الشرفة وعدم انتمائه إلى العالمين ، يعني أنه مجرد متفرج.. إنه ليس جزءاً من الواقع، ولاينتمي إليه ، إنه مجرد متفرج لايصل إلى مرتبة الشاهد، الشاهد على عصره، فهو حين يشاهد حادث السيارة ومقتل العجوز ينكفيء عائداً إلى غرفته بدلاً من أن ينزل إلى الشارع ويتابع عواقب الحادث، إنه يعرف أن شهادته غير مطلوبة، وهذا يعني أن الإنسان الحديث قد أصبح مجرد متفرج لا دور له في العالم الذي يعيش فيه.. كما أن قراءة الجريدة القديمة تحدد علاقة البطل الهامشية بالعالم وتؤكدها . إنه مجرد متفرج، وهو متفرج غير متابع ، ولا يهم أن يتابع ما يحدث من حوله ،وهل من الضروري أن يفعل ذلك ، وهل ثمه من جديد تحت الشمس ؟؟ ماذا تقول الصحيفة: ونستون هي الأفضل، فستوك يصل إلى القمر، سفتلاندا تنشر كتاباً عن جدها، والاخبار الثلاثة هذه تصور حالة العالم أصدق تصوير، ولو أنها أخبار قديمة معادة، لاجديد فيها، فستوك يصل إلى القمر ، هذا الجزء من مارد شيطاني أطلقه الإنسان من قمقمه ، سمه إن شئت التقدم العلمي، أو الثورة التكنلوجية، فالأمر سيان . ولكن النتيجة واحدة، فالعالم يتقدم ، ولكن الإنسان يتغرب عما ينتجه ،وبدلا من أن يتحكم فيما يصنعه ، نجد المصنوع هو الذي يتحكم في الإنسان، ويحوله إلى مجرد مستهلك، وتحول الإنسان إلى مجرد مستهلك هو موضوع الخبر الأول : "ونستون هي الأفضل" ،والسجائر سلعة استهلاكية، يستهلكها الإنسان ،ولكنها – مثل آلاف السلع الأخرى – هي التي تستهلكه في النهاية ، ثم ماذا عن الحفيدة التي تريد أن تكتب عن جدها، وقد يكون ستالين أو أي زعيم آخر؟ الأمر سيان، ولكن المهم أن تحقق سفتلاندا الثروة والشهرة، والأهم منه أن تتمكن دور النشر من ملاحقة السوق ، أي نعم السوق، لأن الأدب هو الآخر أُصبح سلعة استهلاكية لاتقل عن السلع الأخرى استهلاكاً للإنسان ... وهو معنى يتأكد لنا ويرسخ في أذهاننا عندما نتأمل تقافز الصرصار على الجريدة، والصرصار كما نعرف

يعيش في بيئة معينة قل أن يعدوها إلى غيرها، وهذا يعني أن الجريدة وما تحمله من كلمات أصبحت تنتمي إلى هذه البيئة ،وهذا ما يدفع بطل القصة إلى سحق الاثنين الجريدة والصرصار ،والالقاء بهما إلى الخارج قرفا واشمئزازا)[١] (فكيف استطاع الكاتب أن ينقلنا إلى هذا العالم العجيب الغريب - عالم الرتابة والتبلد والملل - دون أن يفطن إلى أنه إنما يعرض أمامنا صوراً قاتمة لهذا العالم الهائج المجنون الذي نعيشه، ونرى فيه تبلد الضمير العالمي، إزاء ما يحدث - كل يوم - من مذابح ومآس في كل مكان؟ أو لعله فطن ولكنه أراد أن يعرض علينا مرآته هو لنشاهد في صفحتها المصقولة شيئا من نفوسنا وانهيار العالم من حولنا. ذلكم هو الأدب الذي يصور الواقع،وإن قبح وجه هذا الواقع، وامتد إلى كل الآفاق ،وأصبح في زماننا ضربا من العبث ..)[٢]

أما القصة "طابور المياه الحديدية"[٣] فقد طرحت مشكلة من المشكلات الاجتماعية كثيرة الانتشار وهي تفشي بعض الممارسات الخاطئة التي تتولد من مجرد شائعة، ومع ذلك يصعب القضاء عليها أو اقتلاعها من أذهان بعض الناس، فالشائعة في هذه القصة (جعلت فئات مختلفة من المجتمع تجري وراء سرابيات كاذبة، تمثلت في بئر الماء المعدني الذي ادعى عدد ليس بقليل من الناس بأنه مفيد وصالح لعلاج أمراض جلدية مختلفة ،بل أن فئة أخرى من الأميين غالوا في عرض فوائد هذه البئر، واتخذوها علاجاً لأمراض باطنية وربما نفسية)[٤]

فإذا كانت سلبية العلاقة بين الإنسان وواقعه في قصة "كرسي الخيزران" تمثلت من خلال انفصال هذا الإنسان عما يجري حوله ،وشعوره باللامبالاة تجاه كل شيء، فإن هذه السلبية تمثلت في قصة "طابور المياه الحديدية" مرة أخرى ،ولكن من خلال اندماج هذا الإنسان مع الجماعة في الوقوع فريسة للأوهام الشائعة، فمن الملاحظ أنه (حين يقف الفرد في طابور طويل - مثل طابور المياه الحديدية - فإنه سرعان ما يفقد فرديته، ولاعبرة باختلاف الحالة المرضية التي يشكو منها، فالكل يأتي إلى

---

(١) عابد خزندار، جريدة الرياض العدد ٦٩٦٩ .الخميس ٢٧ ذو القعدة١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

(٢) منصور ابراهيم الحازمي جريدة الرياض، العدد ٦٠٤٥ . الملحق الثقافي .

(٣) انظر مجموعة "طابور المياه الحديدية" . ص ١١

(٤) راشد عيسى ، مجلة الجيل ، العدد ٣٠ . شوال ١٤٠٥هـ - ص ٣٨

البئر المشؤومة التي يقال أن مياهها تشفي من جميع الأمراض. وعندما تنكشف الأسطورة وتتخذ الإجراءات الوقائية لا يصدقون بل يهجمون هجمة رجل واحد على الحراس.. وليس من الضروري أن يقف في طابور حقيقي طويل لتنتقل إليه العدوى ،فالطابور مرض العصر الذي يصعب الإفلات منه وقد تفنن الكاتب في تجسيده)(١)

وأخيرا يخلص القاريء إلى أن الذي (يوحد بين جميع قصص "حسين" موضوع واحد يشكل رؤياه ويتناسب كثيرا مع الأزمة الحضارية التي يحملها، إنه الإحباط بكافة صوره وتنويعاته ،الجوع، الفشل، الديون ، الغربة، الضياع، الإفلاس .. الخ ،فاتخذت أغلب القصص أسماء أو عناوين توحي كثيراً بهذا الإحباط، القرض ،العقم، الأرض والمرتبة، الطين الغروي، ترنيمة الرجل المطارد، زائر المدينة، طابورالمياه الحديدية، الفقير الهندي يكف عن إطعام القطط، ما تيسر من سلة المهملات، الجثة، .. حتى القصة التي تأخذ عنواناً خصبا يوحي بالإنجاز ، وأعني قصة "الوصول" ما نلبث أن نكتشف عند قراءتها أن العنوان ما هو إلا تورية ، وأن القاص وضعه بقصد السخرية من وصول بطل القصة الذي لايجد بدأ من الرجوع "كما ناضل في الخروج ناضل في الدخول حتى وصل كرسيه سالماً. وضع شنطته تحت الكرسي وغط في نوم عميق*")(٢)

وفي عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م صدرت ثلاث مجموعات لكل من سباعي عثمان، وجار الله الحميد، وعبدالعزيز مشري، لتعبر عن الأزمة نفسها وإن اختلفت طرق التعبير عن هذه الأزمة ، باختلاف الكتاب أنفسهم. فسباعي عثمان تحمل مجموعته عنوان "الصمت والجدران" وفي قصة "الصمت والجدران"(٣) نفسها يجد القاريء نفسه أمام حادثة قتل، يعترف البطل بأنه ارتكبها، ويحكم عليه بالسجن ،لم يعر الكاتب الجريمة كبير اهتمام ،ولكن يكفي أن نعرف أن البطل حين ارتكب جريمته أصبح قاتلاً ومقتولاً في آن واحد - على حد تعبيره - وفي السجن يصور الكاتب مبلغ الأسى والمرارة

---

(١) منصور ابراهيم الحازمي. جريدة الرياض . العدد ٦٠٤٥ . الملحق الثقافي .

* مجموعة "ترنيمة الرجل المطارد" ص ٧٣

(٢) يوسف ابو العز، مجلة المجلة، العدد ٢٧٦ ،رمضان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، ص ٨٩

(٣) انظر مجموعة "الصمت والجدران" . السعودية .١٣٩٩هـ -١٩٧٩م . ص ١٥

والقلق التي يعانيها البطل وهو قابع في السجن بين أربعة جدران باردة يعشش فيها الصمت والرتابة والملل . (كانت أنفاسه تتردد في صميميه لتؤكد وجوده.. ومع ذلك كان يتمدد بلا أية مقاومة.. ولكن الموت تباطأ كأنما يساومه .. كان الذهول يطويه بقسوة.. صراع حاد يكاد يحطم رأسه.. ضغط على صدغيه بقوة.. الطفاية التي أمامه تكلس في قعرها الرماد المتراكم .. رفيقه يشخر ملء رئتيه ويتمدد كارتخاء هذا الليل البليد.. صرصار يصرخ في مكان ما من الغرفة ويفنى تماما في السكون من حوله ... الصرصار وحده هو الذي يملك القدرة على إشاعة وجوده بمثل هذا الفناء فيما حوله)[١]

(وهكذا هي قصة الانطباع أو أثر الواقع على النفس ، تجعل الشخصية الرئيسية للقصة تظل محجورة في دائرة ضيقة من الذات، تتخبط مع الأفكار بين جموح وإحباط، ولاتمنحنا إلا عالماً ضبابياً يثير الأسى والمرارة. نطل - من خلالها - على عالم فسيح لانملك الإطلال عليه إلاّ من كوة صغيرة ضيقة.. عالم يفتت أركانه القلق، ومفاهيم تميع وتتلاشى وتتداخل، بحيث لم يعد يسعها الذهن .)[٢]

وقصة "الدوامة"[٣] من المجموعة نفسها، تصور دوامة حقيقية، يعيشها البطل،ماتلبث عدواها وأن تنتقل إلى القاريء (فثمة تشتت في سرد الخواطر، وغياب للأزمة الحقيقية - عن ذهن القاريء على الأقل - والتنقل هنا وهناك في أمكنة خيالية، وعدم تركيز على نوعية التنافس والصراع بين البطلين .. وأمور أخرى لغوية وتعبيرية تجعل القاريء في الدوامة فعلا .. لايقوى على الخروج منها .)[٤]

كما أن بطل قصة "شرخ في فراغ"[٥] ما يزال يعاني من الدوامة نفسها، التي يعانيها أبطال سباعي عثمان جميعاً، فالبطل هنا (بطل عصري يعاني

---

(١) مجموعة "الصمت والجدران" . ص ١٦

(٢) محمود رداوي ، دراسات في القصة السعودية والخليج العربي ، السعودية ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ص ٦٨

(٣) انظر مجموعة "الصمت والجدران" ص ٥٩

(٤) محمود رداوي. دراسات في القصة السعودية والخليج العربي . ص ٧٢

(٥) انظر مجموعة "الصمت والجدران" ص ٩٩

الفراغ والضجر والشرود وتداعي الخواطر)[١]يخرج من عمله، فيفاجأ بأنه لايدري أين أوقف سيارته، وحين يجدها، يتوجه بها إلى منزله، وهو في الطريق يأخذ القاريء معه في رحلة داخلية يتعرف خلالها على أدق تفاصيل هذه الشخصية التي وصلت بها المعاناة إلى درجة خطيرة من التبلد واللامبالاة التي وصلت حد الآلية (لقد تحول إلى إنسان آلي في حركاته وتصرفاته وسلوكه وشروده ،انعدم إحساسه بالزمن والمكان والوجود.. لم يعد يحس إلاّ بالوحدة والضياع والتبلد.)[٢] هو رافض للواقع في حين أن له أحلاماً لايستطيع تحقيقها،فما كان من هذه الأحلام إلاّ أن أصبحت شرخاً حاداً في ذلك الفراغ الكبير الذي يملأ حياته .

والواقع نفسه نجده في قصة "هذيان في الصيف"[٣]وقصة "وجه خارج الزحام"[٤] حيث يعيش البطل الصراع نفسه، ويعجز عن انتشال نفسه منه حتى وهو يؤدي صلاة الجمعة بين المصلين في المسجد (لماذا تشدنا الصور الخارجية، حتى في لحظاتنا الروحية.. فكرت في الماضي والحاضر والمستقبل، فكرت في الموت والحياة والناس، وأبي الذي مات منذ سنين، وأشياء أخرى متناقضة.. كان صوت الإمام يتدخل قويا من حين لآخر لتجزئتها : كلكم راعٍ .. وكل راعٍ مسؤول عن رعيته، استبسلت في حصر تفكيري، فكنت كالذي يقبض على حفنة ماء بكلتا يديه، بعدئذٍ طوحت بي همومي وخواطري إلى آفاق سحيقة.. كنت أصحو على الندم والخيبة والمرارة .. كان الإمام قد قال كلاماً كثيراً ، وجلس .. تأملت بعضه في خيبة مريرة.. نهض الإمام من جديد .. حمدالله وأثنى عليه.. عدت أنا في عجز لأغرق في تصوراتي وخواطري .)[٥]

ولعله من الواضح أن صورة البطل العصري - الذي يعاني من القلق واليأس والفراغ والكآبة بشكل مستمر - تنسحب على أبطال قصص سباعي عثمان جميعهم، كما إن جو الخيبة والمرارة أصبح هو الجو العام والشائع في قصص المجموعة كلها، (فبالرغم من أن "الصمت والجدران" عبارة عن

---

(١) محمود رداوي. دراسات في القصة السعودية والخليج العربي . ص ٧٦

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٣) انظر مجموعة "الصمت والجدران" ص ١٠٧

(٤) انظر المصدر السابق . ص ١٢١

(٥) المصدر السابق . ص ١٢٣

مجموعة قصصية - ثلاثة عشر قصة - إلا أنها في مضمونها تعتبر رواية واحدة ذات ثلاثة عشر فصلا ،كل فصل منها يشكل قصة قصيرة)[١]، فالبطل في القصص جميعها واحد، كما أن المعاناة واحدة ، حيث تأتي مجموعة "الصمت والجدران" في النهاية (تعبيراً عن إنسان هذا العصر حين يجد نفسه ضمن دائرة الصراع المر والحتمي ، تتقاذفه جدران الزمن بكل ثقلها على النفس.)[٢]

وفي العام نفسه الذي صدرت فيه "الصمت والجدران" لسباعي عثمان صدرت مجموعة "أحزان عشبة برية" لجار الله الحميد . لتسير في الاتجاه نفسه الذي سار فيه الذين سبقوه ،ففي قصة "أحزان عشبة برية"[٣] - القصة الأولى من المجموعة - نجد البطل وهو لايزال يعاني الواقع نفسه الذي سبق وأن عاناه أبطال محمد علوان، وحسين على حسين ، وسباعي عثمان ، حيث لايزال الإنسان مثقلاً بكل معاني البؤس والشقاء ، نتيجة لعدم الرضا والرفض للكثير من الأوضاع القائمة، والارتطام في كثير من الحالات بالحقائق التي تزداد مرارتها حين يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن التغيير ،في"أُحزان عشبة برية" يرى البطل في منامه أنه (يمسك بعشبة غريبة بيضاء وحمراء ووردية وزرقاء .. ويطير وكل مرة يحط في مدينة يرى نفس المرأة التي هي حبيبته، ولكنه كل مرة يناديها باسم آخر .. مع العلم أنه هبط في مائة مدينة وربما أكثر)[٤] ويبحث لحلمه عن تفسير دون فائدة، فالكل متحفظ لايريد الكلام، فهناك من قال له :(- خير إن شاء الله خير)[٥] وآخر قال : قد تكون العشبة البرية (هي .. هي .. أوهي .. أنت .. وهم غريب فدعك منه)[٦] وثالث قال له : إني (أحذرك من مغبة هذه الأحلام)[٧]وفي آخر المطاف سأل امرأة عجوز فقالت (أنت تحب

---

(١) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق ، لبنان ١٩٨٥م ، ص١٣٥

(٢) المرجع السابق ،ص ١٤٨

(٣) انظر مجموعة "احزان عشبة برية" ، السعودية ـ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . ص ٧

(٤) مجموعة "احزان عشبة برية" . ص ١٣

(٥) المصدر السابق . ص ١٠

(٦) المصدر السابق . ص ١١

(٧) المصدر السابق . ص ١٤

امرأة واحدة.. ولذلك فأنت لن تنالها)[١]ثم عادت فقالت له : (لاتهتم بهذه الأمور .
- إية أمور
- هذه الأحلام السخيفة)[٢]
وتدور حول هذا الحلم معاناة البطل، فقد فارقته الراحة منذ أن رأى تلك العشبة الغريبة في منامه، وصار البحث عنها هاجساً لايفارقه، فتحولت أيامه إلى سلسلة من الأوجاع : (أوف .. لقد كانت حصة المطالعة مملة.. ومباراة كرة السلة أكثر إملالا .. وكذلك وجبة الغذاء .. والأغنية الجديدة لمطرب الأحلام .. وفصول الكتاب الذي يحقق رواجاً خيالياً ! يا الله ما هذه البلوى ؟)[٣]حتى ذقنه اكتشف أنه نسي حلاقتها (منذ أن حلم ذلك الحلم العجيب).[٤]

فبطل جار الله الحميد ،كما هو واضح (يلوب في صحراء المدينة الحديثة، هذه المدينة التي نبتت في صحراء ،أو قامت عماراتها على عيون الواحات فيها، وهذا يهيء لحياة أكثر قسوة وجفافاً من حياة البدوي الأولى،نقاء البدوي عند جارالله يحمل عبء البحث عن الواحات المغدورة الغائبة)[٥] (ويظل العشب في عموم القصص مدخلا مفتوحاً لمناخ الفن والحياة الذي يخلقه الكاتب. وعندما لا ترد إشارات العشب مباشرة، كمدلول رمزي فإنها تأتي في صورة مشابهة ومقاربة لمعنى العشب، فالعشب هو الماء والأجوبة والأمن والحرية، إنه الأنسان معذباً وحالماً معاً، فالبدوي هنا يواجه إشكالات حياتيه من نوع خاص ومختلف.. وعندما يحاول أن يتعرف على أطراف الواقع من خلال تفسير الحلم الذي رآه، يقع في الدهشة، ويعتبره الآخرون غامضاً ومجنوناً ،البدوي الذي حبيبته لها ألف اسم، ليست سوى الحرية، وهذا البدوي ليس بدوياً، والآخرون الذين "يملكون آذاناً صاغية وعيوناً تستطيع التحديق.. وكانوا يتمتعون - فيما

---

(١) مجموعة "أحزان عشبة برية" ص ١٥
(٢) المصدر السابق . ص ١٦
(٣) المصدر السابق . ص ١٤
(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.
(٥) قاسم حداد، جريدة الرياض. العدد ٤٩٩٨ - ١٨ صفر ١٤٠٢هـ . ص١٣

بدالة - بعافية *" لايستخدمون هذه الطاقات كما ينبغي . وهو تحت وطأة عذاب رؤياه يبحث عن تفسير، والتفسير يعني هنا التحقيق... وتلك السيارة - آلة الحضارة - ليس بوسعها أن تعبر الطريق بدون ساعد الإنسان المرهق الذي يتصبب عرقاً تحت المطر لكنه متعب الآن، ومثقل بالأحلام ،ومتهم بالجنون ، حين يقف أمام نفسه يكتشف أنه غامض الشكل .. غامض ومجنون، ولكنه بطل حياته، بطل يبحث عن تفسير لما يجري من حوله ،لما يختلط أمامه ،وهو بتشبثه بحلمه وإصراره على تفسيره بغموض، يشير إلى هيامه المجنون ، بكشف اكتشافاته وفضحها، لذلك فإنه يتلقى تحذيراً من مغبة هذه الأحلام .. الجميع يبحث عن تلك العشبة الاسطورية ذات الألوان . الجميع يحمل ذلك الحلم اللجوج، الجميع يعيش من أجل ذلك الحلم، والجميع يرهب الاقتراب من حدوده، وهذا يجعل بطل جارالله يقع في مرارة الفقد، ويجعله مهدداً بإهدار جمالات المفاجأة، ودهشة الفعل والتحقيق ،لكن جارالله يتشبث بالعشبة وأحلامها، التي تشكل إيقاعاً رزمزياً محورياً تكاد القصص أن تنهض به... وهي واقعية حتى العظم، وتتصل بحلم الإنسان الذي يظل في انتظار الفعل)[١] .

وتأتي بقية قصص المجموعة لتؤكد المعنى ذاته ،الذي جاء في "أحزان عشبة برية" حيث نلتقي البطل نفسه في جميع القصص ،وهو يعاني المعاناة ذاتها،حيث (عند جارالله الحميد لاينبغي أن نبحث عن حادثة في القصة، ذلك أسلوب لايليق بتجربة جديدة من هذا النوع، فالقصة في هذه المجموعة هي الشخصية في مناخها ،ليست الأحداث هي البطلة ،لكنه المناخ الذي تصوغه الشخصيات، وهذا هو الذي يحمل عبء عناصر القصة الجديدة من الوجهة الفنية والموضوعية في آن)[٢] ففي قصة "معاناة مطر عبدالرحمن ومباهجه"[٣]مثلا ،تأتي شخصية مطر عبدالرحمن وهي لاتختلف كثيراً عن شخصية القصة الأولى، (ربما نستطيع القول بأنه لايختلف أبداً ، بل إنه هنا ينتقل من فندق إلى آخر ،إن لجوء الإنسان في هذا العصر إلى الفنادق لايدل إطلاقاً على علاقة جيدة بالمجتمع. الفندق

---

* مجموعة "أحزان عشبة برية" ص ٩

(١) قاسم حداد، جريدة الرياض. العدد ٤٩٩٨ . ص١٣

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها

(٣) أنظر مجموعة "أحزان عشبة برية" ص ١٩

هنا محاولة للانفراد مع الذات وينبغي اعتبار ذلك هروباً في كل الأحوال الإنسان الآن لايستطيع أن يهرب، وبطل جارالله الحميد محروم ومحاصر ولكنه لاينوي الهروب ،بل إننا نراه يحاول الإتصال بالآخرين. لكن الوحدة بمعنى العزل تطارده)[١]فمن الملاحظ أن (شخصيات أكثر القصص إما على سفر،أو قادمة من سفر أو أنها تستعد لذلك .. إن البدوي الذي يرحل راكضاً وراء العشب - هذا البدوي المعاصر - يتحول عنده السفر عبر القصص هاجساً بدوياً معاصراً هو الآخر، ولكن العشب الجديد هنا يختلف بلا شك عن العشب السابق "الواقعي" إنه الآن يمثل حلم الإنسان بالانسجام مع واقع لم يتحقق بعد)[٢]

ولعل قصة "حديث خاص معك"[٣]من أكثر قصص المجموعة تمثيلاً لفكرة الاستلاب ،وعدم الانسجام التي يعانيها إنسان اليوم والتي جاءت مجموعة "أُحزان عشبة برية" لتضع يدها عليها، ففي هذه القصة يخترق الكاتب ذهن القاريء بمجموعة من الاسئلة الحادة التي مايلبث ان يجيب عنها (أنت رغماً عنك، تتكون من عدة أشياء، اسمك الرباعي، لون ثيابك، حافظ نقودك ،المدن التي سافرت اليها، الجريدة التي تقرأها باستمرار، هل تحب البحر أو تكره البحر؟ هل تنسى باستمرار؟ هل أنت مصاب بالعشى الليلي؟ .. أنت رغماً عنك تعلمت القراءة والكتابة!! كتبت إلى رئيسك في العمل.. أو إلى حبيبتك .. أو إلى أخيك المسافر.. المهم أن تكون كتبت شيئاً !! وأنت رغماً عنك تدعي أنك جاوبت على سؤال مع أنك في الحقيقة لم تفعل.. أنت رغماً عنك فوجئت بالنقود.. أليس كذلك؟! تزوجت؟ . أليس كذلك؟! من هو ابنك ؟)[٤].

(إذن بطلنا هذا شأنه شأن أي مواطن عربي آخر هو مستلب حتى في ما يطلب منه قوله ،لأنه يجد دائماً من يسأله ومن يجاوب عنه ومن يدينه أيضاً وهذه قمة الإرغام)[٥]

---

(١) قاسم حداد، جريدة الرياض. العدد ٤٩٩٨ . ص١٧

(٢) المرجع السابق . ص ١٣

(٣) انظر مجموعة "أُحزان عشبة برية" ص ٢٧

(٤) المصدر السابق ص ٢٩ ، ٣٠

(٥) مجلة اليمامة ،العدد ٦١٠، رمضان ١٤٠٠هـ ص ٥٢

وفي المجموعة الثانية لجارالله الحميد "وجوه كثيرة أولها مريم" التي صدرت عام ١٤٠٥هـ عالج الكاتب الواقع نفسه الذي سبق وأن عالجه في "احزان عشبة برية" والفارق الوحيد هو أن أدوات الكاتب الفنية قد أصبحت أكثر نضجاً في مجموعته الثانية، يقول الدكتور محمد صالح الشنطي عن "وجوه كثيرة أولها مريم" (ومنذ البداية أحسست بأنني أستشرف أسلوباً جديداً يختلف عما ألفته في "أحزان عشبة برية" ووجدت نفسي ألج عالماً واضح المعالم ، تضاريسه تمثل ببساطة في مخيلتي، ووجدت نسجاً متماسك الخيوط في يسر يختلف عما ألفته من نسج متشابك الخيوط مثقل بالتقاطعات محتشد بالرموز والتداخلات ،لقد توارت المعالم الفانتازية والنزعة الاسطورية،والتداعيات التي كانت تتسرب إلى داخل القصة بشكل مفاجيء مختلط يحاصرك ،ويأخذ عليك السبل من أقطارها، ويعرفك بفيض زاخر من الرؤى ، ... لم نعد - في مجموعة جارالله الحميد هذه - نقف وسط وابل من الصور المتساقطة، المنهمرة،وإنما أصبحنا نتعامل مع عالم أليف ودود يتكون بوضوح، عبر السرد الذي يتشكل في إيقاع متسارع، وينداح حول بؤرة تفيض بأحداث بسيطة مشعة تنسج هالة إيحائية يتناسل منها الضوء غامراً حميماً شفافاً).[١] .

ولعل عرض قصة "وجوه كثيرة أولها مريم"([٢] وحدها ،يكفي لمعرفة الهم الذي أراد جارالله الحميد لهذه المجموعة أن تحمله، حيث تكونت هذه القصة من أربعة مشاهد ،قد يظن القاريء لأول وهلة أن لاعلاقة بينها ،ولكن خيوطاً خفية تربط بين هذه المشاهد، لتصبح فيما بعد لوحة واحدة يطرح الكاتب من خلالها فكرته .

ففي المشهد الأول تقف عازفة بولونية تحيط بها (عيون أجنبية زرق، تحملها أوجه لها قسمات البحارة الإنجليز، وحقائب سمسونايت مع عرب مبتهجين بمجالستهم)[٣] وحين انتهت المقطوعة لم يعرفوا ذلك إلا (حين لاحظ بعض منهم حركات العازفات الثلاث الموحية بذلك.)[٤]

أما المشهد الثاني فيكون فيه البطل على وشك السفر حين تطرق بابه

---

(١) القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، ص ٢٢٠

(٢) انظر مجموعة "وجوه كثيرة أولها مريم" . السعودية ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م ص ٦٣

(٣) المصدر السابق . ص ٦٧

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها .

ابنة المخيم "مريم" - على استحياء - وتطلب منه بعض النقود، ولكنه اعتذر منها ،لأنه لايملك سوى أجرة السيارة التي ستقله إلى المطار (ومنذ ذلك اليوم ما أحببت المدينة، وما أحبتني !! قلت لصديقي ونحن نلقي أنفسنا في التاكسي : أتعلم مدى فداحة ما يجري؟! كان لايهمه ذلك بتاتاً. لكني أكملت كأنني أريد الاقتصاص لشرف وجه المخيم الجميل: أن تكون فلسطيني ويدفعك قدر ما لأن تكون صديقاً لمدن ووجوه مثل حقارة وجهي!! وبكيت كل ما أجلته من دموع أمامها، والسائق يهز رأسه، ويقول في قرارة نفسه : عالم)[١]

وفي المشهد الثالث يستيقظ البطل من النوم فيجد نفسه مستلقياً وسط أكوام من المخلفات (وحين استطعت الهرب من تلك الأكوام التي كانت تريد بشكلها السلحفائي أن تصعد إلى جسدي كالقمل المحموم ، إلى طبق رأسي ، إلى أعصاب يدي الرمادية التي اكتشفت أنها تزداد نحولا مع أيام النوم الهذياني... وقفت بباب الغرفة أحدق في صنابير الماء الفارغة حد البحة .. منذ دهر ، ملأني رعب من شكل أشرطة المسجل التي تنتشر بلا داع ولا ترتيب انتصبت قامة ذلك الشاب الملتحي الذي فاجأ مخي وشراييني قبل بفنائه المصبوغ بالديزل والمحروقات.)[٢]

والمشهد الرابع فيه (يحكي "على" عن نفسه ما يلي :

أثناء قيادتي للسيارة .. الصحراء تلتهب أمامي . كنت بدأت أحس أن رأسي لم يعد في موقعه. وتماماً نسيت أسماء وأشكال زملائي في المقعد الخلفي. جعلت أنصت باهتمام إلى أصواتهم وأبكي. أبكي.. حاولت أن أعرف واحداً منهم على الأقل ولم أقو على النظر في المرآة خشية أن يكونوا يراقبون ذلك، فيحسون أنني فقدت ذاكرتي . وبعد نصف ساعة من البكاء عرفت أنني غريب .)[٣]

وبعد قراءة المشاهد الأربعة ،قراءة واعية يلحظ القاريء أن العلاقة بين المشهدين الأول والثاني تقوم على المفارقة (هذه المفارقة التي يدين بها الكاتب وحدة المدينة ،ويدين فيها عجزه عن التعامل مع هذه الفتاة القضية، ويسوق أمامها ما أوتي من حزن ودموع ، رؤية تقترب بالكاتب من

---

(١) مجموعة "وجوه كثيرة أولها مريم" . ص ٧٠
(٢) المصدر السابق . ص ٧٣
(٣) المصدر السابق . ص ٧٤

مشارف الانعتاق من جدلية الانفصال ، لينحاز بشكل حاسم إلى هموم الآخر وأوجاعه، ويؤكد انتماءه .)[١]

وفي المشهد الثالث يؤكد الكاتب هذا المعنى (بفضح الهامشية والاستسلام والكسل، إن الكاتب يثخن لوحته بالأشياء ويعطي إحساساً كثيفاً بالملل من خلال وصفه للمخلفات الشائنة من محتويات المكان، ويعمد إلى الأشياء المهملة على وجه الخصوص فيتتبعها)[٢] (علب السمك الفارغة، وأنصاف الأرغفة ،وورق الجرائد ، وبعض الصراصير)[٣] (وفي غمرة ذلك يحشر الكائن البشري ويشيئه .. وإذا كانت هذه الصورة مكملة لما جاء في اللوحة الأولى من حيث التاكيد على الهامشية فإنها تحتوي على عنصر نقيض لها يقحم اللوحة ويفجر فيها المفارقة ،ففي غمرة الاستسلام لهذا الإحساس بالتراكم ، والملل تنتصب قامة الشاب المتلحي المصبوغ بالديزل والمحروقات)[٤] (وفي المشهد الرابع يتعمق الإحساس بالاغتراب حيث العودة إلى تأكيد الانفصال)[٥]

وعبدالعزيز مشري، ثالث الكتاب الثلاثة الذين أصدروا مجموعاتهم القصصية الأولى عام ١٣٩٩هـ ، وقد حملت مجموعته عنوان "موت على الماء" وتأتي قصة "الفارس دخل المدينة قديماً"[٦]في أول المجموعة، وفي هذه القصة يوميء الكاتب إلى غربة الإنسان داخل المدينة ،بعد أن أصبحت ميداناً للصراع المادي والآلي، ذلك الصراع الذي فقد فيه الإنسان الإحساس بقيمته إنساناً وفرداً، فقد صور المشري في هذه القصة الإنسان فارساً، عاد إلى المدينة بعد غياب ،ممتطياً صهوة جواده، متقلداً صارمه(وهو يتشبث بأقاصي الملاحم ، ويطارد عناوين الحروب)[٧]عاد يشكو

---

(١) محمد صالح الشنطي.القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية . ص٢٢٦

(٢) المرجع السابق . ص ٢٧٧

(٣) مجموعة "وجوه كثيرة أولها مريم" . ص ٧٣

(٤) محمد صالح الشنطي.القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية . ص٢٢٧

(٥) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(٦) انظر مجموعة "موت على الماء" .السعودية ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . ص ١٤

(٧) المصدر السابق . ص ١٥

جوعه وظمأه وغربته التي طالت ،في محاولة لاستعادة ما تبقى له من كرامة،، ولكنه ما لبث وأن عاد من حيث أتي ، مجدوع الأنف ،مسلوب الكرامة ،وتنتهي القصة والفارس (يقفز ويصفق ويدور حول جواده الذي بدأ يداعب صهيله، ينقب زوايا السكون .. تتجاذبه رؤوس الكثبان في بطء شديد .. يرقص الفارس على مواطيء قدميه.. يفقد صارمه الخشبي.. تزدرده بلاعم الصحراء.. تودعه بطنها الحلزوي الطويل.. تخفيه من الأحداق الملتهبة بحثاً .. يعود الفارس يتمرغ كالثعلب في الدميسة.. ويعود ينقب عن سلاح هامد في حلقات العدم، وحين ..حين .. حين قال : لو أنه حاد لما غاب في رغاوة الزبد الصحراوي الكثيف.)[١]

ومما يلاحظ على المجموعة الأولى للقاص، إيغاله في استخدام الرمز، بصورة استغلق معها فهم الكثير من المعاني التي أرادها الكاتب، إن لم تكن جميعها، فلم يعد للقاريء من هاد سوى ذلك الإحساس بالكآبة الذي تشيعه القراءة في نفسه، والذي ينقل إليه شيئاً مما يريد الكاتب قوله على لسان أبطاله الغرباء، المأزومين ، في جميع القصص .

إلا أن اسلوب الكاتب أصبح أكثر وضوحاً فيما تلا "موت على الماء" من أعمال ،وإن تكن الهموم هي هي ، ففي مجموعته الثانية "أسفار السروي"، لايزال الكاتب على موقفه من المدينة، على اعتبار أنها ميدان التحول الحضاري الخطير، الذي راحت ضحيته الكثير من القيم الإنسانية المتمثلة في أصالة الأشياء وبساطتها، وعذريتها، ومن هذا المنطلق يجد القاريء لقصص "أسفار السروي" (أن في كل قصة تيارين أو موقفين أو معنيين أو رمزين.. قد يبدوان متضادين - أي يحملان من اسلوب المفارقات الشيء الكثير - ولكنهما متكاملان ، أحدهما يمثل الأصالة العربية الإسلامية ،والآخر يمثل الرؤية الفكرية المعاصرة... ومن هنا فإن قصص المشري تقوم على فكرة الصراع الدرامي، ولكن ليس بالصراع التقليدي المفتعل المتشنج، وإنما الصراع الهادي الهادف الذي يوحيه المشري ولا يلقي به)[٢]

ففي قصة "عنترة بن رداد "[٣] مثلا (سيجد القاريء نفسه أمام نموذجين إنسانيين ، الأول منهما عنترة بن رداد الذي يعود بذاكرة القاريء

---

(١) مجموعة "موت على الماء" . ص ١٩

(٢) محمود رداوي ، المجلة العربية،العدد١١٠ - السنةالعاشرة. ربيع الأول١٤٠٧هـ -١٩٨٦م-ص٢٢

(٣) انظر مجموعة "أسفار السروي" . السعودية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ٩

إلى الوراء حيث التراث الشعبي الذي يتردد فيه اسم عنترة رمزاً للتحدي والصمود ومجابهة القهر والظلم والقمع)[١] أما النموذج الثاني فهو صاحب عنترة الذي لا اسم له، والذي رافق عنترة في السير وسط الشارع الأسود، ومع أن الدرب قد جمعهما إلاّ أن كل واحد منهما على النقيض تماماً من صاحبه فقد (مثّل عنترة الجانب العملي الايجابي للأصالة العربية، في رفضه للذل بكل ثقة، بينما كان صاحبه ممثلاً للجانب السلبي الراضخ للأمر الواقع، المستسلم له بكل انكسار وإذعان.)[٢] (لقد كان عنترة يغني ..يرفع عقيرته.. فتلعلع في المباني التي ارتفعت من اليمين ، ومن الشمال.. تصطدم القوافي مثل لمعان البرق بواجهات الزجاج ،وتسقط كما العصافير فوق الإسفلت ،وتحت قواعد العمارات الشامخة، يحمحم، يرفع عقيرته :

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل

مر مذاقته كطعم العلقم)[٣]

بينما لم يملك صاحبه سوى أن ضغط (على مسبحة فسفورية ،كانت في يده.. حتى كاد ان يعصرها)[٤] ثم (التفت إلى عنترة وقال :

يا ابن بني عبس ، أتدري أننا نمشي في الشارع، بعد منتصف الليل ؟

رد عنترة وأنفه في السماء :

أنت من قبيلة لاتعرف الشجاعة، ومذ عرفتك لم أر في يدك إلا هذه المسبحة)[٥]

وحين اعترض طريقهما شخص ثالث تعمد أن يكيل لهما الإهانات، ما كان من صاحب عنترة إلا أن (حنى رأسه وقال: أمرك سيدي)[٦] بينما لم يأبه عنترة (بل اختطف العصا من يد الرجل .. نزل وسط الشارع وصاح : هل من مبارز؟، هل من مناجز؟ .. قال الراوي : وبهدوء مشحون بالثقة ، أخرج الرجل المسدس من مخبئه، صوبه نحو صدر عنترة.. ثلاث طلقات متتالية

(١) محمود رداوي ، المجلة العربية، العدد ١١٠ - ص ٢٢

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(٣) مجموعة "أسفار السروي" . ص ١٣

(٤) المصدر السابق . ص ١٤

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٦) المصدر السابق . ص ١٩

فتركه يفرك بدمه جسد الإسفلت اللامع تحت الضوء، ظاناً أنه قد مات . غير أن عنترة صرخ : إني قادم .. قادم ، لا أهاب الموت .. وظل صراخه .. يهز كل جماد .أما ما كان من أمر صاحب عنترة فقد بكى قلبه.. حتى تفجرت مسامه بالقهر.. ولم يحس بفرط مسبحته، إلاّ عندما انطلقت به السيارة كالريح ..في الشارع الطويل .)(١)

فمن الواضح أن المشري إنما أراد من قصة "عنترة بن رداد" أن يلمز واقع الإنسان المعاصر، بالإيماء إلى موقفه السلبي من الحضارة الحديثة التي أخذت منه اكثر مما أعطته، بينما هو محني الرأس أمامها، مسلوب الإرادة والتمييز ، ومن هنا كان اعتماد المشري على الذاكرة الشعبية التي يستمد منها (الكثير من قصصه ،وبخاصة أجواءها وأحداثها، فيعرف كيف يستمد من ذاكرة التراث، وذاكرة التاريخ، وذاكرة الشعب .. فيصبح القاريء يطالع حكايات ليست غريبة عنه، لأنها تنبع من ذاكرته ..ذاكرة مأثوراته الشعبية ..وبالتالي ، تصبح قصص المشري تمثل بيئته أحسن تمثيل، وقد نقع على ذلك مباشرة من النصوص الشعرية أو الدينية المقروءة في العمل القصصي، أو يوحي بها في الأجواء القصصية،وفي الحالين فإن القاريء سيعيش تلك الذاكرة الشعبية على نحو ما، وبالتالي سنحس بأن المشري قد استطاع أن يوظف تلك المأثورات التاريخية الشعبية في عمل ابداعي لايخلو من رؤية فكرية معاصرة مركزة)(٢) وقد كان اتكاء الكاتب على جملة "قال الراوي" في قصة "عنترة بن رداد" بمثابة استثارة لهذه الذاكرة الشعبية لدى القاريء ،بشكل يؤكد على ارتباط الكاتب بهذه الذاكرة ،وإصراره على تطعيم قصصه بهذا المأثور الشعبي ،من خلال المزاوجة بين القديم والحديث مزاوجة ينفلت من خلالها المعنى الذي يريده الكاتب بشكل عفوي بعيد عن الافتعال أو التشنج. ولعل هذا الملمح ينسحب على جميع أقاصيص المشري دون استثناء.

(وفي قصة "من السروي الى شوق *" يجد القاريء الموازنة بين حياة الريف والمدينة،تأتي من خلال رسالة يبعث بها السروي إلى رفيق صباه في

---

(١) مجموعة "أسفار السروي" . ص ٢١

(٢) محمود رداوي ، المجلة العربية، العدد ١١٠ - ص ٢٢

* انظر مجموعة "أسفار السروي" . ص ٣٥

القرية "شوق" يبثه فيها اشواقه وحنينه إلى صفاء القرية وعذرية الطبيعة التي يراها السروي رمز البراءة المشدودة إلى الجذور في قريته وريفه، رغم الهجرة إلى المدينة التي يمقتها) [١]

والصراع نفسه تحكيه قصص الأبواب[٢] حمدان يسأل[٣] الغائب[٤]،ويصلكم مع حامل الرسالة.[٥] (وإذاً كانت مأساة القروي في الأولى والثانية تترجم قضية ضياع القروي - من بعد الهجرة - في خضم المدينة ،فإن مأساته في القصة الثالثة تترجم نهايته ، من بعد ارتياد المجهول في خضم الصحراء)[٦].

أما قصة "يصلكم مع حامل الرسالة" فهي تصور غربة العمال في المدن السعودية .. وهي تتخذ شكل الكفاح في طلب الرزق خارج الوطن .. جاءت رؤية المشري ،وجزء من القصة ،عبر رسالة يمني لذويه: (اقتعد مكانه المأنوس، قرب عمود النور.. ذي الذراعين الممتدين ،ثم أملى على رفيقه الذي حنى رأسه نحو الورقة البيضاء المفرودة فوق ركبته اليمنى .. وراح يرصد بعينيه ذبذبة القلم، بين أصابعه المرتجفة . أملى عليه.. بلهجة يمانية .. فيها الكثير من تكلف اللغة: وسلامي إلى الوالدة الحنون، وإلى الأخ مرشد وحرمه، وإلى عمتي رفعة وأولادها.. وسلامي إلى أختي حجة، وشقيقي العزيز حميد، وأنا إن شاء الله ،في أول شهر الفطر الثاني ،أكون عندكم. يصلكم مبلغ ستمائة ريال سعودي، مع حامل الرسالة ...الخ)[٧]

(وبهذا تظل الذاكرة الشعبية من خلال رسائل الشعب ورسائل ذويه ،رمزاً لحب الأرض والتعلق بها. ولذلك تجيء نهاية قصة "من السروي إلى شوق "حين نرى السروي يلصق ظرف رسالته وبقلبه كلام كثير عن حبه للأشجار والناس والطين.. وتتبلور الذاكرة الشعبية في قصة "ترحلون" من خلال ما يروج في الواقع الشعبي من أحداث عربية، يتناقلها الناس ..

---

(١) محمود رداوي ، المجلة العربية، العدد ١١٠ - ص ٢٣
(٢) مجموعة "أسفار السروي" . ص ٦٣
(٣) المصدر السابق . ص ٩٣
(٤) المصدر السابق . ص ٨٣
(٥) المصدر السابق . ص ٧٥
(٦) محمود رداوي ، المجلة العربية، العدد ١١٠ - ص ٢٢
(٧) مجموعة "أسفار السروي" . ص ٧٩

بدءاً من بيروت الدمار، ومخيمات الفداء ،ومروراً بالأمة العربية عبر صحفها وإذاعاتها وتلفزيوناتها،وما تضج به من أخبار وتصريحات وأناشيد ومسلسلات ،وغيرها من شئون لم تبرح الذاكرة الشعبية.. وانتهاء بالعالم ومواقفه ومخططاته السرية والمعلنة،من وراء الكواليس، أو عبر هيئة الأمم ،كلها توارت لترسم لنا صورة المأساة الأخيرة ،مأساة ترحيل الفدائيين عن لبنان، وتستحيل تلك الصورة الشعبية إلى رؤية مصيرية للمحنة ،لتظل صورتها مجسمة في الأذهان .)[١]وتأتي المجموعة الثالثة لعبدالعزيز مشري"بوح السنابل "عام ١٤٠٧هـ مؤكدة على المضامين نفسها، التي جاءت في مجموعتيه السابقتين، إلا أن اسلوب الكاتب في التناول ،قد أصبح اكثر نضجاً خاصة فيما يتعلق باستخدامه للغة، وهذا ما سنشير إليه في مكانه من هذه الدراسة.

فقصص "بوح السنابل" تنبش جميعها في الواقع الشعبي لإنسان هذا البلد، وتهز وجدان القاريء بالكثير من المشاهد التي تصور كفاح هذا الإنسان من أجل لقمة العيش،وإصراره على الارتباط بأرضه، هذه الأرض التي قد تعجز - رغماً عنها - في كثير من الأحيان عن حماية أبنائها من لسعات الجوع والعطش والحرمان، مالم تسعفها رحمة الله بالمطر، إلى جانب تصوير هذه القصص للكثير من الأخطاء الاجتماعية التي قد تنشأ من جهل هذا الإنسان ، واستسلامه للكثير من العادات والتقاليد الخاطئة.

ففي القصة الأولى "اليوم الثالث"[٢]يعالج الكاتب ظاهرة من الظواهر الاجتماعية شديدة الانتشار خاصة في القرى والأرياف ،وهي "الإشاعة والخرافة" فقد مات الأب تاركاً "زينة" ومعها ثمان من البنات بعد أن لفظ (كلمته التي لم يتنفس بعدها أبداً : يا زينة ، ليس بيدك ولا بيدي ..خذي هذه الفروخ من رقبتي ،وعلقيهم برقبتك، كما تعلقين مفتاح الحجج والصكوك)[٣] وحملت زينة الحمل بعزم كعزم الرجال، وتعاونت وبناتها على فلاحة الأرض ،وحين (هبط نضح السماء ،فأحيا الأرض التي تحيا عليها الأحياء ، وتناسجت يد الأم بأيدي الفروخ الذين يعلمون بحمل العيش والذين لايعلمون ،وبان لعيون الطامعين والراقبين قوة العزم والعضد)[٤] قال بعضهم

---

(١) محمود رداوي ، المجلة العربية، العدد ١١٠ - ص ٢٢
(٢) أ نظر مجموعة "بوح السنابل" .السعودية. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ٧
(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق . ص ٨

(لو أنه ترك فيهم ولداً رجلاً يحميهم باليد والعين)[١] وقال آخرون (امرأة مع بناتها .. ليس للحرمة غير ظل الرجل، وليس للبنات غير سترة الأزواج.. طاح رجال بزنود خضر، تطيح أرملة ولو برز زندها)[٢] ولما كثر القيل والقال ، لم تجد زينة بدأ من الزواج برجل ألح على طرق بابها، وكثرت حوله الأقاويل، فقال القائل: (قطعت شك القيل والقال، وفعلت الحلال، واستظلت بظل رجل)[٣] ومر وقت من الزمن فيه (يبست ألسن الناس في أفواهها)[٤]وزوجت زينة من بناتها اثنتين، وخطبت الثالثة، ولكن الألسن ما لبثت أن استيقظت فقال قائلها:(ألا يعلم هذا الفلان الذي لايطير شرابه إلاّ قرب ملتها، أن الميتمة انقلبت مع الترمل كرجل، تمد وترد وتأمر وتنهى ،يالفلان أبو فلان، لاشخص له، ولا حول فيما تقوله زينة)[٥] فما لبث هذا الفلان وأن طلقها (فما شكت ولا نجل عقلها بمعرفة الأشرار)[٦] وأخيراً وبرغم شجاعة زينة، وقوة إيمانها بالله، تقع فريسة لمشعوذة تختلق لها الأكاذيب، وتثير في نفسها الشكوك، لتحصل منها على ماتريده ،فهي تقول لها:

(- بك واحدة لا ترحم، جنية لايقدر على استنطاقها من روحك غيري.. أماتت حامي عيالك ،وفرقت بينك وبين زوجك بالبهتان، هادمة اللذات، مفرقة للجماعات)[٧] وهنا (عصفت رياح الهمز واللمز بفم من لا شأن له بترك أحوال الناس، فقالوا : جنية ترافقها، جاءت على زوجها الأول، وقسمت بالطلاق مع زوجها الثاني، منعت الخمس من الزواج، وقطعت نصيبها في الثالث... تقاطر وقر الكلام في سمع زينة، فأوجست في بدنها الجن، وذهبت تحدث بالصوت في الوحدة نفسها، ثم ارتقت الحال، فكانت تغني، ويخرج غناؤها إلى آذان من يمر بالطريق جانب الدار، وترمي

---

(١) أنظر مجموعة "بوح السنابل" . ص ٨

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٣) مجموعة "بوح السنابل" . ص ١٢

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٦) المصدر السابق . ص ١٣

(٧) المصدر السابق . ص ١٥

.. عفونتها..قيل البرد اغتال زينة، وقيل : صاعقة دعتها الجنية فلبت وصرعت).[١]

فماذا فعلت زينة الأرملة أولاً والمطلقة اخيراً، لتكون هذه نهايتها؟ ولماذا أساء اليها المجتمع هذه الإساءة ،بدلاً من تقديم يد العون لها؟ أو على الأقل ، تقدير ما كانت عليه من صبر وشجاعة، وتحمل للمسئولية، والإشادة بما كانت عليه من جلد، قد لايكون عليه كثير من الرجال (فالناس هم الذين اغتالوا زينة، وليس البرد ولا الجن ،فالناس بدأوا محاربتهم لزينة عندما شككوا في قدرتها على حماية وإعالة نفسها وبناتها اليتيمات، فقالت الألسن: "لو ترك فيهم ولداً رجلاً يحميهم باليد والعين" وكأن الولد الواحد أقدر على الإعالة والحماية من تسع إناث، وبعد ذلك تأتي المحاولات المتواصلة دون انقطاع للتشكيك في قدرات زينة العملية، وفي سلوكياتها الأخلاقية، ثم التشكيك في سلامة عقلها،ويقع اتهام زينة بالجنون.. وهنا لايبقى لزينة مكان بين اولئك الناس ،فتموت وحيدة إلى درجة أن لايتنبه الناس لجثتها إلاَّ بعد انتشار رائحتها.)[٢]

وبرغم بشاعة الصورة التي تقدمها لنا قصة "اليوم الثالث" إلاَّ أنها صورة استطاع المشري التقاطها من صميم الواقع المعاش، لتكون نموذجاً من نماذج قسوة الإنسان وظلمه لأخيه الإنسان، لأسباب معروفة أو غير معروفة كما في قصة "اليوم الثالث" . كما أن الظلم قد يكون من أقرب الناس إلى الإنسان، بدافع من الجهل وقلة الوعي، كما في قصة "الحجر"[٣] حيث تسبب حجر رماه الأب بكل قسوة في إصابة الابن بإعاقة دائمة، أصبح على أثرها ناقصاً من وجهة نظر المجتمع (فلمجرد عرج في رجله ،يحرم "مانع" من علاقات سوية مع الناس الذين يتهمونه بالبلاهة والجنون، كما أنه يحرم من الدراسة ومن الزواج ... وبهذا تصور لنا قصة الحجر ما يتعرض له الأطفال في كثير من أنحاء مجتمعنا العربي والمجتمعات الإنسانية من ظلم من قبل آبائهم،ويتحمل الأبناء طيلة حياتهم أخطاء الآباء في تربيتهم) [٤] كما انها تصور واقع الإنسان المعاق وأنه (لايزال في مختلف المجتمعات الإنسانية يعاني بدرجات متفاوته من عدم تفهم الناس لظروفه

---

(١) مجموعة "بوح السنابل" . ص ١٦
(٢) نبيهة بشير ،جريدة الرياض.العدد٧٦٦٢ ،الخميس ١٢ذوالقعدة ١٤٠٩هـ -ص١٨
(٣) أنظر مجموعة "بوح السنابل" . ص ١٩
(٤) نبيهة بشير، جريدة الرياض. العدد ٧٦٦٢

ومن قلة الفرص المتاحة أمامه)[١]

وفي قصة "البعيثران"[٢] (نلتقي مع المرأة التي يطلقها زوجها بعد أن أصبح غنياً، ويتزوج بغيرها، كما أن ابنها يغيب طويلاً عنها ثم يزورها لاسترجاع بعض الذكريات، وبعد ذلك يودعها وهو ينوي عدم الرجوع لرؤيتها.. ونلاحظ أن تلك المرأة رغم تركيز حياتها ووقتها وجهدها على الزوج والابناء، فإن مكافأتها بعد أن تكبر تكون تطليق الزوج وابتعاد الأبناء عنها، وإهمالهم لها. ويبدو لي أن وضعية هذه الأم والمطلقة موجودة بنسب تستحق الإهتمام .)[٣]

وفي قصة "المدفأة"[٤] يجتمع الرجال حول مدفأة الجاز، في يوم ممطر، ويصل بهم الحديث إلى ذكر الحرب ، فيروي لهم أكبرهم سناً – وهو في السبعين من عمره – ما تختزنه ذاكرته عن الحرب: (صواب ما حدث.. إن الناس يزيدون نارها بالحطب، ويتذرعون بالقيل والقال، وتشب الحروب ولايطفئها غير دماء الأوادم ...من أجل سفاهة البعض.. يموت البعض ويتيتم البعض.. والبعض يترمل)[٥]

(وهذه القصة تجعلنا نقارن بين الماضي والحاضر العربيين، ففي الماضي الذي ترويه القصة، تحارب القبائل العربية بعضها من أجل سفاهة البعض، او الانتقام لشرفها، والثأر لقتلاها، وأسباب أخرى . وفي عصرنا الحاضر يحارب الكثير من العرب بعضهم البعض ،في اكثر من موقع ، بطرق عديدة، ولأسباب واهية، ولكنهم لايستطيعون مواجهة ومحاربة العدو الحقيقي الأجنبي، الذي يهدد بالفناء الوجود العربي ككل من المحيط إلى الخليج أرضاً وشعباً ،جسداً وفكراً، اقتصاداً وثقافة)[٦].

وقصة "الأقوال"[٧]تتحدث عن تلازم الفقر والمرض وشدتهما على من

---

(١) نبيهة بشير، جريدة الرياض. العدد ٧٦٦٢

(٢) انظر مجموعة "بوح السنابل" . ص ٣١

(٣) نبيهة بشير، جريدة الرياض. العدد ٧٦٦٢

(٤) انظر مجموعة "بوح السنابل" . ص ٤٥

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٦) نبيهة بشير، جريدة الرياض. العدد ٧٦٦٢

(٧) انظر مجموعة "بوح السنابل" . ص ٥٥

يقعا عليه فـ(أبو مسعود يصاب بالمرض لمدة طويلة، ولأنه فقير، لايذهب للطبيب إلا بعد فوات الأوان، ثم يموت تاركاً زوجته وحيدة، وعليها مسئولية إعالة أولاد ثلاثة، وبنت في المهد)[١] (والأرض بخيلة إذا ما قاطعها المطر، والبيت فقير اذا عز جني الحصاد. والحال تمتد لساناً من الدم من المعدة إلى حدود الشفاه، عند طرف اللسان،فماذا يقال في مثل هذه الأحوال؟)[٢] (ويمكننا أن نتصور حجم المعاناة التي سوف تواجهها الأرملة بعد رحيل الزوج الذي كان يحمل بعض الحمل عنها، وهكذا يصفعنا الفقر مع المرض، فلو كان أبو مسعود يمتلك المال لربما استطاع أن يعالج نفسه في الوقت المناسب، ولبقيت الأسرة تنعم بالدعة والاستقرار . ولو فرضنا موت "أبو مسعود" الغني فإنه سيترك للزوجة وللأبناء ما يكفيهم من المال لسد حاجاتهم. أما أبو مسعود رمز الفقير في ا لقصة ،فإن المعاناة والحرمان تلاحقه حياً، وتلاحق أسرته ميتاً .)[٣]

وفي القصة الأخيرة "رسالة فوق البوح"[٤]يستحضر الكاتب قضية العرب الكبرى "فلسطين" من خلال رسالة يبعث بها بطل القصة إلى صديقه في بلاد الغربة، ليبثه ما يحسه من مرارة وأسى ،وصلت به حد السخرية اليائسة، إذ يقول: (سمعت يا صديقي، أن فلسطيننا ستعود، لاتعجب، فبيتين(*) من الشعر العمودي،تعيد كل المنزحين والمهجرين والمغربين إلى أوطانهم ،ولا تثق في السلاح والرصاص والفتك النووي.. فكلها أمور لاتتغلب على قوة الأعداء، بل بالشعر المقفى ،والخطب ،وكلمات الحفلات . ولا تستعجل فإن غداً لناظره قريب)[٥] وبهذه الكلمات لايخفى ما يقصده الكاتب من لمز الواقع العربي المستسلم ،المتخاذل عن مواجهة العدو، وإن فكر في المواجهة، فإن هذه المواجهة لا تعدو مجرد الشجب والتنديد، وتدبيج الخطب ونظم أبيات الشعر !!

وبهذا تأتي واقعية المشري وهي أقرب ما تكون إلى الواقع المعاش، فهي واقعية تفوح منها رائحة الأرض والسنابل، والبعيثران والطلح، كما تفوح منها

---

(١) نبيهة بشير ، جريدة الرياض . العدد ٧٦٦٢

(٢) مجموعة "بوح السنابل" . ص ٥٥

(٣) نبيهة بشير . جريدة الرياض . العدد ٧٦٦٢

(٤) انظر مجموعة "بوح السنابل" ص ٧٩

(*) هكذا وردت . والصحيح فبيتان من الشعر .

(٥) المصدر السابق . ص ٨٢

معاناة إنسان هذه الأرض وهمومه التي تتعدد أشكالها بتعدد هموم الإنسان المعاصر في كل بقعة من خارطة الوطن العربي ..

وتصدر مجموعة "الظمأ" لعبدالله عبدالرحمن الجفري عام ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م حاملة للروح نفسها التي جاءت في أقاصيص الجيل الجديد من كتاب القصة السعودية القصيرة، النابضة بالمعاناة والحرمان .

ففي قصة "لاشيء كل شيء" [١] يجد القارىء نفسه مع بطل القصة والشخصية الوحيدة فيها سائراً في احد الشوارع بعد منتصف الليل، وهو يحدث نفسه بما يعانيه من هموم وأحزان باحثاً لهذه النفس عن الراحة التي لا تأتي :(أقرع كل ليلة جدران الزمن ،فلا يأتيني صدى)[٢] مصوراً حالته النفسية (تماماً كما طقس جدة يأتي شتاؤها كومضة الفلاش، بمجرد أن تهدأ نفسيتي وأبحث لها عن الدفء .. يخترقها الصيف .. تتحول إلى حرائق ، ولفح مستمر من هجير قائظ)[٣] تتصارع في داخله أشياء كثيرة.. الراحة التي لاتأتي ،إيجار الشقة، تقسيط السيارة، رئيسه في العمل الذي لايرحم، أمه التي تنتظره ،خطيبته التي تريده أن يثبت لها حبه (أنا أريدك وحدك، أريد الإنسان الذي يفكر في كل وقته، ويحلم معي بالمستقبل ،أنت حتى الآن لم تشتر قطعة أرض من أجل أن تبني عليها "فيلا" تملكها)[٤] كل هذا إلى جانب أخبار الصحف وما تحمله من صور الاعتداءات والانتهاكات ،العدو الاسرائيلي ،القنابل ، الطائرات المختطفة، حرب لبنان ... الخ .. وبالرغم من كل هذا هو يفلسف الحياة كلها في كلمتي / لاشيء كل شيء/ ويقول : (لماذا نصدع رؤوسنا بالمناظرات والمقايسات !! غداً يوم جديد اسمه : طز !.. إنه كباقي الأيام تتأخر وهي تتقدم) [٥] حياته حافلة بالمفاجآت ،فقد مات أبوه فجأة ،وترك دراسته فجأة، واشتغل فجأة، وأحب خطيبته (وعندما تنتهي ساعة من يومي ..أحس بعد انتهائها

---

(١) أنظر مجموعة"الظمأ" . السعودية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . ص ١١

(٢) المصدر السابق . ص ١٤

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق . ص ١٨

(٥) المصدر السابق . ص ١٩

بمفاجأة .. بأن الساعة ذهبت وعملت فيها شيئاً لا ادريه ،أولا أريده ولا أنتظره)[١]لذا تساوت عنده الأشياء فـ (العمر كل شيء .. ونهدره في اللاشيء)[٢]- كما يقول - وأصبحت قضيته في الحياة (إنني لا أُفكر كيف أحيا .. بل أفكر كيف سأموت)[٣] وحين عاد إلى البيت ،وجد مفاجأة جديدة في سلسلة المفاجآت التي حفلت بها حياته. لقد عاد في آخر ليلته تلك ليجد غرفة أمه مضاءة (هرولت فزعاً انتظر المفاجأة الأخيرة في نهاية هذا اليوم !

أمي .. أمي

ووجدتها تغط في نومها ، وبين أصابعها مسبحتها "الألفية" . لقد نامت قبل أن تطفيء النور. وصعدت زفرة ارتياح . لا أريد أن تموت أمي .. حتى أستطيع أن أعود إلى البيت كل ليلة.. إنها كل شيء في اللاشيء)[٤].

وفي الصباح يكتشف أنها ماتت، ولكن موتها لم يكن النهاية بالنسبة له (أصحاب القلوب الكبيرة يموتون بحزن بسيط هل تنتهي الأحلام هكذا؟ هل هذه بداية الحياة أم نهايتها؟! ماتت .. وكل شيء .. هو لاشيء !!

ستكون الحياة حزناً بسيطاً .. بسيطاً !!)[٥]

من الواضح أن القصة ، إنما تحكي واقع إنسان هذا العصر، وما يعانيه من شعور بالضياع والحيرة والتمزق والرفض لكل شيء نتيجة لشعوره بالعجز أمام الضغوط الكثيرة التي تفرضها عليه ظروف الحياة الجديدة، التي أحلت المادة والآلية محل الكثير من القيم الإنسانية .

ويتكرر الواقع نفسه في قصة "الإجازة"[٦] حيث لايزال البطل يتجول بحثاً عن الراحة التي لاتأتي. تبدأ القصة بأن يخرج البطل في أول يوم في أيام إجازته ،فيكتشف أنه لايملك شيئاً يشغل به وقته أو مكاناً يمكنه الذهاب إليه ليتمتع بالإجازة ويفعل مثلما يفعل كثير من الناس (حينما يؤجلون أعمالهم، ويبتعدون عن كـــدهم ، ويهـــربون إلى الراحة من تعـــب يومي

---

(١) مجموعة "الظمأ" . ص ١٧

(٢) المصدر السابق . ص ١٦

(٣) المصدر السابق . ص ١٧

(٤) المصدر السابق . ص ١٩

(٥) المصدر السابق . ص ٢١

(٦) المصدر السابق . ص ٢٩

متواصل .) [١] حتى أنه تساءل في نفسه : (لماذا يحتاج المرء دائماً إلى فترة من الكسل.. من الهروب والاختباء ؟) [٢] تجول في الشوارع بسيارته دون فائدة، (فكل هذا الازدحام في الشوارع هو سيارات، صخب، قلق، ولكن النفوس فارغة) [٣] ذهب إلى دار السينما، فوجد هناك الكثير من الناس ،ومن فئات مختلفة ،جاءوا جميعاً بحثاً عن المتعة الرخيصة (كل هؤلاء جاءوا لرؤية امرأة ، لاتهمهم القصة، لا يهمهم الحوار في الفيلم، المتعة أصبحت رخيصة ياخلق الله) [٤] يترك السينما،ويذهب إلى شاطيء البحر فيجد نفسه وحيداً(والصمت يلف الليل والمكان والسماء، لا أحد معه، ولاأحد له.. وكل الحياة في صدره) [٥] فتمنى لو كان باستطاعته تقليد العجائز في النوم ا لمبكر، ليهرب من الفراغ والسأم اللذين يطاردانه في كل مكان. ولكن كما يقول : (نحن ننشغل بالتفكير في الراحة ونعجز أن نقلد العجائز في النوم المبكر) [٦] حاول أن يتشاغل بقراءة الصحيفة، فوجد أن (حرب بيروت لم تهدأ.. الفتنة كالنار في الهشيم .من يشعل النار ؟... الموت حصد كل شيء ، الألوان اتحدت في اللون الأحمر القاني). [٧]

تذكر أنه في اجازة ففضل أن يأخذ فنجاناً من القهوة بدلاً من أن يصدع رأسه بقراءة الكوارث التي لاتنتهي. خلا إلى نفسه، تأمل وحدته، خطرت له فكرة الزواج، ولكن عمه مصر على أن تعيش ابنته في فيلا لايقل ثمن غرفة النوم فيها عن ثلاثين ألفاً . بينما هو لايملك غير عشرة الآف ريال، فما كان منه إلاّ أن طرد الفكرة من رأسه سريعاً، بل لقد أخرجها من رأسه تماماً، فكر في النوم كأفضل وسيلة للهروب والارتياح، ولكن دون فائدة . خرج من منزله مرة أخرى ، تجول بين المحلات ، توقف عند محل للتسجيلات ، فوجد صاحبه يحاول أن يروج لما لديه من أشرطة هابطة

---

(١) مجموعة "الظمأ" . ص ٣٢

(٢) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٣) المصدر السابق . ص ٣١

(٤) المصدر السابق . ص ٣٢

(٥) المصدر السابق . ص ٣٤

(٦) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٧) المصدر السابق . ص ٣٥

يريد أن يغريه بشرائها، فما كان منه أمام هذه العروض الكثيرة إلاّ أن طلب شريطاً فارغاً، أو كما قال : (شريط مسجل عليه .. مسجل عليه ولا شيء) [١] ثم لاحت له – فيما يبدو – صورة المرأة التي طالما صورها له الخيال دون أن يكون لها في واقعه وجود، فطلب من صاحب المحل شريطاً لموسيقى قديمة اسمها "شهرزاد" مما أثار عجب البائع واستنكاره ، فانصرف هو من المحل ساخراً مستهزئاً ثم عاد إلى شقته . تابع برامج التلفزيون إلى أن انتهت فأغلقه و (قام يتجول في الشقة الصغيرة،علبة سردين ملقاه في ركن الغرفة، جريدة فيها بقايا خبز، ثوب متسخ ومهمل فوق السرير... قذف بالثوب على الأرض ..أمسك بديوان شعر قديم، اشتراه ذات يوم من بيروت قبل عامين)[٢] اسمه "معزوفة لدرويش متجول" لاحظ الشبه بينه وبين هذا الدرويش المتجول وأخذ (يستعرض الصفحات ،يتوقف قليلا وهو يقرأ بصوت مرتفع :

– فأنا جسد .. حجر .. شيء عبر الشارع

جزر غرقى في قاع البحر

حريق في الزمن الضائع ..

أخرج لسانه ،أغمض عينيه والكتاب على وجهه.. يريد أن يفعل كما العجائز، يريد أن يحلم بصور مرت بالأمس . الأمس ، واليوم ، وغداً.. الشبه واحد.. لاشيء يتغير.)[٣]

وفي عام ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، أصدرت الكاتبة خيرية السقاف مجموعتها الأولى "أن تبحر نحو الأبعاد" التي (تستلهم مضامينها، وأفكارها ، بل شخصياتها ، من واقع حي تعيشه،وتلمسه وتعايشه بكل إحساس صادق، ومعاناة لانهائية،وتقف على قضية التطور والتغير التي تصيب ذات الإنسان ،في مرحلة الانتقال والتجاوز)[٤]وقد شكل واقع الإنسان

---

(١) مجموعة "الظمأ" . ص ٣٧

(٢) المصدر السابق . ص ٣٨

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٤) نصر محمد عباس . مجلة عالم الكتب. المجلد الرابع، العدد الأول ١٤٠٧هـ – ص ١٠٥

بكل همومه وآلامه وتطلعاته المحور الأساس لهذه المجموعة،وهذا ما أقرته الكاتبة منذ أول ورقة في مجموعتها حيث تقول : (يا إنسان .. يا قضيتي الأزلية.. متحت من الواقع .. وأنت الواقع .. بكل أبعاده وأحجامه ..

هذه اللوحات بين اليدين ، ما هي إلا نقل مباشر استعضت فيها بدل الحركة الحية على أرض الواقع الملموس ،المفردة الجامدة تخاطب التصور والفكر ...

اضفيت عليها الحس .. لأنني أحس ..

وأنت مصدر إحساسي أيها الإنسان ..

ليتهم لا يتوقعون نهايات ولا بدايات ..

ذلك لأن كلماتي جسر بين التراب والورق .)(١)

ففي قصة "رأيتها وكفى"(٢) عالجت الكاتبة واقع كثير من الأبناء الذين يعانون اليتم والضياع، والإحساس بالظلم والقهر، نتيجة انفصال الأبوين ، لأسباب كثيراً ما يجهلها الأبناء ،مع أنهم وحدهم الذين يجنون ثمرتها.

"رها" بطلة القصة، تقع ضحية لعدم الوفاق بين والديها، وتجد نفسها دون ذنب مقيمة في مدرسة داخلية للأيتام، فقد نأى عنها والدها، بينما ودعها إخوتها عند باب المدرسة بقولهم :(تيتمت قبل أن نموت يا رها)(٢) فكرت في الهروب من المدرسة في محاولة فاشلة لرؤية أمها التي لم ترها منذ تلك الليلة التي تركتهم فيها بعد الطلاق، حاولت الهروب ،وفي يدها رسالة تريد أن تبعث بها إلى والدها القاسي تحمله فيها مسئولية ما حدث، ولكن محاولتها فشلت،فوجدت نفسها في لحظة اعتراف أمام مديرة المدرسة ،وقد سقطت من يدها الرسالة، و (انخرطت في بكاء لا تسقط له عبره، إذ انحبست عبراتها بين جفنيها: - هذه اللحظة يتكوم عمري كله بين ناظري ، أقدمه في مبادرة راضية فوق منضدة هذه التي أمامي.. ما اقسى أن يقدم الإنسان عمره عل كفه، وما أشده من ألم ذلك المنبعث عن الخوف والاضطرار، لا عن الرضا في لحظة القناعة به ..!! كانت دموعها المسجونة في عينيها ،كل دمعة عصا تجلد الماضي والحاضر، سوط يتلوى على نيران جمرية،قذف بها التيار في لحظة مضت ،وانتهت ، واندثرت .

---

(١) مجموعة"أن تبحر نحو الأبعاد" . السعودية .١٤٠٢هـ . المقدمة

(٢) انظر المصدر السابق . ص ٩

(٣) مجموعة"أن تبحر نحو الأبعاد" .ص ١٥

- كانت اللهفة للحصول على لحظة ماتعة، ما أشد مرارة الإعتراف ! ما اقسى الإعتراف عن خطيئة أب هو أبي ..)[١]

وفي قصة "إغتيال الضوء عند مجرى النهر"[٢]تثير الكاتبة مشكلة أخرى تكشف وجهاً أخر لقسوة بعض الأباء وظلمهم لأبنائهم ، فالضحية هنا فتاة أيضاً ، بل تحمل الاسم نفسه "رها" والمشكلة هنا ليست خلاف الوالدين، بالعكس المشكلة تكمن في اتفاقهما، اتفاقهما على اغتيال أُحلام ابنتهما ، بجبرها على الزواج بمن لا تريده، وإن كان ثرياً، إلى جانب حرمانها من إكمال دراستها وتحقيق أحلامها في بناء مستقبل طالما ملأ الحديث عنه أوراقها، التي تناثرت عندما بعث أهلها في طلبها وقد كانت حينئذ طالبة في القسم الداخلي لإحدى الجامعات، فوجئت بطلب أهلها ،وخافت أن يكون قد أصاب أُحداً منهم مكروه (جاء صوت المشرفة: عليك بالسفر إلى والديك . تصوبت نظراتي نحوها.. تصلبت في مكاني. قدماي ما عادتا قادرتين على حملي.. قلبي كالحمامة يرجف بين أضلعي، تلعثمت ،ما أقول لها؟ ترى ثمة شيء قد حدث ؟

- أبي مريض ؟

- لا تبتئسي يا رها، سيكون بخير إن شاء الله .

كانت تلك آخر كلمات سمعتها، أو خيل إلي بأنني سمعتها بصوت المشرفة، والعربة كانت تلتهم الطريق .. لم أتبين شيئاً من ملامح المدينة.. لم أر لمعة الشارع ،ولا بريق الندى، تركت أوراقي نسيت أن الملمها"ثمة من سيقرأ أسراري" لم أُحصد دفاتري، نسيت احتضان أقلامي، تركت حجرتي في عجل، وتلفحت بعباءتي.. وما حفلت كثيراً بما دونها..)[٣]

عادت إلى أهلها .. وعلى أُرض المطار كانت تنتظرها مفاجأة، (على أرض المطار .. انتحر الصدق .. مفاجأة غامضة تلك التي ثقلت على صدري.. انكبت صوتي .. غار في أعماقي .. تمدد بين فمي وصدري.. ما عاد لى صوت !! ها هو ..إنه ..هذا هو .. أبي !! ... أبي ليس مريضاً.. إنه يقف بكامل قوته أمامي على أرض المطار.. يبتسم لي.. ما هو هذا

---

(١) مجموعة "ان تبحر نحو الأبعاد" . ص ١٠

(٢) المصدر السابق . ص ٣٣

(٣) المصدر السابق . ص ٣٦

الدافع القوي لأكذوبة سخيفة كهذه؟؟ ثمة شيء يهجس في أعماقي!! بين موطيء قدمي.. وموطيء قدميه.. تمددت جنازة..!! سخطت لثوان على المشرفة ..ترى هل كذبت علي .. ولماذا .. وهل تجرؤ على ذلك دون إيعاز هل ثمة ما يدعوها لارتكاب خديعة كهذه)[١] لم تجد في أهلها مريضاً، بل أحضروها ،وقطعوا عليها دراستها لأمر آخر (نود أن توافقي على الزواج من رجل تقدم منا سابقاً ورفضته ،ولا نجد مبرراً لرفضك له الآن .

– هو ذاته ذو الجيب العامر والبطن الكبير؟

وبلا مقدمات .. ودون تمهيدات .. لامست يد أمي وجهي في صفعة قوية مفاجئة .)[٢] ثم حُبست ،وضُربت حتى سالت دماؤها، مُنعت من التحدث مع زميلاتها اللاتي أردن الاطمئنان عليها بالهاتف، (بكيت .. تألمت .. ثم تحجرت دموعي .. حملت ملابسي .. وجففت دمي حملت خصلاتي وربطتها بعضها ببعض.. صنعت منها حبلاً طويلاً .. حاولت أن ألف به عنقي.. أمي قدمت لي الحياة والموت.. مرت أيام ثلاثة.. لم أتذوق طعم النوم .. ولا الأكل ..هؤلاء ليسوا أهلي.. خيل إلى أن الطائرة حملتني إلى غير مدينتي.. إلى أناس لا أعرفهم.. ربما أكون في كابوس مخيف ،ولعل المشرفة تأتي بعد ثوان لتوقظني منه.. ولكنها لم تأت .)[٣]

وفي قصة "الانعكاس"[٤] تابعت الكاتبة تصوير ظلم الأهل وعسفهم حيث أجبرت الفتاة أيضاً على الزواج بمن لا تريده، بعد أن حرمت من دراستها، وأحلامها، وزج بها في بيت واحد مع رجل في سن أبيها، لم يكن أقل قسوة من أهلها، أهانها، ضربها، وأخيراً طلقها، لتخرج هائمة على وجهها(ومضت في الطريق .. سقطت دموعها لأول مرة.. الشارع يتحول أمامي إلى وجهه يوم أن رأيته للمرة الأولى حين جمعنا سقف بيت واحد.. ذلك اليوم أجهشت باكية كالآن تماماً.. هناك تحطم كل شيء في ..ذلك الدار .. لا عصافير ولا حديقة .. لا رائحة ورد ولا عبق الكادي.. لاصهيل جواد ولا صهوة فرس .. لايوم ثلجي تشع فيه الأضواء، مرسلة إنعكاس

---

(١) مجموعة "أن تبحر نحو الأبعاد" . ص ٣٨

(٢) المصدر السابق . ص ٤٠

(٣) المصدر السابق . ص ٤١

(٤) المصدر السابق . ص ٦٩

الزهور على صفحة الأرض .. ولا ليل وردي تتناغم فيه الأصوات والكلمات والضحكات والعطور "غم في غم"

– إيه .. والدي الجديد، هه زوجي .. كانت يده أطول من يد أبي .. ولسانه أقذع ..

والشارع الطويل يبتلعها.. وهي تتخبط في الدموع)[١]ولعله من الطبيعي أن تأتي (أغلب شخصيات الثماني عشرة قصة من النساء .. رأيتها وكفي .. واختلفت الحظوة .. اغتيال الضوء عند مجرى النهر .. الفقد.. الانعكاس . كلها تصور عذابات المرأة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، فقيرة جاهلة، أو متعلمة ممزقة) [٢]،فالمجموعة لكاتبة وطبيعي أن تكون أكثر إحساساً بهموم المرأة ،وأكثر الحاحاً في بحث قضاياها، ومشكلاتها، وإن يكن كثير من القاصين قد عالجوا مثل تلك الهموم. وأسهموا في طرح هذه القضايا ،غير أن خيرية السقاف قد تخطت بالمرأة إلى ما هو أبعد من مجرد الحديث عن مشكلاتها الخاصة بكونها امرأة كمشكلات الزواج والتعليم، وظلم الأهل، وقسوة الزوج أو الأبناء، وذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تحدثت عن المرأة الإنسان ،وموقفها من المتغيرات من حولها،مثلها مثل الرجل الذي كثيراً ما صور الكتاب المعاصرون موقفه من الانقلاب الحضاري الخطير، الذي فجر في نفسه الكثير من مشاعر القلق والخوف والشعور الدائم بالعجز واليأس أمام ذلك الصراع غير المتكافيء بين المادة والمعنى . فقد أرادت خيرية السقاف من مجموعتها أن (تحدد ملامح البحث عن الذات، وعن موقع قدم ثابته ،وقوية في زمن التطور والتغير، والقاصة – في الحقيقة – تطرح هذه القضية من خلال الإحساس بذاتية الإنسان، وبواقعية تطلعاته، وطموحاته، وهي كذلك تستلهم كل مضامين أعمالها من الواقع برمته)[٣] ففي قصتي "بيت عصري"[٤] و "إنه الموسم انه الصراع"[٥] (نلمس التطور المادي الذي حدث فجأة في المجتمع وأثره

---

(١) مجموعة "أن تبحر نحو الأبعاد" . ص ٧٧

(٢) جريدة الرياض ،العدد ٥١٧٣، ١٤ رمضان ،١٤٠٢هـ

(٣) نصر عباس . مجلة عالم الكتب، المجلد الرابع. العدد الأول ١٤٠٧هـ . ص ١٠٧

(٤) أنظر "أن تبحر نحو الأبعاد" . ص ٧٩

(٥) انظر المصدر السابق . ص ١٠٥

على الأفراد .. وقد تناولته الكاتبة بطريقة حديثة . وتوغلت في النفس البشرية، وانتزعت من أعماقها الصراع .. والاختناق ،والندم والألم معاً، بسبب الأشياء الجديدة التي لوثت بيئة الصفاء والنقاء)[١](فنرى أن الفتاة في "بيت عصري" تشعر بالاختناق وسط الجدران الصقيلة اللامعة.. والستائر المخملية الملمس ، والأواني والأثاث ، حتى صوت التكييف أثار حنقها وضغط على انفاسها .)[٢] (كانت الأشياء صامتة من حولها.. الستائر صقيلة لامعة.. الجدران مخملية الملمس، الأواني والأثاث بلوري وزجاجي وذهبي، وصوت جهاز التكييف .. يرسل هديراً يحتج على المعاناة المتواصلة)[٣] ولكنها لم تلبث وأن (نهضت فجأة .. قوة ما امتدت في شرايينها.. من أين جاءت ..كيف وصلت إليها .. كيف تمكنت من أعصابها؟ .. وبعصبية .. فتحت النوافذ.. مزقت الستائر.. ألقت بالبلوريات على الأرض.. وبسرعة تناولت الزجاجيات قطعة قطعة، والقت بها على الأرض، فتكسرت.. وتطايرت .. حولها كل شيء عدم .. يوحي بجريمة قتل .. وفجأة .. صمت صوت جهاز التكييف .. اختفى هديره المحتج.. بعد أن مدت يدها إليه فجأة وأخمدت صوته..بدأت أجواء الحجرة يتسلل اليها الدفء .. والهواء ،أطلت الشمس من ركن النافذة سمعت أصواتاً تأتي من الخارج ..ثمة روح دخلت فيها.. ثمة حياة قدمت مع ضوء الشمس ..أُقبلت تهز رأسها بعنف لعلها تخرج منه بقايا الظلام ..)[٤]

أما في قصة "إنه الموسم إنه الصراع" (فالبطل فلاح من أُبناء الطائف .. مزارع ، باع البستان بدار مسلح ، وعربة مرسيدس ، وثوب حريري.. ورائحة ندى الأمطار أيقظت في نفسه الحنين إلى حياته الماضية التي غيرها ببضعة آلاف من الريالات !!)[٥]

(- إنه المطر ..

هذه القطرات تبعث في نفسه الأسى .. تستجلب الدموع .. بالأمس

---

(١) منيرة الغدير، جريدة الرياض .العدد ٥١٧٣، الاثنين ١٤ رمضان ١٤٠٢هـ ص ١٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) مجموعة "أن تبحر نحو الأبعاد" ص ٧٩

(٤) المصدر السابق . ص ٨٠

(٥) منيرة الغدير . جريدة الرياض . العدد ٥١٧٣

فقط كانت الأمطار تعني لي الحركة.. الدافع القوي لأن أشمر عن ثوبي ، وأن أجري في الحقل الأخضر ،أحمي هذه الغرسة الصغيرة ببعض ورق الموز.. وأغطي الأجزاء النامية من عريش العنب، أتلافى الثقوب على سطح الدار الطينية، وأفتح فوهة البرميل الكبير على السطح ،وأتفقد علف البهائم.)[١](تزمجر أيها الرعد.. تعاتبني بقسوة على فعل ما أتيته.. أتغضب لي أو مني ؟! .. هذه اللغة التي تصدرها أفهم جيداً كيفية التخاطب معها.. تعلمت كيف أفهم كلام الطبيعة.. صامتة أو ناطقة.. ترسل عباراتها واضحة جلية في كل موسم عالية.. أيها الرعد فشلت طويلاً في فهمك.. لأنني كنت لا أفهم ذاتي .. ضاعت ذاتي ....!! وهطل المطر ..

إنه الموسم ..

إنه الإجابة الصريحة التي بحث عنها حامد)[٢]

والصراع نفسه صورته الكاتبة في قصص "يا زمن الكذب" [٣]و "قطعة الفحم وقطعة النقود"[٤] و"البئر المهجورة"[٥]

ففي قصة "يا زمن الكذب" ينقطع المطر ويجف النهر (حين تكون المجردات والظواهر الطبيعية رموزاً لأشياء نفتقدها في عالم الإنسان)[٦]وفي قصة "قطعة الفحم وقطعة النقود" لايجد الرجال الدفء في ليلة مطيرة إلاَّ بعد أن دفعوا كل ما معهم مقابل الفحم، كما أن صاحب العربة التي لجأوا إليها هرباً من السيول لم ينقلهم إلاَّ بمقابل ، لذا كانت (قطعة الجمر تبعث الدفء في أوصال الرجال كما أن قطعة النقود تقتل الدفء من أعماق الإنسان)[٧] وفي "البئر المهجورة" (جلس الراعي على قارعة الطريق.. عاد يجاهد ذاكرته لأن تسترجع شيئاً من الغناء القديم.. يحن به إلى ماشيته.. إلى الزمان والمكان .. البئر .. المرعى .. فشلت الذاكرة .. ظل يراوده صدى البئر المهجورة.. وهو ينكفىء ويدخل رأسه في فوهتها الظلماء

---

(١) مجموعة "أن تبحر نحو الأبعاد" ص ١٠٥

(٢) أنظر المصدر السابق . ص ١٠٨

(٣) أنظر المصدر السابق . ص ٨١

(٤) أنظر المصدر السابق . ص ٨٩

(٥) المصدر السابق . ص ١١٣

(٦) المصدر السابق . ص ٨١

(٧) المصدر السابق . ص ٩٦

المتسعة .. يتحدث .. يتردد صدى صوته :

أين النا .. النا .. الناس .. اس ..اس .. اس

أين الحياة .. آه .. أه .. آه ..

أين المرعى .. عى .. عى .. عى ..

أين الماء .. آء .. آء .. آء ..

أين مضارب القوم .. أوم .. أوم .. أوم ..

كأن الصدى يردد آثار .. ذكرياته.. ضاعوا في الضوء .. اندثرت الروح .. صدى .. صدى .. صدى ..

وفجأة تذكر أجسادهم على قارعة الطريق !!)[1]

ومن هنا كانت معظم أقاصيص خيرية السقاف (مركزة .. وكثيفة ككثافة حزن الإنسان وتمزقه .. والإنسان في بعض هذه القصص تشحنه الغربة ،وكأننا نبحر نحو الاغتراب ، ونعيش الغربة في كل لحظة من لحظات حياة الشخوص ..)[2]

وفي عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ،صدرت مجموعة "زمن العشق الصاخب" لحسن عبدالله النعمي، وفي قصة "زمن العشق الصاخب"[3] التي اختارها الكاتب عنواناً لمجموعته، يلقى القاريء مفاجأة طريفة ترجه وتستثيره حين يفاجأ بأن الكاتب إنما عنى عشقاً آخر غير الذي يتوقعه ، إنه عشق من نوع آخر عبر به الكاتب على سبيل المجاز عن اولئك الذين وصلت بهم الاهتمامات الكروية إلى حد الجنون الذي يفقد الإنسان توازنه ،وقدرته على ترتيب الأولويات في حياته حسب أهميتها. فهذا شاب مستقيم ومتزوج وصاحب وظيفة، أي أنه باختصار شديد يتمتع بكل المقومات التي يتمناها أي شاب لبناء حياة مستقرة وهانئة، ولكن هذا الشاب دمر كل هذه المقومات فأوشك ان يدمر كل حياته، لسبب تافه ،وهو أنه رجل على قدر كبير من الحماس والغيرة كما يليق بمشجع كروي على درجة كبيرة من

---

(١) مجموعة "ان تبحر نحو الأبعاد" ص ١١٥

(٢) منيرة الغدير. جريدة الرياض . العدد ٥١٧٣

(٣) انظر مجموعة "زمن العشق الصاخب" . السعودية .١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، ص ٦٩

الوفاء ،وبعد إحدى الهزائم التي مني بها فريقه لم يشعر إلاّ وهو يصفع زوجته التي تعمدت هي الأخرى استفزازه بكلمة : مبروك ، غضبت الزوجة ولم يستطع ثنيها عن الذهاب إلى أهلها وتركه .

وفي اليوم التالي يتغيب عن عمله، لأنه لايقوى على ملاقاة رئيسه الذي سيكيل له الشماته حتماً (هناك من يشمت بي ..بكل تأكيد ، المدير مازال يعيش نشوة النصر .. وأنا في المقابل، أُعيش أصداء الهزيمة.. ضدان لا يجتمعان، في المرة السابقة .. جاء إلى مكتبي .. مزقني بتهكمه ..وأنا بضعفي ، بقيت لوحاً لا ينطق.. دائماً يجد لذة في الضحك على حسابي.. سأغيظه اليوم .. ولكن بماذا؟ انقدحت في ذهني فكرة بديعة ، لن أذهب إلى العمل وكفى . ارتاحت نفسي لهذا القرار.. اعتبرته انتصاراً لكرامتي .. مؤكد سيطلبني .. ولن يجدني.. لحظتها ينسحق في غيظه.. آه.. لو أرى تآكل النار في صدره)[١]وفي اليوم الثالث يحمل نفسه على الذهاب إلى العمل ليجد أمامه قراراً بخصم عشرة أيام من المرتب الزهيد..(بعدها خرجت أهيم على وجهي، السؤال مازال يطاردني.. يحاصرني في زاوية ضيقة.. إين يمضي بي العشق الملعون؟ الهوس الممقوت.. بالأمس فقدت زوجتي.. اليوم أخسر جزءاً من عملي ..حاولت الهرب من إلحاح السؤال ، قصدت دكاناً لبيع الجرائد ..تصفحت إحداها.. أحدهم يهذي بوقاحة : الجمهور كان سلبياً مع الفريق .. برودة الجمهور سحقت الحماس في الملعب .. عندما جمد الجمهور استقرت الكرة في شباكنا)[٢] وهنا توقف ليسأل نفسه بشكل جاد : (إلى أين يمضي بي طريق العبث..؟ .. على قدر ما أعطيت، وجدت الاتهام يصفعني .. ترى من أين نقطة الانطلاق الجديدة ؟)[٣].

فالفكرة في هذه القصة ،وإن بدت للقاريء على درجة من السذاجة والمبالغة، إلا أن القاريء ما يلبث وأن يكتشف أن الكاتب قد وضع يده بالفعل على ظاهرة اجتماعية ،على درجة كبيرة من الانتشار تستحق معه الاهتمام،وقد وفق الكاتب إلى حد كبير في التعامل مع هذه الفكرة ،التي تبدو على قدر من الجفاف قد يحول دون أن يتعامل معها كثير من الكتاب

---

(١) انظر مجموعة "زمن العشق الصاخب" . ص ٧٣

(٢) المصدر السابق . ص ٧٥

(٣) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

حرصاً على فنية القصة لديهم، وبعداً عن الوقوع في شرنقة الوعظ والإرشاد، ولكن النعمي كان شجاعاً في اقتحامه لهذا الميدان ،وقد نبعت شجاعته من شدة التصاقه بالواقع المعاش، وحرصه على تطهير هذا الواقع، إلى جانب إيمانه بأن رسالة الأديب لابد وأن تتجاوز حدود الذات لتعبر عما يعانيه الواقع الخارجي من مشكلات وقضايا،خاصة وان الأديب انما هو جزء من واقعه، كما أن الأدب انما ينبع من الواقع ليعود إليه، ومشكلة مثل مشكلة "الجنون الكروي" لاينكر أحد وجودها، وقد أدت بالفعل إلى انهيار الكثير من العلاقات الإجتماعية ، كما راح كثير من الشباب ضحية لهذا العشق الصاخب حين تخلوا عن التوازن المطلوب لتشجيع الرياضة .

وقصة "لحظة انطلاق"[١]مثلها مثل قصة "العشق الصاخب" (تدور حول نزوع شخصي قوامه الإصرار على رفض مبدأ أو قضية أو شيء يفرض عليه، وينتهي هذا الإصرار بالنكوص أو بالتسليم بالرأي المقابل... فالقصة عن العزب المضرب عن الزواج ، ثم يقع نهب التردد الذي أنشأ يعاوده، والتردد هنا مطلوب حتى يكون عدوله مقبولاً ومعقولاً ، وبمتقضاه يكون الزواج قيداً ليناً ، مع أنه أقوى من قيد الحديد، حتى إذا رأى سعادة صديق له مع زوجه وابنه - وما أسعده - ورأى طفلة صغيرة تتعثر في ثوبها الطويل وتنكسر منها زجاجة عصير اشترتها،وخف لمساعدتها، سأل نفسه: مم تخاف؟ مد الخطوة أكثر، أنت تحب الأطفال إذن تزوج)[٢] .(ويبدو الحس الزمني واضحاً في قصة "الدوائر الزمنية*" وهذا الحس يرتبط ارتباطاً أصيلاً بالتحولات الاجتماعية الجذرية ،ولكن الكاتب - وهذه هي المجموعة الأولى له - لم يستطع أن يتخلى عن التقرير والمباشرة إذ يقول : " اليوم نرى المقهى بشكل جديد واسم جديد.. وصاحب جديد .. عجائب يا زمن" كذلك يصور الصراع بين جيلين ،والتقدم الحضاري الذي يتجسد في التعلق بالمقتنيات التي أغرت بها الحضارة الغربية، ويحسم الكاتب الصراع بغلبة روح التجديد، وهي غلبة حتمية ليس فيها خيار.)[٣]

---

(١) انظر مجموعة "زمن العشق الصاخب" . ص ١١

(٢) مجلة الفيصل ،العدد ١٣٠ ،السنة ١١. ربيع الآخر ١٤٠٨هـ.ص ٤٩

(*) انظر مجموعة "زمن العشق الصاخب" . ص ٣٩

(٣) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية ص ١٨٩

- (هل أنت صاحب الدكان ؟
- نعم
- مبروك
- ماذا ؟
- الدكان سيدخل ضمن مشروع التوسعة للشارع ..)[١]

وتأتي المجموعة الثانية لحسن النعمي .."آخر ما جاء في التأويل القروي"[٢]. محملة بمعاني الخيبة والضياع والعجز نفسها، غير أن التجربة أصبحت أكثر نضجاً ، حيث استطاع الكاتب تكييف وتعميق معاناة الإنسان المعاصر من خلال الرمز، والاعتماد على تيار الوعي أو الحوار الداخلي في محاولة للولوج داخل هذا الإنسان، ومعرفة مقدار ما يعانيه من قتامة وبؤس وانكفاء على الذات، وأسماء الأقاصيص وحدها تعطي الإيحاء بهذه المعاني : طموحات مانع الأزدي .. بطولات مانع الأزدي ، تجليات اللحظات الأخيرة، الذئب في أعماق الطين، الرأس ، أخر ما جاء في التأويل القروي، للحكاية نبض آخر .

والحقيقة أنه لم تكن هذه المجموعات القصصية التي تناولتها الدراسة إلاّ نماذج مختارة للتدليل على وضوح الاتجاه الواقعي عند كتاب القصة السعودية القصيرة، وقد كان اختيار هذه المجموعات قائماً على عاملين يتمثل أولهما في وضوح الملامح الواقعية في هذه المجموعات ،ويتمثل الآخر في سبق هذه المجموعات زماناً من حيث تاريخ إصدارها .

وإذا ما أردنا أن نتلمس مقومات الاتجاه الواقعي خارج هذه المجموعات التي تناولتها الدراسة ،فإننا واجدون ذلك في كثير من المجموعات القصصية الأخرى التي سنشير إلى بعضها في الدراسة الفنية إن شاء الله ،إذ من الصعوبة بمكان أن نعرض في هذه الدراسة نتاج الكتاب السعوديين في القصة القصيرة التي شهدت مرحلة النضج الواقعي. ولعله من المناسب أن اشير هنا إلى بعض ذلك النتاج القصصي ذي الاتجاه الواقعي . مثل

---

(١) انظر مجموعة "زمن العشق الصاخب" . ص ٤٤

(٢) السعودية . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(مكعبات من الرطوبة - لعبدالله السالمي [١] ، (الزحف الأبيض - للطيفة السالم)[٢]، (الحفلة - لعبدالله باخشوين)[٣]، (حلم - لرقية الشبيب)[٤]، (الزهور الصفراء - لمحمد منصور الشقحا)[٥]، (الموت والابتسام [٦] - القمر والتشريح - [٧]- الخوف والنهر - [٨]- لعبدالله باقازي)، (مقاطع من حديث البنفسج[٩]- ازمنة الحلم الزجاجي[١٠]لخالد أحمد اليوسف) ، (حوار على بوابة الأرض - لعبده خال)[١١] ،(انطفاءات الولد العاصي - لسعد الدوسري)[١٢]، (منتهى الهدوء - لشريفة الشملان) [١٣]،(احتفال بأني امرأة - لفاطمة مقبل العتيبي)[١٤]

---

(١) السعودية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

(٢) السعودية ، ١٤٠٢هـ

(٣) السعودية ، ١٤٠٣هـ

(٤) السعودية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

(٥) السعودية ، ١٤٠٤هـ

(٦) السعودية ، ١٤٠٤هـ

(٧) السعودية ، ١٤٠٩هـ

(٨) السعودية ، ١٤٠٩هـ

(٩) السعودية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

(١٠) السعودية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(١١) السعودية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(١٢) السعودية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(١٣) السعودية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

(١٤) السعودية ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

البـــــاب الثاني

الواقعية من الوجهة الفنية

الفصل الأول

الشخصية

من طبيعة الأشياء أن تكون بداياتها محفوفة بشيء من الاضطراب والتعثر، فلا تنفك تتلمس طريقها إلى النضج ،وإثبات الذات وسط الكثير من العقبات والعراقيل، التي لابد أن تملأ الطريق ، مادام هذا الطريق جديداً لم يعبد، ولم تتمرس الأقدام على السير فيه بعد.

وهذه هي حال الرواد عادة مع أي فن من الفنون الأدبية، تكون لهم فضيلة الريادة والسبق والأولية فيه، أما النضج الفني والأفضلية فلا بد لهما من وقت كاف قد يبتعد بهذا الفن عن مرحلة الريادة كثيراً .

والمتتبع لحركة القصة السعودية القصيرة بطرفيها الفني والنفعي، سيجد أن هذين الطرفين قد ارتبطا ببعضهما إرتباطاً وثيقاً ، حتى أن تطور المفهوم الفني لكتابة القصة ،قد تطور في ذهن الكتاب السعوديين بتطور مفهوم الواقعية نفسها لديهم، والعكس صحيح، وأولى مظاهر هذا التطور جاءت من خلال الوعي بدور الشخصية في العمل القصصي، وأنها (ليست مجرد أداة لتوصيل أفكار الكاتب ، يحركها كيفما يشاء ،وينطقها بما يريد ،ولكنها - في الحقيقة- عنصر مؤثر وفعال ولبنة في بناء القصة)[١] فلما كانت القصة لدى الرواد تهدف أول ما تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي والتهذيب، متخذة من التسجيلية والنقل الحرفي عن الواقع أسلوباً لها، كان من الطبيعي أن تأتي الشخصيات باهتة الملامح، وإن كانت لها ملامح واضحة ،فهي ملامح خارجية، لا تتجاوز المظهر الخارجي الذي عني به بعض الرواد عناية شديدة، لم يلتفتوا ولو بجزء منها إلى داخل الشخصية، وملامحها النفسية، وما يختلج في أعماقها من صراع نفسي قد يؤدي في جزء من أجزاء القصة إلى تحور الشخصية، وتبدلها وانتقالها من مجرد شخصية باهتة مسطحة إلى شخصية نامية متأثرة بالأحداث ومؤثرة فيها، وقد شاعت هذه الظاهرة في القصة الرائدة، لا في الأدب السعودي وحسب، بل في جميع الآداب العربية، فلو نظرنا مثلاً إلى القصة المصرية ،على اعتبار أنها من أقرب البيئات الأدبية إلى الأدب السعودي وأكثرها تأثيراً فيه نجد أن (المحاولات الأولى للقصة القصيرة وفي فترة الإرهاصات حيث المثالية المطلقة والحدود الصارمة تكون الشخصية

---

(١) محمد الحسيني المرسي. الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة حتي عام ١٩٨٠م ، الاسكندرية، ١٩٨٤م . ص ٤٨٧

المثالية المطلقة التي لا تعرف الوسط لا تتصارع ولا تتطور ولا تنمو مع نمو الأحداث، ولكنها تظل جامدة مطلقة إما خيرة إلى أبعد غايات الخير وإما شريرة إلى أقصى غايات الشر وهي ما قيل عنها - باختصار - تحب حتى الموت وتتألم حتى الجنون ،وتبكي حتى جفاف العيون)[١]

والمتتبع لتطور الشخصية في القصة السعودية القصيرة بدءاً من مرحلة الريادة سيتخذ من شخصيات أحمد السباعي نقطة للبداية، ولعل "خالتي كدرجان"[٢] هي أولى شخصيات السباعي التي يظهر من خلالها اهتمام الكاتب الشديد بدقة الوصف الخارجي لشخصياته دون أدنى محاولة للغوص داخل هذه الشخصيات وتصويرها من الداخل أو التعبير عن معاناتها وصراعها الداخلي ، فشخصية خالتي كدرجان عبارة عن فتاة ضاع شبابها وهي في انتظار حلم لن يأتي ،ولنا أن نتخيل ما يضج به داخلها من صور المرارة والحرمان، كما نتخيل حديثها لنفسها وهي ضعيفة كسيرة الجناح لاتملك سوى الانتظار الذي انتهى بخيبة الأمل !! ومع ذلك لم يلتفت السباعي إلاّ إلى الصفات الظاهرية للشخصية وقد أهمل عالمها الداخلي تماماً.

وقد جاء وصف السباعي لشخصيته على لسان ذلك الطفل الذي كثيراً ما كان يختلف على بيت "خالتي كدرجان".

(كنت ألاحظ أن خالتي كدرجان تعنى كثيراً بمكحلتها، وهي تحتفظ بجانب المكحلة بعلبة صغيرة أراها كثيراً ما تمد يدها إليها لتتناول منها باصبعها شيئاً تدعكه بين يديها ثم تغشي به وجهها")[٣] (وكنت كثيراً ما أراها تجلس إلى نصبة الشاهي وقد فرغت منه فتزيح التبسي والفناجيل وتركز في مكانهم فوق كرسي النصبة مرآة ثم تأخذ بيدها مقصاً تمر به على شعر رأسها فتلتقط به شعرة من هنا وأخرى من هناك بيضاء ناصعة وكانت لفرط استخفافها بي كطفل ترجوني أن أساعدها بالنظر إلى شعرها، فإذا لمحت شعرة بيضاء دفعت المقص)[٤]

---

(١) محمد الحسيني المرسي. الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة حتى عام١٩٨٠م.ص٤٨٧

(٢) انظر القصة ص ١٤ من هذا البحث .

(٣) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ١٤

(٤) المصدر السابق . ص ١٤

كانت تخدم بيتها وهي في أحلى زينتها تلبس الكرته من قماش رقيق شفاف، وتعقد شعرها بمشط تلمع فيه الفصوص أما الشبشب الذي تتهادى به في خيلاء فكأنه لم يلبس في رجلها إلاّ من يومه)[١](وظلت فتاتنا تعيش على هذا الأمل سنوات وسنوات تسللت الكهولة أثناءها إلى محياها الوسيم ،وظهرت آثارها ، فيما تغضن من وجنتيها، ولكنها تأبى رغم ذلك أن تعترف بما تقدم من سنها . ظلت تعيش في أحلام اليقظة تترقبه في كل حركة يخفق بها الزقاق الطويل، وتصيخ بسمعها لكل طارق ولو على أبواب جيرانها، خشية أن يكون قد ضل سبيله إلى بابها، وهي لهذا دائمة الزينة تتناول أعمالها في خدمة البيت بأطراف أصابعها في رشاقة العروس المجلوة من ليلتها)[٢].

والحال نفسه نجده في قصة "اليتيم المعذب "[٣] وباقي قصص المجموعة ،حيث نجد أن الوصف كثيراً ما يستغرق الكاتب ويأخذه بعيداً عن الأحداث ،مما أدى إلى تراخي القصة وفتورها، وكأن الكاتب يريد أن يسجل الواقع ،وينقله كما هو، حيث يعرج إلى الكثير من التفاصيل التي لا قبل للقصة القصيرة بحملها، بينما أسقط من حسابه نقطة مهمة للغاية، وهي التصوير الداخلي للشخصيات، فرغم وجود الصراع في القصة إلاّ أن هذا الصراع صور من خارج الشخصيات،على لسان راوي القصة – وهو الكاتب –،حيث أعطى لنفسه الحق،في أن يسرد الأحداث ويتدخل فيها من وقت إلى آخر ،بالتعليق والتفسير، وكان بإمكانه أن يترك للشخصيات فرصة التعبير عن معاناتها بنفسها كي تمارس القصة مهمتها التأثيرية باقتدار، ويأخذ العمل سمة من سماته الأساسية ،وهي عمق التصوير من خلال ما يعتمل في نفس الشخصيات من صراع ،وردود أفعال، وحوار داخلي، مما يزيد من حركية القصة وعمق تأثيرها.

وفي مجموعة "أرض بلا مطر" للكاتب إبراهيم الناصر ،لا يزال الوصف الخارجي هو السمة البارزة لجميع قصص المجموعة،ففي قصة "أُرض بلا مطر)[٤] مثلاً ، نجد الكاتب قد استغرق في وصف القرية التي أقيم فيها

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ١٥

(٢) المصدر السابق . ص ١٩

(٣) أنظر القصة ص ١٦ من هذا البحث .

(٤) انظر القصة ص ٢٤ من هذا البحث .

معسكر الشركة خمس صفحات من مساحة القصة لدرجة تدعو إلى الملل بينما خيبة أمل البطل والكارثة التي أتت على أحلامه وأحلام عائلته معه لم تستغرق سوى الصفحة والنصف الأخيرتين من القصة .

وهناك قصة واحدة في المجموعة يمكن أن يقال أن الكاتب قد اهتم فيها بتعمق الشخصية واستبطانها وهي قصة "عروس القرية"[١] حيث نجح الكاتب إلى درجة كبيرة في رسمه لشخصية الابن "سليمان" الذي قذف به بعيداً عن أحضان أمه التي قررت الزواج دون اعتبار لمشاعر وحيدها التي تحطمت أمام هذه الصدمة التي لم يحاول الآخرون حتى مجرد التمهيد لها، وقد كان مصدر نجاح الكاتب في تصويره لهذه المشاعر وذلك الصراع الذي احتدم في نفس الطفل بينما كانت الأيادي تدفعه بعيداً عن أمه العروس، غير أن التعبير عن هذا الصراع كان على لسان الكاتب، ولو أنه ترك الشخصية تتحدث عن نفسها لكان حديثها أكثر تأثيراً في نفس القارىء (وحينما تذكر سليمان ذلك الوباء ،كان لا بد وأن تمر به ذكرى أبيه فتنحدر دموع ساخنة على وجنيته .بيد أنه استطاع التغلب على هذه الخاطرة الأسوانة ليغوص بالسؤال إياه: عم يكون منشأ كل هذه الزوابع؟ ما الذي قذف بتلك الجموع من النسوة إلى بيته ليقلقن بأصواتهن الصاخبة منامه، ويبددن لذة الأحلام التي هي في الحقيقة أمتع ما يمر عليه في حياته الجدباء)[٢] (أيكون في حفل زفاف ؟ هكذا تساءل في سره ،ورغم إلحاح السؤال فلم يُرد إضاعة النشوة التي يحسها بالتفكير فيه، واستسلم لأم سعد لتقوم بمهمتها وسرح هو بنظره إلى وجوه النسوة يتعمق في تفرس ملامحهن، والتقطت أذناه لفظاً عن معنى يدور حول الزفاف وضخامة الحفل وعدد المحتفلات ليعود السؤال ينخر سعادته من جديد.. زفاف من ؟؟)[٣] ويبلغ الصراع قمته حين رأى أمه وعرف بأنها هي العروس (وتسمرت عيناه وأحس بالأرض تميد من حوله.. لقد شاهد أمه .. أمه الحبيبة التي كاد عقله من كثرة التفكير فيها تتبختر بين تلك النسوة مبتسمة.. شاهدها

---

(١) انظر القصة ص ٢٧ من هذا البحث .

(٢) مجموعة "أرض بلا مطر" . ص ١٢

(٣) المصدر السابق . ص ٢٢

بصورة لم يصدق معها أنها أمه حقاً . كانت تلبس ثياباً صارخة الألوان وقد تلطخ وجهها بالأحمر والأبيض وزاد سواد عينيها وكانت تتشح بغلالة وردية أضفت عليها مسحة من جمال في أواخر خريفه .. وكانت رغم ذلك جميلة .. جميلة إلى درجة ملحوظة. وانفتل نحوها يريد احتضانها .. كان مدفوعاً بقوة طاغية قد يكون مبعثها الخوف على هذا الشيء الوحيد الذي يملأ حياته. وكان يريد أيضاً أن يلقي برأسه على صدرها كعادته لتمسده بحنان، وتربت على ظهره مشجعة ومطمئنة . وعندما خطا عدة خطوات لتحقيق هذه الرغبة تنبهت بعض النسوة فحالت بينه وبين تحقيق هذه الرغبة، ولم تجده مقاومته نفعاً . ولعل ما أغاظه حقاً وجعله يتراجع جاحظ العينين مائل السحنة هو أن أمه وصدرها الدافق بالحنان نحوه لم تخف كعادتها إلى احتوائه أو حتى لتخليصه من الأيدي التي منعته عنها. إنما اكتفت بأن ألقت عليه نظرة عابرة وأشاحت بوجهها وهي توزع الابتسام على الأخريات.. ولم يستطع سليمان أن يحتمل أكثر من هذا الجفاء والحرمان فصرخ ..صرخ بأعلى صوته ،إلاّ أن بعض الصبية ممن يكبرونه سناً قد رأوا ما انتهى إليه أمره فإذا هم يلتفون حوله مصفقين له وهم يرددون بسخرية :

المسكين .. أمه تزوجت .. المسكين أمه راحت عنه .. المسكين

ودوت هذه الأصوات في أذنيه وكأنما هي قذائف وحمم تفجرت فوق رأسه فتصرعه أرضاً ... وانزوت أحلامه وانكمشت في زاوية قصية من رأسه.. وأدرك أنه لن يستطيع بعد الآن الإفضاء بمكنونات قلبه لأي كان بعد أن انتزعت أمه .. وأحس أنه يكره أحلامه . بل ويكره الصبية وكل من احتفل بزف حياته إلى الإعدام.. وحتى أمه كرهها في تلك اللحظة التي خذلته فيها أمام أقرانه . وعوى غيظه بصرخة أخرى داوية.. وبدا وجهه بعده مسرحاً للانفعالات وقد اختفت الدماء في عروقه .. وبهت الصبية .. بهتوا لمرأى سحنته وأحسوا بجرحه يفترس صدورهم هم ..وسيجوه بنظرات ليست شامتة أو ساخرة .. وزرعوا عطفهم في العبرات التي ترقرقت في عيونهم . ولكنه لم يكن بحاجة إلى نظرات الرثاء .. كان قد مقت كل شيء.. حتى نظراتهم الحانية التي تحمل له المشاركة والمواساة .. ولوح بيديه غاضباً .. وأخذ يضرب الهواء بقبضتيه، بجسمه في كل اتجاه .. والاختناق ما زال ممسكاً بتلابيبه.. يمزقه ويلتف حول رقبته كالانشوطه .. وشعر بالظمأ وجفاف حلقه.. وعرقه ينزف على وجهه ويتفصد خطوطاً

من الماء المالح لا تلبث أن تذوب في فمه ..وأصابه غثيان فظيع.. إلى درجة لا تحتمل .. وتمنى لو يتقيأ.. والمرارة تتسرب إلى أعماقه ...)(١)

ولعل الاحتفاء بالشخصية قد برز بشكل أفضل عند ابراهيم خليل الفزيع في مجموعته "سوق الخميس" حيث ظهر فيها ما يسمى بالحديث الداخلي او الحوار الداخلي للشخصية الذي تظهر الشخصية من خلاله وهي أكثر حرية وأكثر وضوحاً وقدرة على التعبير عن نفسها،وبالتالي أكثر تأثيراً في نفس القارىء .

ولعل قصة "نقطة التحول" (٢) تعتبر نموذجاً جيداً يدل على قدرة الكاتب على كشف العالم الداخلي لشخصياته. فالبطل في هذه القصة كان يعيش على هامش الحياة إلى أن وجد نفسه فجأة وهو يصارع أمواج البحر في محاولة لإنقاذ طفل،عندها فقط شعر بقيمة الحياة وإذا بنفسه تحدثه : (إن الموت شيء لا يطاق.. فعليه أن ينقذ نفسه كما يحاول أن ينقذ الطفل .. يبدو أن فقد الحياة ليس بالأمر السهل فالذين يواجهون الموت فقط هم الذين لا يمكن أن يكرهوا الحياة .. الحياة لذيذة وخاصة عند الشعور ببداية فقدانها .. علينا ألا نتخلى أبداً عن الأشياء التي نجد أنفسنا مرغمين على التخلي عنها).(٣) .

أما الأستاذ عزيز ضياء فبالرغم من تأخر صدور مجموعته "ماما زبيدة" إلاّ أنها لاتزال تنزع إلى طريقة السباعي في رسم الشخصيات التي تأتي عادة من أبناء الحارة في مدينة مكة أو المدينة مع الحرص على دقة الوصف الخارجي دون كثير اهتمام بوصف الشخصية من الداخل ،والجديد لدى عزيز ضياء أن شخصياته متفائلة تميل إلى المثالية وتحظى بالسعادة أخيراً ،وإن عانت . بعكس أبطال السباعي الذين يمثلون في العادة ضحايا المجتمع الذين يعانون البؤس والشقاء حتى النهاية .

وفي الوقت الذي امتزجت فيه الواقعية ببعض الملامح الرومانسية في القصة السعودية كان حرياً بكتاب القصة أن يولوا الشخصية قدراً أكبر من الرعاية والاهتمام على اعتبار أنه (ومنذ حركة الرومانتيكية ظهرت أهمية

---

(١) مجموعة "أرض بلا مطر" ص ٢٣

(٢) انظر القصة . ص ٣٧ من هذا البحث .

(٣) مجموعة "سوق الخميس" . ص ٥٥

البطل أو الشخصية في القصص وغلبت غيرها من عناصرها ،فالرومانتيكية قد اهتمت بالفرد لا المجتمع اهتماماً كبيراً وسلطت الأضواء على الذات الإنسانية والنفس)[١]وقد كان الكتاب السعوديون الذين امتزجت لديهم الواقعية بالرومانسية على وعي تام بالدور الكبير الذي تؤديه الشخصية في العمل القصصي على اعتبار أنها المحور الذي تدور حوله الأحداث والوتر الحساس الذي تظهر عليه ردود الأفعال .

ويعتبر حسن عبدالله القرشي من أوائل الكتاب الذين ساروا في هذا الاتجاه ،ففي قصة "أنات الساقية"[٢] يصور الكاتب صراعاً نشب بين المادة والعاطفة ذهب ضحيته البطل "حميد" الذي سلبت أحلامه وضاع حبه أمام جبروت المال وسطوته، صحيح أن الكاتب صور معاناة البطل ولكن هذا التصوير جاء بلسان الكاتب لا بلسان البطل ثم أن تصويره لهذه المعاناة كان من خلال تضخيم العبارة ،والمبالغة في الأحداث، بدلاً من الغوص في نفس البطل لترجمة مشاعره وأحاسيسه ،وما يتفاعل بداخله من صراع ومعاناة ، بعيداً عن المبالغة في التعبير، يقول الكاتب في وصف سعادة حميد (كان حيمد جالساً قرب الساقية .ولو راح شاعر موهوب يسكب على الورق رائعة من خرائد الشعر تزري بعقود الجمان ويتغنى بسحرها الزمان .لما استطاع أن يصور مرح الربيع كما هو ثائر معربد في إحساس حميد وتوهج نشاطه وبشره)[٣]

فمن اللافت للنظر أن الكاتب – بتأثير نزعته الرومانسية – قد أولى الطبيعة من حول البطل من الوصف والاهتمام أكثر مما أولاه للبطل نفسه ففي الوقت الذي نجد فيه إشارات طفيفة إلى مشاعر حميد وأحاسيسه نجد هذه المشاعر وقد مزجت بأصوات الطبيعة وألوانها التي صورها الكاتب على أنها هي الأخرى مشاعر . بل إن مشاعره ترجيع وصدى لأصوات الطبيعة (فوقف ينتزع الخطو انتزاعاً آماً ناحية الساقية. تلك الساقية التي طالما استمع إلى حنينها مرجعاً حنينه ،فها هو ذا الآن يصغي

---

(١) محمد زغلول سلام. دراسات في القصة العربية الحديثة . مصر ١٩٨٧م ص ١٥

(٢) انظر القصة ص ٤٦ من هذا البحث .

(٣) مجموعة "أنات الساقية" . ص ٧

إلى أنينها مازجاً به أنينه)[١] فشخصية البطل هنا مسطحة تماماً لم يحاول الكاتب أن يحدد ملامحها الذاتية التي كان يمكن أن تعطي لهذه التجربة العاطفية صفة التفرد والتميز عن غيرها من التجارب التي حفل بها موروثنا من القصص العاطفية التي تنتهي عادة إلى الفجيعة وخيبة الأمل واليأس الذي إما أن يؤدي إلى الموت أو الى الجنون.

ولعل "صالحة" بطلة القصة الثانية من قصص هذه المجموعة "غروب أمل " [٢] كانت اكثر شجاعة وإيجابية من بطل "أنات الساقية" .

إن حياء المرأة أجبرها على الخضوع لرغبة أبيها الذي رفض تزويجها من ابن عمها، لكنها عندما تخلصت من قيود أبيها لم تجد حرجاً ولم يمنعها الحياء من أن تبعث إلى إبن عمها لتقول له إنها في انتظاره (لقد طالما ذكرت لأبي أنك ستنتظرني مهما طال بك المطال وها قد تحقق أملك أخيراً)[٣] ومع ذلك أبى الكاتب إلاّ أن تكون النهاية مأساوية يغرب فيها كل أمل ليتحقق له الغرض التهذيبي من قصته التي أُراد بها وضع الأباء أمام الموعظة والعبرة .

فقد جعل الكاتب من حميد ضحية في قصة "أنات الساقية" ، كما أن صالحة ضحية أخرى في "غروب أمل" وكذلك الأبطال في باقي قصص المجموعة نجدهم ضحايا للظروف والعادات والتقاليد. ومع ذلك تتفاوت قدرة الكاتب على رسم شخصياته واستبطانها من قصة لأخرى فقد جاءت شخصية صالحة في قصة "غروب أمل" وهي أكثر وضوحاً وأكثر تعبيراً عن آلامها وأحلامها ومعاناتها، وقد جاء التعبير بطريقة الوصف والحكاية كما في القصة الأولى ، كما اعتمد الكاتب على شريط الذكريات الذي صور معاناة بطلته من بدايتها إلى نهايتها بينما هي واقفة أمام المرآة تذرف الدموع على ماضيها المر وشبابها الضائع.. كما أن الكاتب قد اعتمد على هذا الحوار الباكي بين بطلته ومرآتها الذي كشف الكثير من الجوانب في نفس البطلة وما وصلت إليه من خوف وقلق بعد أن فقدت شبابها وأحلامها وبقيت وحيدة ممزقة بين ماض مر لا أمل لها فيه ومستقبل مظلم لا نصير لها فيه .

---

(١) مجموعة "أنات الساقية" . ص ١١

(٢) انظر القصة ص ٥١ من هذا البحث .

(٣) مجموعة "أنات الساقية" . ص ١٥

كما أن ذلك الحوار الرسائلي الذي دار بين صالحة وابن عمها عدنان قد أسهم أيضاً في كشف الكثير من ملامح الشخصية،وما وقع عليها من الظلم والقسوة ،وإذا كان أحدهما قد وجد لنفسه من هذا الظلم مخرجاً على اعتبار أنه رجل يستطيع الوقوف في مواجهة الظروف،والبحث لأحلامه عن بديل ، فإن المرأة وقفت عاجزة مكتوفة اليدين وقصارى جهدها أنها في النهاية صرحت بمناداة ابن عمها،ولكن بعد فوات الآوان وغروب الأمل ..

ونجد المرأة الضحية تتكرر كثيراً في قصص الكتاب السعوديين خصوصاً فيما يتعلق بأمر تزويجها وحرمانها من حقها في الاختيار أو الرفض. فالمرأة في قصة "امرأة تعبر تفكيري"[1]لسليمان الحماد هي الأخرى زوجت برجل في سن أبيها وله أربعة أطفال مما جعل من حياتها سلسلة من الآلام والمتاعب والإرهاق النفسي ،(ومما يلفت النظر في قصة الكاتب تركيزه على قضية اجتماعية مستهلكة ، هي زواج الرجل المسن بفتاة في عمر أحفاده، ولعل الفكرة على تكرارها في اعمال كتاب القصة على اختلاف اتجاهاتهم ومناحيهم وطرق معالجاتهم كانت حرية بأن تدفع القاص لأن يتخذ من الشخصية القصصية نقطة انطلاق لإضفاء مفاهيم عصرية، تتصل بواقع الشخصية الحي باعتبار هذه الشخصية نموذجاً إنسانياً عاماً،لكن المتلقي يتعامل مع الشخصية من منطلق الاحساس بذاتية الحدث من حولها، فمشكلاتها خاصة في المقام الأول ولا تحاول الشخصية - ولم يحاول الكاتب نفسه - إخراجها إلى إطار أكثر شمولية)[2] .

لقد أُعطى الكاتب بطلته الحق في الحديث عن نفسها والتعبير عن مأساتها من خلال تلك الرسالة التي بعثت بها إلى واحد من رجال الصحافة تبث فيها ما تعانيه هي وكثير من بنات جنسها من عسف الأهل وظلمهم من حيث لا يدرون ،ولكن حديث البطلة كان أُقرب ما يكون إلى الخطابية والتقريرية منه إلى حديث النفس والتعبير عن المعاناة (ولعل القصة عند سليمان الحماد في طرحها لمفهوم اجتماعي ،ولرأي ذاتي حول قضايا اجتماعية ، خاصة في مسألة تتعلق بقضايا الزواج - على خطورتها وأهميتها- كانت أكثر احتياجاً للتركيز والتكثيف في اللغة وتخليصها من

---

(١) انظر القصة ص ٥٤ من هذا البحث .

(٢) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة . ص ٥٩

الزوائد والحشو اللذين أضفيا عليها مسحة من التقريرية والمباشرة)[١]
تقول بطلة القصة: (إن الأشياء أصبحت عدمية الإيحاء ،لقد تساوى عندي كل شيء، الموت والحياة، الحب والكراهية،، لقد أصبحت دمية أفكاري تلعب بي كيفما اتفق، تثيرني، وتضج بي، تصمتني ، تضحكني وتبكيني، لا أهمية لشيء على الإطلاق، الأشياء عدمية الجدوى ممسوخة القسمات) [٢]
فقد جعل الكاتب من هذه القصة (معرضاً حقيقياً لآرائه التي يبثها على نحو تقريري على لسان امرأة تبعث للمحرر برسالة طويلة، وعلى الرغم من أن الكاتب حاول أن يوظف الرسالة كأداة تكنيكية إلاّ أنه حولها إلى محاضرة مطولة عن فعالية الكلمة وتفاهة المحررين الذين لا يجيدون أساليب بث التوعية)[٣]تقول :(إن ما تكتبون للجريدة والإذاعة والتلفزيون لايشيع المعرفة أو التوعية على نحو مرض ومؤثر).[٤]

ومع ذلك يعتبر الحماد واحداً من الكتاب الذين استطاعوا الاستفادة من التقنيات الحديثة لكتابة القصة القصيرة، وإن لم تستطع القصة عنده أن تبتعد عن الغاية التهذيبية والأسلوب الذي لا يخلو من بعض الخطابية والتقرير. ومن ملامح نجاح القصة عند الحماد ما يلاحظه القارىء من احتفاله الشديد بالحوار الداخلي للشخصيات، أو ما يسمى بـ"المنلوج الداخلي" متخذاً من ذلك وسيلة جيدة من وسائل استبطان الشخصية ومعرفة ما يعتمل بداخلها؛ فقصة "الآلة تسرقني ذهني"[٥] من مجموعة "الآلة تسرقني ذهني" مثلاً قد اعتمدت على هذا الحوار الداخلي فكانت في معظمها عبارة عن حوار بين البطل ونفسه (مرة أخرى ينظر إلى السقف : هذا الأرمسترونج وهذا الجبس المعلق فوق راسي، يا لسذاجة الإنسان -أُحياناً- ما فائدة هذا السقف الآخر، سقفان في غرفة واحدة ! الأشياء المعلقة تخيفني مازلت اذكر كيف نجوت من سقوط تلك المروحة المعلقة لو لم تقع بجانبي ،ماذا لو كان سقوطها على رأسي ، اذن لانتهى

---

(١) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة . ص ٥٩

(٢) مجموعة "امرأة تعبر تفكيرى" ص ٣٢

(٣) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية .ص ٤٠

(٤) مجموعة "امرأة تعبر تفكيرى" ص ٢.٥

(٥) انظر القصة ص ٥٨ من هذا البحث

العالم الحيي بالنسبة لي)[١]

والشخصية الخطابية نفسها،نجدها عند غالب حمزة أبي الفرج الذي أراد لشخصياته أن تتمتع بحريتها،وذاتيتها،واستقلالها،في التعبير عن نفسها، وتصوير مبادئها،وأفكارها،ونظرتها للحياة،فكانت النتيجة،أن خرجت هذه الشخصيات وهي تعاني من تضخم الذات،الذي أخرجها من حدود الفن،إلى الخطابية والمباشرة في نقل الآراء. وستأتي الإشارة إلى تلك النماذج التي تمثلت فيها النبرة الخطابية لدى أبطال غالب أبي الفرج في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله .

ونلمح الشخصية الواقعية في القصة السعودية القصيرة بشكل أوضح عند الجيل الثالث من كتاب القصة ، حيث تطورت هذه الشخصية واقعياً حين أضحت القصة تتمتع بقدر أكبر من النضج الفني بعد أن تحررت من الأغراض التهذيبية الإصلاحية، والأساليب التقريرية المباشرة، فإذا كان الرواد قد حرصوا على أن تكون الشخصيات في قصصهم عبارة عن نماذج إنسانية واقعية ، فقد تطورت الشخصيات على يد الجيل الثالث ،لتصبح عبارة عن نماذج إنسانية واقعية من جهة، إلى جانب كونها نماذج فنية متقنة معمارياً من جهة أخرى، فقد أصبح (الإنسان في الأعمال القصصية السعودية محوراً لبلورة الأبعاد الاجتماعية الحقيقية لواقع الحياة الحي، ومن خلال هذا المحور بدأ كثير من القاصين يستوعبون ماطرأ على واقع الحياة من تغيرات سريعة ولاهثة،وكان موضوع التفاعل الحي، والنابض بالإحساس الصادق هو محور التعامل مع هذا التطور، وأخذ القاص الشاب يتلاحم تلاحماً كلياً مع مجريات الحياة من حوله.. وقد أخذ كثير من كتاب القصة يستلهمون من تراث هذا المجتمع كثيراً من الموروثات على المستويات الحياتية المتباينة خاصة على المستوى الاجتماعي .. ومن هنا كان الانطلاق نحو المعاصرة،وبلورة العلاقة بين الموروث والمستحدث في عالم العلاقات الاجتماعية، وأصبح التأكيد على قيمة الموروث ووجوب التمسك بالتطور مسألة ضرورية وأساسية في عملية الابداع القصصية،

---

(١) مجموعة "الآلة تسرقني ذهني" ص ٦٤

وقد ظهرت معظم نماذج القصة السعودية المعاصرة متحركة ضمن هذا الإطار ونجحت إنتاجات قصصية متعددة في تحديد وبلورة هذه العلاقة المهمة والخطيرة ، بينما جانبت الدقة بعض الكتاب الآخرين، وفقدت أعمالهم الاتقان في المعالجة والتناول)[١]

فإذا كانت القصة التقليدية قد استهدفت المجتمع بالنقد والإدانة ،من خلال تصوير الشخصية وقد وقعت غالباً ضحية لهذا المجتمع وما فيه من ممارسات خاطئة ،ترجع بأسبابها إما إلى العادات والتقاليد القاسية ،أو إلى الجهل وعدم الوعي اللذين يعدان مصدراً للكثير من الأمراض والمشكلات الاجتماعية ،فإن القصة الحديثة قد جاءت لتعالج أزمة الإنسان المعاصر في شكلها المطلق وصورتها الإنسانية العامة (تلك الأزمة التي تنسج خيوطها وقائع الحياة نتيجة لكل التناقضات التي يحياها والتي سببتها توترات الواقع نفسه، ومدى ما أصاب الواقع الذاتي للإنسان من مشاعر الخوف والفزع والقلق ،وبدا الإنسان - في الأغلب الأعم - أقرب ما يكون إلى القلق ،وبدت علاقته بذاته يعتورها العنف والتمزق، وفقد قدرته على إيجاد الاتزان،والتقويم لسلوكه ،ولدوافع ذلك السلوك)[٢]

ولعل محمد علوان من اولئك الكتاب الذين عنوا بالتعبير عن الهم الإنساني من خلال الشخصية المتوترة المأزومة التي أضحت نموذجاً لإنسان هذا العصر في صراعه الدائم مع الخوف والقلق والإحساس بالهزيمة في زمن اهتزت فيه القيم والمبادىء كما اهتزت قيمة الإنسان نفسه،فهو دائب البحث عن هويته وانتمائه وحريته .

والمجموعة الأولى لمحمد علوان "الخبز والصمت" بكل قصصها هي عبارة عن تصوير دقيق لذلك (الإحساس الداخلي في الإنسان بهزيمته)[٣] وقد دارت هذه الهزيمة حول عدة محاور ،فالإنسان يشعر بالهزيمة أمام الموت على تعدد أشكاله ورموزه ، كما أن الإنسان مهزوم أمام الفقر والجوع والمرض والجهل ،وهو مهزوم أيضاً بعجزه ويأسه وإرادته المقيدة وحريته المسلوبة وهويته الضائعة في زحمة التصارع المادي والحضاري الذي ذهبت ضحيته كثير من القيم والمبادىء .

---

(١) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة . ص ٤١

(٢) المرجع السابق . ص ٩٩

(٣) منصور الحازمي. مواقف نقدية . السعودية ١٤١٠هـ. ص ١٣٦

ففي قصة "الطيور الزرقاء"[١] مثلا يجسد محمد علوان حقيقة الموت تلك القوة التي أعجزت الإنسان وقهرت حب الحياة في نفسه ،فالموت هنا "طيور زرقاء" ،والإنسان أب ،والحياة ابنة وحيدة اسمها "زينة" وقد جاءت القصة على شكل صراع حاد دار بين الأب والطيور الزرقاء التي تتربص به تريد اختطاف ابنته الوحيدة من بين يديه.. بدأ الصراع برجاء الأب وتذلله أمام سطوة الموت (أيها الموت أناديك لا لتقترب .. إصغ لي .. ما نفعها الحياة بدون من نحب، ما نفعها حين نطرق الدروب بدونهم.. ما نفعها الحياة)[٢] ثم نرى الأب وهو يعرض على الموت عرضاً جديداً على سبيل المساومة (يا موت .. يا طيور زرقاء فلتحترق في سمائك الأجنحة.. يا مناقير تكدست في الحقل ألف ألف سنبلة لكن قمحتي أنا زرعتها،أنا سقيتها،أريدها لي،تمنحني العزاء،يا طيور زرقاء ها أنا البديل مساحة كبيرة كبيرة تموت أنت تسعين مرة قبل أن تصل .. ودع حبيبتي الوحيدة تقطف من ركنها الشرقي زهرة شذية .. يا موت ها أنا.. ها أنا)[٣] ولما لم تجد محاولاته ازدادت مخاوفه واحتد الصراع أكثر وأكثر حتى لقد منع الآخرين من الدخول لرؤية زينة (يقولون له : زينة زهرتنا جميعاً دعنا نراها لن تموت يا وحيدها العنيد.. يقول في هياج : رأيته في الليلة الظلماء وسمعته بأذني ينهش الضياء،ومن هناك من كهوف الليل رأيت تسعين طائراً بأجنحة زرقاء قادمة)[٤] .

وأخيراً بالقوة ظن أنه يستطيع أن يثني الموت عن قراره فقد ظل ساهراً طوال الليل إلى جوار زهرته الوحيدة، وقد أمسك بعصاه الغليظة، ولكن عينه تنام (ومن كهوف الليل تجيء من وكرها الطيور لتحمل الوحيدة الحزينة ترفعها مغمضة العينين تغيب .. وفي يده عصا غليظة وقلب .. ويستفيق فجأة ، والجواد يعاود الركض ، لكن أين الفارس الحبيب .)[٥]

وكما يقول الأستاذ يحي حقي (لا أعرف وصفاً لمأساة الأب الذي فقد

---

(١) أنظر القصة ص ٧٤ من هذا البحث

(٢) مجموعة "الخبز والصمت" ص ١٧

(٣) المصدر السابق . ص ١٩

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

ابنته الوحيدة أقسى ولا أفجع من هذه الصورة التي نقرأها في قصة الطيور الزرقاء) [١] ومع ذلك فالقصة لا تحكي فقط مجرد مأساة أب وجزعه لفقد ابنته ،فالأب هنا قد يكون رمزاً للإنسان ،اي إنسان في أبوته لأحلامه وأمانيه وتطلعاته التي يسعى لتحقيقها ويحرص كل الحرص على بلوغها ، كما أن الموت أو الطيور الزرقاء تصلح لأن تكون رمزاً لذلك القدر الذي قد يحول بين الإنسان وما يريد ،كما أن زينة تأتي رمزاً لكل جميل في حياة الإنسان يحرص على بقائه ويتفانى في البحث عنه والمحافظة عليه .

وفي قصة "بائع العرقسوس"[٢]من المجموعة نفسها يقدم محمد علوان نموذجاً آخر من النماذج الإنسانية التي تصور مشاعر الخوف والقلق التي قد تنتاب الإنسان تجاه مستقبله،خصوصاً إذا تقدم به السن وأنهكته متطلبات الحياة. حيث نجح الكاتب في وضع الإنسان في مواجهة مخاوفه ليصور لنا هذا الصراع الداخلي في نفس الشخصية بشكل مركز وسريع نلمس من خلاله ما تعانيه هذه الشخصية التي وصلت إلى (أقصى حدود الضياع واخفاق كل سعي وفقدان كل أمل في الخلاص) [٣] ومع ذلك لابد من الاستمرار (ليتجه إلى شارع آخر ،الرحلة هي هي ، لا تغيير ولا تبديل . الناس في السابق يملكون الوقت . أما الآن فها هو ينوء بحمله الثقيل عصارة الدموع والآلام .. عصارة الحياة الرتيبة . أتقتله ؟ كلا .. الصاجات ستكف عن الصراخ .. الوجود سينتهي في لحظة فلماذا نستعجلها؟ قالها ومضى يصيح : سكر .. يا عرقسوس)[٤] .

وفي قصة "الخبز والصمت" يرى محمد علوان (أن لا فن بلا حرية وإن أبسط مظهر لهذه الحرية يتمنى أن يجده في مجتمعه هو قدرة الإنسان أن يقول ولو مرة واحدة : لا)[٥] فبطل القصة صامت منحبس داخل ذاته يعاني من تشوه في يده وتشوه في إرادته يحول بينه وبين اتخاذ أي قرار أو حتى مجرد الكلام ، فهو إذاً عاجز بكل مقاييس العجز غير قادر على

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت " ص ١٢

(٢) انظر القصة ص ٧٥ من هذا البحث

(٣) يحي حقي . مقدمة "الخبز والصمت" ص ١٣

(٤) المصدر السابق . ص ٢٨

(٥) يحي حقي . مقدمة "الخبز والصمت" ص ١٤

المواجهة وإبداء الرأي ، صامت . وكل افراد عائلته صامتون عاجزون عن مواجهة جبروت الأب وتسلطه،ولكن الصمت قد يكون (في قليل من الأحيان منطلقاً لصرخة متورمة)[١] وهذا ما حدث بالفعل من بطل القصة الذي خرج أخيراً من صمته وقال: لا،لقد قالها في وجه والده الذي حاول ارغامه على الزواج، والزواج في نظره ارتباط مزعج هو في الحقيقة عاجز عن ممارسته (أيتزوج؟ ماذا يمكن أن يحدث ؟ أن يتغير؟ ايضيف إلى وجوده كارتباط مزعج ارتباطاً آخر .. ما نوعيته؟ ما مدى استمراره ؟ أين السلب والإيجاب ..وقال صديق عاش لنفسه : لا تتزوج فستفقد حريتك.. حينها ضحكا بصوت عال .. ضحكا بألم شديد وعرفا أنهما اكتشفا جرحاً قديما قد تعاهدا على نسيانه .. فصمتا إيماناً بالحقيقة)[٢](وهكذا الإنسان في سجونه الكثيرة سواء سجن نفسه أم سجنه الآخرون)[٣] لقد فر من الزواج لأنه ممارسة مفروضة عليه لا إرادة له في اختيارها إلى جانب كونها ممارسة مقيدة بشروط وهو يريد الحرية ، وقد حاول أن يمارس هذه الحرية في الظلام ليرضي نفسه ويشعرها بالاقتدار،لكنه لا يحس بها (إنها حرية قاصرة مستترة خلف الظلمة والحرية لا تكون إلاّ حين تمارس في الضوء)[٤].

والحقيقة أن المعاناة التي عبرت عنها شخصيات محمد علوان هي المعاناة نفسها التي صورها معظم كتاب القصة الحديثة من خلال شخصياتهم التي حاولوا من خلالها التعبير عن أزمة الإنسان المعاصر وموقفه من الواقع لتصبح الشخصية لديهم نموذجاً أو حالة . فأبطال حسين على حسين على درجة كبيرة من القلق والضياع والشعور بالنزق، فهذا بطل قصة "الرحيل"[٥]من مجموعة الرحيل ، يترك عمله ووالدته ويرحل بحثاً عن الهوية ولانتماء،وقد رمز الكاتب لذلك بمحاولة البطل استخراج حفيظة نفوس شخصية،ولكنه لم يفلح وعاد مرة أخرى بلا حفيظة نفوس،أي بلا هوية وبلا انتماء .

---

(١) مجموعة "الخبز والصمت " ص ٣٤

(٢) المصدر السابق . ص ٣٥

(٣) رشيدة مهران. المجلة العربية . العدد ٦٠ عام ١٩٨٢م ص ٢٧

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر القصة ص ٨١ من هذا البحث .

وبطل قصة "الوصول"[١] للكاتب نفسه في مجموعة "ترنيمة الرجل المطارد" يرحل الرحلة نفسها ويعود العودة نفسها، دون أن يصل إلى مبتغاه. وكذلك بطل "كرسي الخيزران"[٢]من مجموعته "طابور المياه الحديدية" يعاني من الانفصال عن واقعه والعجز عن الالتحام بهذا الواقع وبالتالي هو عاجز عن الانتماء فاقد للقدرة عل الفعل والتغيير.

وأبطال سباعي عثمان جميعهم هم عبارة عن ضحايا لتلك الأزمة التي أفقدت الإنسان - كما تصوره قصص سباعي عثمان - توازنه ووعيه وإرادته، ليبدو وكأنه يعيش دوامة حقيقية لا متناهية تكاد عدواها تصل إلى نفس القاريء وتشعره بمبلغ المعاناة التي يعانيها هؤلاء الأبطال دون أن يعرف سبباً مباشراً وواضحاً لهذه المعاناة .

وبطل "أحزان عشبة برية"[٣] لجارالله الحميد إنما يطارد بأحلامه عشبة برية عجز المفسرون عن معرفة سرها،ومن عرف السر منهم صمت ولم يخبره الحقيقة خوفاً عليه من مغبة البحث عنها، لأن هذه العشبة إنما هي رمز للحرية والانتماء والهوية التي شقي الإنسان - كما تصوره القصة الحديثة - ببحثه عنها دون جدوى ،كما أن بقية أبطال المجموعة جميعهم يعانون من الاستلاب وعدم الانسجام وكذلك أبطال مجموعة "وجو كثيرة أولها مريم" للكاتب نفسه.

وعند عبدالعزيز مشري يصور الأبطال الأزمة نفسها حيث نجد غربة الإنسان وصراعه في المدينة كما في قصة "الفارس دخل المدينة قديماً"[٤]من مجموعة "موت على الماء" وقصة "عنترة بن رداد"[٥]من مجموعة "أسفار السروي" وقصة "من السروي إلى شوق"[٦]في المجموعة نفسها. وفي مجموعة "بوح السنابل" للمشري أيضاً لا يزال الأبطال على الدرجة نفسها من المعاناة والقلق وإن كانوا هنا يمتازون بخصوصية أكثر إذ نجد البطل في "بوح السنابل" أكثر التصاقاً بهموم هذا الوطن وابنائه في كفاحهم الدائم من أجل حياة أفضل .

---

(١) انظر القصة ص ٨١ من هذا البحث .

(٢) انظر القصة ص ٨٤ من هذا البحث .

(٣) انظر القصة ص ٩١ من هذا البحث .

(٤) انظر القصة ص ٩٧ من هذا البحث .

(٥) انظر القصة ص ٩٨ من هذا البحث .

(٦) انظر القصة ص ١٠٠من هذا البحث .

وفي مجموعة "مكعبات من الرطوبة" لعبدالله السالمي تعيش الشخصيات جميعها وسط دوامة لانهاية لها من الوحدة والعجز والانكفاء على الذات . وكذلك تأتي شخصيات خيرية السقاف ،وحسن النعمي ومن جاء بعدهم .

وهكذا تكون الشخصيات في أغلب أقاصيص الجيل الثالث عبارة عن نماذج إنسانية تصبح الشخصية من خلالها عبارة عن نموذج أو حالة عامة تتبلور من خلالها أزمة الإنسان المعاصر، وهذا طبعاً لا يعني اختفاء الشخصية المحلية التي تمثل هموم هذه البيئة بشكل خاص، فهذه الشخصية ما زالت موجودة لدى جميع الكتاب المعاصرين ولكن الجديد الذي تميزوا به عمن سبقهم هو هذه النماذج الإنسانية التي تمثل حالة الإنسان المعاصر أياً كان موقعه، وإن تكن هناك أشارات مكانية يعمد الكاتب من خلالها إلى ربط شخصياته بهذه الأرض ،لأن الإنسان قد أُصبح في القصص السعودي عبارة عن (موقف وقضية ومن خلال الانتقال بهذا الإنسان من حيز المحدودية إلى وضعه في إطار الحالة ..يصبح على القاص إلغاء كل الملامح الشخصية الذاتية ،والسمو بها إلى مرتبة النموذج)[١] لأن الواقعية في رسم الشخصية،لا تعني بأي حال من الأحوال نقل الشخصية بقضها وقضيضها من الواقع المعاش في بيئة الكاتب،بقدر ما تعني الصدق في التعبير عن هذه الشخصية، والقدرة على الإحساس بحجم معاناتها والتغلغل إلى أعماقها،لاستشعار همومها وآلامها وآمالها بصرف النظر عن واقعها الحقيقي،فقد تكون الشخصية مأخوذة من بيئة الكاتب، وقد تكون انسانية عالمية الملامح لا تحدها حدود المكان، وقد يكون للشخصية واقع ثالث هو واقع نفسي لا وجود له إلا في ذهن الكاتب الذي اخترع هذه الشخصية بوحي من تجربة ذاتية أو غيرية أو حتى متخيلة يجد القاريء متعة في التعرف عليها وتأملها مما يثري نفسه ويأخذها الى تجارب وعوالم جديدة لم يعرفها من قبل .

فإذا كان اختيار الشخصية في القصة على درجة كبيرة من الأهمية فالأهم من ذلك هو طريقة التعبير عن هذه الشخصية،والوسيلة التي من خلالها يستطيع الكاتب استبطان شخصيتـــة،ورسمها من الداخل والخارج،

---

(١) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية القصيرة. ص ١٠٠

لتصبح نموذجاً حياً،على درجة كبيرة من المنطقية،والإقناع الفنيين ومن ثم التأثير في نفس القاريء ونقل الإحساس المطلوب إليه .

وعند كتاب القصة الجديدة نجد أنهم في الغالب الأعم كانوا يعتمدون على طريقة "تيار الوعي" في رسم الشخصية ،وقصص تيار الوعي (هي نوع من القصص يركز فيه أساساً على ارتياد مستويات ما قبل الكلام من الوعي . بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات)[١] وطريقة تيار الوعي (هي التي توحد بصورة واضحة وبشكل دقيق بين لحظات الحياة التي يحياها الإنسان في ماضيه وحاضره، ثم مستقبله، وهذا التوحد تتفاعل فيه الأزمنة الثلاثة دون أن يدرك القاريء كنة اللحظة،ومدى اختلافها عن اللحظة الأخرى ، بل إن الشخصية تحيا وتعايش معايشة تامة الأزمنة في لحظة شعورية واحدة، يلغى خلالها الزمن تماماً ،وتصبح اللحظة الآتية هي اللحظة الماضية ذاتها، ومن خلال هذا التوحد وذلك الإلغاء في آن واحد تصبح الشخصية أكثر احتياجاً لإضفاء مسحة الخيال، والتكثيف في رصد الأحداث من حولها بمعنى أنها بهذا المفهوم قد تبتعد عن الطبيعة والصبغة الواقعية لها، وتعتمد في كثير من الأحيان على طريقة الرمز، أو ما نسميه بالتحليل النفسي الرمزي، وتصبح الرموز والكثافة في المدلولات اللفظية أساساً للتعبير والتصوير الفنيين عند القاص)[٢] (ويركز كتاب طريقة "تيار الوعي" في الفن القصصي على معالجة أزمة الإنسان المعاصر، ومدى توتر العلاقات التي تربطه بحياة الآخرين، وبذاته ،وبالدرجة الأولى ،ويبدو هذا التوتر مكمن التركيز على مأساوية الحدث القصصي، ومعنى هذا أن الأعمال القصصية التي تعتمد على طريقة تيار الوعي في المعالجة الفنية إنما تقف على الأبعاد النفسية للشخصية، والحدث ،وتبلور العقدة النفسية تلك،وتحدد كنهها،ومدى ارتباطها بواقع الشخصية الحياتي برمته، وعليه فقد استمدت هذه الطريقة أبعادها من أهم ما أشار اليه أصحاب الاتجاهات النفسية في دراساتهم ،وبحوثهم المتعددة، منذ فرويد وتلامذته من حيث ارتباط العلة الأولى للسلوك في نظرهم بمنطقة اللاشعور الإنساني وهذا -من غير شك -.. يكتسب في معظمه منذ الطفولة، ذلك بفعل توتر

---

(١) مجلة فصول . المجلد الثاني . العدد الثالث . ١٩٨٢م ص ١٥٥

(٢) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية القصيرة . ص٥٩

الحدث أو الأحداث المعاشة مع تطور عمر الفرد)[٢] (والكاتب على هذا وضمن خطوط تيار الوعي النفسية لا يأخذ ما يريده من الأحداث،ويرفض ماسواها، ولا يختار ما يليق،ويسقط مالا يليق بل تبدو الذكريات في تتابع واستمرار،كأنها شريط مرئي،يتابع فيه الناظر كل جزيئات الواقع،الماضي والحاضر،في آن معاً، على تباين الأحداث واختلافها فيهما عبر مناجاة الفرد لذاته ورصد كل ما يحيط بعالمها الباطني من رؤى واحداث)[٢]

ويبدو أن طريقة تيار الوعي في رسم الشخصية قد كانت طريقة جميع الكتاب الذين سبق ذكرهم على أنهم الجيل الثالث أو كتاب القصة الجديدة ولكن استخدام هذه الوسيلة كان يتفاوت حدة وظهوراً من كاتب إلى آخر كما أنه يتفاوت في أعمال الكاتب الواحد من قصة إلى أخرى بناءً على حدة الانفعال الذي تعيشه الشخصية،ومقدار ما تعانيه من التوتر والقلق النفسي (وأكثر لحظات التوتر الزمني عند الشخصية،التي تتابع فيها تيارات الوعي،لتسجل ذلك التوحد الكامل بين أزمنة العمر على تكرارها،وتباين معالمها،هي تلك اللحظات التي يروي فيها الفرد تفاصيل حياتيه بشكل عفوي وسريع،يعتمد على التلقائية،فتأتي عملية التوحد تلك دون الدقة في الطرح ومن غير الاعتماد على عملية التنظيم ووضع أساس معين لتسييرها،ومن هنا تأتي الشخصية طبيعية في تعبيراتها عن نفسها ويكون بذلك معادلاً موضوعياً لما يماثلها في الواقع الحي من شخصيات غير مستقرة النفس)[٣]

وهذه بعض نماذج "تيار الوعي" لدى كل من عبدالله السالمي ،وعبدالله العتيق، ورقية الشبيب، وعبده خال :

يقول السالمي في قصة "الصيف والرماد" :

(ورفعت عينين متحديتين.. وكانت رعشة لذيذة قد بدأت تلذع طرف لساني.. وحاولت أن ابتسم في هدوء..وكانت كلمات قد شرعت تصتخب (*) في داخلي.. لكن فجأة مثل طلقة سريعة في منتصف الليل.. وعلى المرآة الصغيرة المعلقة بذوق رديء على الحائط .. أمامي مباشرة .. انعكست

---

(١) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية القصيرة . ص٩٦

(٢) المرجع السابق . ص ٩٧

(٣) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(*) هكذا وردت . والصحيح تصطخب .

صورة غائمة .. لوجه شاحب متداع.. بشفتين مسودتين.. وعينين غائرتين.. تحيط بهما هالات زرقاء عميقة.. وتراجع شيء ما في أعماقي .. وانكمشت شفتاي في ألم.. لا أدري لم أحسست في تلك اللحظة البليدة إني عجوز .. عجوز .. كتلة رماد مهترئة في أعماق موقد عميق .. امتص الزمن آخر قطرة دفء فيها ولن أبدأ أبدأ من جديد.. لقد فاتني القطار وعلي أن أبيت ليلتي في العراء وحيداً على رصيف المحطة الفارغ .. وتسلل الخوف القديم نفسه إلى عروقي ونبتت في حلقي ألف شوكة وشوكة حين قلت كالعادة :

- لا مؤاخذة يا سعادة المدير !

واستدرت في صمت .. وقد انطفأ الألق الصغير الكاذب.. وككل مرة كان وقع قدمي رتيباً لا معنى له .)(١)

وفي قصة "من يلبس أحداقي مرة" لعبدالله عبدالرحمن العتيق يأتي هذا المقطع (ذهلت مرتين .. عندما تلوت قراءة المساء في زمن احتضار البراءة .. بعضاً منك .. من زمان وأخرى قرأتيني في البحار اللجية وشقوق الجدران المتصدعة.. وبكاء الغربة بين الأهل والوطن والناس .. فلمحتيني بين الركام ..أشلاء ممزقة بين الأسطر المشطبة وأحداق زائغة مرعوبة في زمن القلق المدمر.. اليوم أجرجر نفسي من قارعة الطريق لأقبع وسط الشارع ،أمد يدأ مبتورة للشاحنات القادمات في زمن المآسي المجهضة .. فينشرون جسدي المهترىء على أُسلاك الكهرباء.. بين الأعمدة .. وإن تكن الدنيا علبة صدئة .. ففي غرفة معتمة تصرخ غانية الجبل .. لسنين تريدها الرجوع في يأس .. وتسأل عما يبقى من الرواية والسهر والناس والضجر واللوعة.. وفي زمن ماتت فيه الأحلام المجنحة .. كما البراءة .)(٢)

وبالاعتماد على تيار الوعي استطاعت رقية الشبيب في قصتها "فجوة" أن تقوم برحلة طريفة ورامزة في أعماق "كلب" يعاني - وهو رمز الوفاء - من خيانة الإنسان وغدره، وتخليه عن ماضي الأشياء بسهولة، في حين أنه متشبث بكل جديد وإن لم يكن له ضرورة : (ضباب

---

(١) مجموعة "مكعبات من الرطوبة" ص ٥٦

(٢) مجموعة "أكذوبة الصمت والدمار" ص ١٢٥

يحجب التطلعات .. منشار يحفر ..سوسة تنخر.. بقع سوداء تغطي الساحة، عش اللحظة فقط ودع ما فات وما هو آت ، هذا لايعني انتهازية مفرطة.. ما نفقده لا يعود.. الحيوان وحده لايملك ماضياً ولا مستقبلاً ، عندما يجوع يأكل (فقط) هل العودة تقهقر..؟ كيف ننسلخ عن حقائقنا، انفض اجتماع الليلة بطردي.. لم ..؟ لأني مارست مبدأي . كيف ..؟ بعوضة أدمت مقلة الأسد. لكن ؟ تكلم.. تكلم .. الذبابة وحدها تسمعك او لا تسمعك (إيه دنيا)لاشيء طردني ابن آدم بعد أن مل نباحي لأجل الدفاع عنه. ولم ..؟ لأن ذئباً افترس من قطيعه خروفاً .. وما ذنبك ..؟ ذنبي ..إنه رفض ماضيي عنده. الذبابة تندس داخل منخره، يعطسها.. اعتاد الجسد أن يرفض الجسم الغريب بالعطاس.. تراجع مرفوض.. والفجوة تتسع، الرقعة في الثوب أصبحت موضة عصر،بعد أن كانت ضرورة زمن.. الوفاق والتوازن كلمات لقاموس مفقود في منطوق الزمن الحاضر. تثرثر بلا مقياس (اصمتي يا نفس) ثم ماذا..؟ تحالفت مع ذئب وثعلب استغلا ضياعي وانكساري . والنتيجة..؟ الليلة انفض الاجتماع بطردي بعد أول غنيمة .. كيف ..؟ الينبوع لم يجف والجرح لا زال ينزف ثجاجاً والجنة ترفض العصاة.)(١)

وفي قصة "الظلام" لعبده خال ،يصور الكاتب حياة الإنسان – بطل قصته – كأنها رحلة في طريق أو سرداب مظلم،تتداخل فيه الأشياء ويضيع موطيء القدم.. (تباً لهذا الظلام ! هل أظل جاثياً أقرأ الأمكنة بالاحتمالات؟! شرارة واحدة كفيلة بأن تغتال هذا الظلام .. ليتني لم أقلع عن التدخين. كنت الآن في أحسن حال!.. أو ليت رغبته انطفأت في عينيه كنت الآن خارج هذه الدائرة .

"ليت أم عمر لم تلد عمرا"

من المؤكد بأنها اختارت لي اسماً آخر .. نفضت ما تبقى من عجزي.. واستقمت .. لا شك أن المسافة بين البوابتين مستقيمة. فلأقطعها ركضاً .. حاولت كثيراً أن أقف .. كنت أسقط في كل محاولة . تعلمت الحبو.. وحبوت .. ركبتي .. راحة الكفين مضغها الطريق. إن للظلام أشواكاً قاتلة! واصلت زحفي وزحفت .. فجأة وجدت أنني أستطيع الانتصاب والسير .

---

(١) مجموعة "حلم" . ص ٢٢

شددت قامتي .. وسرت .

السير في الظلام مؤلم .

لا زال الطريق فاغراً فاه.. أُسنانه المدببة تؤلمني .. فتعلمت لبس الأحذية.. ووقفت "واثق الخطوة" وقفت حائراً .. هل أَقطع المسافة ركضاً . قال حكيم : من علامات الأحمق الاستعجال . إذاً لأخطو بتؤده.. شددت حزامي.. تطلعت للظلام سافراً .. وتحركت .)(١)

وإذا كان هناك ما يشبه التوافق حول استخدام كتاب الجيل الثالث لتيار الوعي في رسم الشخصية ،فإن هناك توافقاً كاملاً على أن هذه الشخصيات غالباً ما تتسم بالسوداوية والتشاؤم والكآبة ،وقد اعتبر هذا مأخذاً من المآخذ ،وإن كنت أرى أنه من الطبيعي أن يكون هذا هو حال الشخصيات التي جاء الكتاب المعاصرون لرسمها مادام هذا هو حال إنسان هذا العصر وهذا هو واقعه الذي تريد الأعمال القصصية ترجمته والتعبير عنه ، وإن كان لابد أن يكون هناك باب موارب للأمل ..

(١) مجموعة "حوار على بوابة الأرض" . ص ٧٠

الفصل الثاني

الحدث

لقد قل اهتمام الرواد بالرسم الداخلي للشخصية القصصية - كما أشرنا في الفصل السابق - حيث انصب اهتمامهم على الحركة الخارجية للشخصيات وصولاً إلى عرض الأحداث وتطورها، على اعتبار أن الحدث في القصة هو الفعل، والفعل عادة هو الذي يحمل عبء التعبير عن الفكرة التي يريد الكاتب التبشير بها من خلال قصته ،خاصة وأننا عرفنا أن القصة لدى الرواد قد كانت قصة تبشيرية إلى حد ما تهدف أولاً ما تهدف إلى التهذيب والإصلاح .

إن هناك نوعاً من القصص يسمي بـ "قصة الحادثة" أو "القصة السردية" (يعنى عناية خاصة بالحادثة وسردها وتقل عنايته بالعناصر الاخرى)[١] ومثل هذه التسمية أو الصفة قد تصدق على القصة المتوسطة أو الرواية التي يمكن للكاتب أن يجعل منها مسرحاً للكثير من الوقائع والأحداث، ولكنه (ينبغي أن يكون واضحاً أن الصورة البنائية تختلف من نوع قصصي إلى آخر . فالصورة البنائية التي تتمثل في الرواية لايمكن أن تصلح لبناء قصة قصيرة)[٢] لأن بناء القصة القصيرة يتميز بالتركيز الشديد لكل عنصر من عناصره ، من شخصيات ،وحدث، وبيئة ، وكذلك الفكرة التي يريد الكاتب عرضها، فقد لايتجاوز أشخاص القصة الشخصية الواحدة ،كما أن الحدث يمكن أن يكون حدثاً واحداً يصور الكاتب من خلاله لحظة شعورية عابره تحتاج من الكاتب جهداً كبيراً،ومقدرة فنية عالية ليستطيع تعمق هذه اللحظة وتصويرها بتركيز شديد لا يحتاج لشيء من التفسير أو التفصيل . وهذا هو الذي يميز القصة القصيرة عن الرواية ، إذ تتناول الرواية قطاعاً عرضياً للحياة ، بكل ما في هذه الحياة من اتساع وتنوع وحركة في حين تعتبر القصة القصيرة قطاعاً طولياً لهذه الحياة لا تعنيه الحركة الجانبية بقدر ما يعنيه التغلغل في عمق الصورة واستبطانها والتعبير عنها في دقة وتركيز شديدين .

وإذا عاد القاريء إلى قصص الرواد السعوديين سيجد أن القصة القصيرة كانت تعاني من اختلاط مفهومها في أذهان هؤلاء الكتاب بمفهوم الرواية مما أدى إلى اضطراب الحدود الفنية لكتابة القصة القصيرة وعدم

---

(١) عز الدين اسماعيل . الأدب وفنونه . مصر ١٩٧٨م. ص ١٨٦

(٢) المرجع السابق . ص ١٨٩

وضوحها عند بعضهم .

وبدءاً من أحمد السباعي رائد القصة الواقعية القصيرة سيجد القاريء أن (مجموعته "خالتي كدرجان" تمثل محاولة لمعالجة الأقصوصة ولكنها باستثناء أقصوصة "خالتي كدرجان" لا تعد أقاصيص بالفعل أذا قيست بمعايير هذا الفن وتكاد أن تكون ملخصاً لقصص طويلة، بل إن قصة "اليتيم المعذب" هي بالفعل قصة طويلة .)(١) فقصة "خالتي كدرجان" تقرب من أن تكون قصة قصيرة لولا كثرة التفاصيل التي أثقل بها الكاتب بناء القصة وكاد بذلك أن يخرجها عن حدودها إلى حدود القصة الطويلة أو الرواية ، فالقصة في مجملها رواها السباعي عن طريق التذكر حيث أبتدأها من نهايتها وهذا ملمح جيد كان يمكن أن يحتفظ للقصة بتماسكها وتركيزها ويجعلها أكثر صلة بالقصة القصيرة ،لو لم يقاطعنا من وقت لآخر (صوت المؤرخ الذي قد يفسد السرد القصصي ليدلك على الزمان والمكان أو يشرح ما خفي عليك من أسرار تلك الحقبة القديمة)(٢)مع أن القاص يستطيع (أن يكتفي بعرض الحدث نفسه دون مقدماته أو نتائجه)(٣)

ولكن ا لسباعي عرف بولعه الشديد - ليس في هذا العمل وحسب بل في كل أعماله القصصية - بتصوير الجو (الشعبي في مكة قديماً ، حيث تتبدى الحارة والكتاب، والمقهي والمقابر، والمخافر والسجون، كما تطالعك صور البسطاء من سقاء وشواء وبناء وجمال ومكارى، كما يطلعك زحام هؤلاء جميعاً على نماذج بشرية للأشرار والأخيار ،كما توافيك قصص السباعي بأنواع المآكل والمشارب والعادات والأفكار ، وما يحبه ويكرهه من الأشياء)(٤)وإن استغرق مثل هذا الوصف الكثير من مساحة القصة دون مبرر لذلك ودون أن يقدم للحدث كبير فائدة، كقوله في خالتي كدرجان (كنا يومذاك صبية نلعب الغميمة بين ملاوي زقاقنا ،وكنت شخصياً صاحب دل عليها فلا يحلو لي أن اختبيء إذا احتدم اللعب إلا في بيتها، وكانت لفرط حنوها إذا رأتني هارعاً إليها وأنا ألهث ظنتني خائفاً ممن يطاردني

---

(١) مصطفى ابراهيم . مجلة القافلة. العدد ١٢ . المجلد٣٤. ذو الحجة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م ص ١٦.

(٢) منصور الحازمي . جريدة الرياض. ع ٧٢٣٥، ٢٧ شعبان ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م

(٣) محمد زغلول سلام . دراسات في القصة العربية الحديثة . ص ١٢

(٤) مصطفى ابراهيم حسين . مجلة القافلة .العدد ١٢ .مج٣٤،ص١٦.

ليضربني فتشيرلي بيدها إلى الكنبة التي تتصدر الديوان لأختبيء تحتها خلف السجاف فإذا أفرخ روعي تسللت على أطراف اصابعي ،فكانت إذا رأتني تقف دوني لتمنعني الخروج: كم مرة يا واد .. قلت لك لاتخلي البزورة يتلموا عليك. هادول اشقياء وأنت صغير. وهي لسذاجتها لا تدري أنها طبيعة اللعبة وأن المغموم يجب أن يهتدي إلى مخابيء المندسين أو أحدهم ليصبح فيه الدست.)[١]وفي مقطع آخر يقول : (كنت ألاحظ من عنايتها بنفسها وبالناس مالا أجد له مثيلا بين كل الجارات،اللاتي أغشى منازلهن ، كان مسكنها على صغره نظيفاً بشكل يسترعي الانتباه وكانت مساند الكنبة التي تستقبل عليها ضيوفها محلاة بالترتر البراق ومخداتها وسط الكنبة مطرزة بأشجار يلمع فيها اللازوردي ،والأصفر،وفي حواشيها سطور كان يروقني شكلها وإن كنت لا أحسن إلاّ قراءة كلمة "آه" بين مقاطعها)[٢] مع أن الفكرة في القصة تدور حول قصة (الفتاة الثرية العانس التي حال طمع أهلها دون زواجها فظلت تحلم بفارس الأحلام إلى أن طعنت في السن وماتت مريضة ملتاثة)[٣] وكان حرياً بالكاتب أن لا يبتعد كثيراً عن فكرته وأن يركز اهتمامه كاملاً على الأدوات الفنية التي تعينه على التعبير عن هذه الفكرة، ولكن يبدو أن هذا الاستقصاء الدقيق لتفاصيل البيئة إنما كان من الضرورات التي تدعو إليها الواقعية كما يراها الرواد، مع أنه ينبغي أن يكون واضحاً (أن توظيف البيئة يعتمد كذلك على مفهوم الفن القصصي لدى الكاتب، وعلى مدى إدراكه للحدود التي تفصل بين عالم الإبداع وعالم الحقيقة أو بين الصدق الفني والصدق التاريخي ولاشك أن السباعي وجيله من القصصيين المحليين كانوا ملتزمين بقضايا التعليم والإصلاح أكثر من التزامهم بمقاييس العمل الفني)[٤] وإن كانوا بذلك لم يفعلوا أكثر مما (أوصى به حكماء المدرسة المصرية الحديثة في عشرينات هذا القرن ،وأعني ملاحظة الواقع وتصويره بأمانة وإخلاص)[٥] لأن الرؤية الواقعية لديهم

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ١٤

(٢) المصدر السابق . ص ١٥

(٣) منصور الحازمي . جريدة الرياض. ع ٧٢٣٥، ٢٧ شعبان ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م

(٤) منصور الحازمي . جريدة الرياض. ع ٧٢٢٨، ٢٠ شعبان ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م

(٥) المرجع السابق .

(تحاول خوض عالم مصطرع بشتى التجارب والاتجاهات .. وتتميز بأنها تحاول اصطناع أدوات الواقعية ،من حيث النفاذ إلى أبعاد القضايا المختلفة تمسك بعنانها وتوحي بالقدرة على التعامل معها، مطوعة عنصري البنية والتعبير)[١].

وفي قصة "اليتيم المعذب" أراد السباعي (أن يبين تأثير البيئة والوسط الاجتماعي،في الشخصية،مما يدخلها إما إلى الخير،وإما الى الشر ، وينطلق السباعي في هذه القصة من الفكرة التي تدور عليها معظم أقاصيصه ومقالاته وهي أن الإنسان خير بطبيعته وأن المجتمع هو الذي يحمله على التفكير في الإثم وارتكابه)[٢] يقول عن إحدى شخصيات القصة :(كان يرى أن بيئة الشخص،وعادات محيطه مسؤولة في المقام الأول،عن جميع تصرفاته في الحياة ، فزوجه إذا كانت شريرة،أو سليطة اللسان،فمن الغبن أن يمقتها.. وجاره الأناني،الظالم،لايراه مسئولاً إلاّ إلى حد. لأن الملابسات التي صادفته في الحياة هيأته من حيث لايشعر لمثل هذا الخلق.. وكان يرى أن اللصوص والقتلة لو صادف نشأتهم تهذيب عادل لتورعوا عن سفك الدماء. ووجدوا في أعمق خفاياهم وازعاً دينياً ،أو أدبياً، يهديهم إلى الاستقامة والنبل .)[٣]كما أن علوة(لم يولد منحرف الأخلاق أو مستقيمها ،وإنما ولد كما تولد العجائن اللدنة قابلاً للتكيف والصيانة)[٤]ولعل (هذه الحتمية العلمية في دراسة الشخصية تذكرنا بما كان يذهب إليه الطبيعيون وعلى رأسهم أميل زولا الذي كان يؤمن بأن الإنسان ليس كائناً مستقلاً ولغزاً فردياً وحصيلة صدف، بل حصيلة مجموعة ظواهر تكفي دراساتها والتعمق بها لفهمه ورسمه في إطاره الحقيقي ... ولقد كانت الطبيعية من أهم المذاهب الغربية التي تركت بصماتها في رواد المدرسة الطبيعية أو بغيرها من المدارس الواقعية من المدارس العربية التي كانت تنحو نحواً علمياً موضوعياً في دراسة الواقع)[٥]غافلاً عن أن مثل هذه المدارس إنما تقوم على فلسفة خاصة (ترى الحياة من خلال منظار أسود ، وترى أن الشر

---

(١) حلمي بدير، دراسات في الرواية والقصة . مصر ١٩٨٥م . ص ١٩٥

(٢) منصور الحازمي . جريدة الرياض . ع ٧٢٣٥

(٣) مجموعة "خالتي كدرجان" ص ٣٧

(٤) المصدر السابق . ص ٥٢

(٥) منصور الحازمي . جريدة الرياض . ع ٧٢٣٥

الأصل فيها وأن التشاؤم والحذر هما الأجدر ببني البشر لا المثالية والتفاؤل)[١] كما أنها لا ترى القيم الاخلاقية والمواضعات الاجتماعية إلاّ(أغلفة نحيلة لا تكاد تخفي الوحش الكامن في الإنسان ، وهو ذلك الذي عبر عنه الفيلسوف الانجليزي الواقعي هوبز بقوله : إن الإنسان للإنسان ذئب ضار)[٢] (غير أن السباعي لم يكن يستوحي - فيما يبدو - نموذجاً خارجياً في رواية "اليتيم المعذب" بقدر ما كان يستوحي نموذجاً حقيقياً سبق أن رأيناه في سيرته الذاتيه. حقاً أن شخصية علوة لا يمكن أن تتطابق مع شخصية المؤلف، إنها مجرد حالة للدراسة والتشريح.. ولكن الامراض النفسية التي تشكو منها هذه الحالة لا تبتعد كثيراً عن تلك التي يشكو منها السباعي نفسه في طفولته، وأهمها القسوة والكبت والحرمان. بل إننا نستطيع القول أن السباعي كان أول من أخضع نفسه للتشريح الذاتي وكانت اعترافاته - بالقدر الذي تسمح به البيئة - حالة فريدة لم نألفها حتى ذلك الوقت بين أُدبائنا المحليين)[٣]فالطفل علوة (لايعدو أن يكون حالة يجري عليها الكاتب تجاربه لإثبات فرضية،اقتنع بصحتها منذ البداية، وأعلن عنها في الكثير من أعماله الأخرى،وتلك الفرضية الصحيحة سلفاً،لا تحتاج إلاّ إلى أمثلة لإثبات أن الإنسان نتاج ظروفه وبيئته الخاصة،وأَن الخير والشر أمران مكتسبان لا علاقة لهما بالطبيعة الإنسانية)[٤]ومن هنا جاء بناء القصة وهو (أقرب إلى البناء الروائي منه إلى القصة القصيرة ،لأنه يتتبع فيه حياة بأكملها،من البداية إلى النهاية،ويحشد الكثير من التفاصيل،والشخصيات الثانوية،التي يستطيع من خلالها أن يبين المراحل المختلفة،لنمو البطل،وتقلبه،في احوال متباينة)[٥]وبهذا نجد السباعي وهو يتقمص (دور الباحث الاجتماعي والمحلل النفسي والمؤرخ الذي يهمه موضوع البحث أكثر مما يهمه الإبداع)[٦]في حين أن الموضوع (ليس كل شيء في القصة إذ أن الموضوعات ملقاة على قارعة الطريق، يلتقطها

---

(١) محمد مندور . الأدب ومذاهبه . ص ٩٤

(٢) المرجع السابق . ص ٩٣

(٣) منصور الحازمي ،جريدة الرياض . ع٧٢٣٥

(٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق

(٦) المرجع السابق

الكاتب المبتديء والكاتب الذي استحصدت ملكته، وإنما المهم هو طريقة الكاتب في علاج موضوعه وتجليته)[١]فعلاوة على كثرة أحداث القصة واستقصاء الكاتب،لكل تفاصيل حياة علوة - منذ ولد يتيماً إلى أن فر هارباً مطارداً بصحيفة السوابق - تجد القصة قد أُتخمت بالكثير من الشروحات والتفسيرات،التي لا علاقة لها بالحدث،والتي كان يمكن الاستغناء عنها،أو الإشارة اليها مجرد إشارة بدلاً من قطع سير الأحداث من وقت لآخر مما ادى إلى فتور الحدث واضطرابه، فقد استغرق الكاتب في الحديث عن الرجل الطيب - الذي تبنى اليتيم - مساحة كبيرة من القصة وأسرف في بيان فلسفته في الحياة التي لا تعدو في الحقيقة أن تكون فلسفة الكاتب نفسه حول العلاقة بين الفرد والبيئة التي نشأ فيها حتى إذا شعر أنه قد ابتعد بالقاريء عن الخط الأساسي في القصة تدارك نفسه بمثل قوله : (اعتقد أن القاريء سوف لا يفوته أن الواد الذي عزمت السيدة أن ترتاح من خلقته ليس هو إلاّ طفلنا الذي تركنا الرجل الطيب ينقله من الصحة إلى البيت، ويمهد لنومه في مخدعه الخاص فوق الكرويته، كما لا يفوته أن السيدة هي نفسها السيدة التي استقبلته بالجفاء الذي استقبلته به في فصلنا الأول ..)[٢] كما أنه أسرف كثيراً في الحديث عن شؤون الأمن في مكة أواخر العهد العثماني، وما كانت عليه من عبث وفوضى بسبب (توزيع المسئولية في البلاد بين حاكمين كانا يتنازعان الاختصاص في أوضاع غير محددة، ومسئوليات غير مركزة،فالدولة العثمانية كانت تولي أمر الحجاز أحد اشراف مكة من البيت القديم الحاكم فيها، ومع هذا كانت لاتوليه ثقتها الكاملة.. بل تندب إلى جانبه من يمثل سلطتها من الأتراك ...)[٣] وقدم صورة مفصلة عن طائفة اللصوص والنشالين الذين اشتهروا في مكة آنذاك أمثال أبي سعيد - أمين جاوي - حامد مخربش - وغيرهم من الذين (كان بعضهم يراهن على نشل ما في جيبك ،ثم لاينتهي حديث الرهان حتى تكون محتوياته قد انتقلت إليه دون أن تشعر، وكان بعضهم ينذرك لتتحصن ضد عدوانه،ويعين لك الساعة التي يسطو فيها ثم لايخلف أنذاره رغم

---

(١) محمد يوسف نجم . فن القصة . بيروت . عام ؟ ص ٥٦

(٢) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ٣٩

(٣) المصدر السابق . ص ٤٩

جميع الاحتياطات التي تحاولها.)[١]وعرض أحوال السجون آنذاك ونظامها وقدم عنها تقريراً كاملاً حيث (كان النظام في هذا العهد من أرفق أنظمة السجون في العالم، إذا قيست تقاليده بتقاليد غيره.. فقد كانوا يبيحون للسجين أن يرتدي ملابسه الخاصة، وأن يستحضر لأكله ماشاء من طعام ،ولنومه ما شاء من فرش .. ولما كان السجن في العادة لا يخلو سجناؤه من طبقات تختلف باختلاف مراكزها وغناها، فقد كانت كل طائفة تجتمع إلى طائفتها...)[٢]وقهوة العم سالم التي اختلف عليها علوة أكثر من مرة لسرقة النائمين فيها لم ينس السباعي أن يصفها لنا (كانت قهوة العم سالم تمثل بناءً واسعاً في أعالى خريق المعلاة، بجوار مسجد الجن قبل أن يمتد العمران بشكله الحاضر إلى ذلك الجزء .. كان روادها في أمسيات أيام القيظ يتمتعون بمائه البارد المعطر قبل انشاء معامل الثلج في مكة ..)[٣]

وبهذا يظفر القاريء لقصص السباعي على (صورة نادرة من الحياة المكية في ذلك العهد، معظمها قد اختفي تماماً، كما اختفي الكثير من الأسواق والمواقع القديمة بأفعال التوسعة وتبحر العمران وغلبة الحياة الحديثة في الوقت الراهن)[٤] وقد كان يمكن لبيئة السباعي أن تصبح (فتحاً عظيماً قي قصتنا المحلية لم يتنبه له في زمانه أحد)[٥] لو أنه وظف هذه القدرة الفنية في رسم البيئة لخدمة الفن الروائي الذي يستوعب مثل هذا التوسع بدلاً من تحميل القصة القصيرة أكثر مما تحتمل،لتخرج فيما بعد وهي أقرب الى شكل التقرير أو المقالة التي تحمل من الدروس والأفكار أكثر مما تحمل من الفن والإبداع .

وقد كان إبراهيم الناصر من الكتاب الذين كان (لهم شرف ريادة وفتح هذا الباب الصعب ،والدقيق والمضني في الأدب السعودي المعاصر.. ألا وهو باب القصة القصيرة)[٦]وإن كانت القصة القصيرة لديه ما زالت تميل إلى

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" ص ٥١

(٢) المصدر السابق . ص ٥٧

(٣) المصدر السابق . ص ٥٩

(٤) منصور الحازمي . جريدة الرياض . ع ٧٢٣٥

(٥) منصور الحازمي . جريدة الرياض . ع ٧٢٢٨

(٦) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق . ص٧٣

التقليدية التي يصعب إخضاعها لمقاييس المفهوم الفني لكتابة القصة القصيرة الحديثة. فقصة "أرض بلا مطر" من المجموعة التي تحمل الإسم نفسه، افتتحها الكاتب بمقدمة تحدث فيها عن تلك القرية الخشبية الراقدة وسط الصحراء والتي ساقت الأقدار بطل القصة للعمل فيها، ولن يجد القاريء في هذه المقدمة سوى (أنها مقدمة طويلة ومملة، وليس لها مبرر فني، يتعلق بالموضوع الذي طرحه ،وبالامكان الاستغناء عن هذه المقدمة استغناءً تاماً دون أن يؤثر ذلك على سير الأحداث ،خاصة وان التركيز في هذه القصة ليس على تصوير مدى تعاسة أوضاع القرية مثلاً، ولا على القرية نفسها، بأي حال من الأحوال، بقدرما هو تركيز على طرح موقف يتعرض له بطل القصة)[١] (كانت الخيام المحاطة بالأسيجة تدعى حي الشركة. لم تعد حياً مأهولاً بالمعنى الحرفي إنما هي أقرب إلى المعسكر، أقامته الشركة لسكن عمالها من العرب، في طرفه بوابة كبيرة محاطة بالأسلاك على كلا جانبيها، اتخذها الحراس الذين يقومون بمهمة التفتيش مقراً لهم، يقيهم عاتية الأعاصير والأتربة النافرة دائماً ...)[٢] ولعل إصرار الناصر على تصوير مثل هذه الأجواء الخارجية المحيطة بالأحداث قد حول القصة إلى صورة جامدة قدم لنا الكاتب تفاصيلها دون أن نجد فيها أثراً للحياة،وكأن الكاتب إنما يروي خبراً أو يكتب مقالة أو حكاية عادية لا أثر فيها للتفاعل والصراع مع أن القصة قد حوت الكثير من الخيوط التي يكفي الواحد منها لحمل فكرة أو موقف أو حدث مختلف عما تحمله الخيوط الأخرى . فأول هذه الخيوط بطل القصة وراويها وهو الشاب الذي رحل إلى القرية الخشبية سعياً وراء تحقيق أحلامه تاركاً وراءه امه العجوز وأباه القاسي(ومضيت شاقاً طريقي في ذلك المنحدر الوعر والابتسامة الشاحبة التي ودعتني بها عجوزي الحبيبة تشق دوماً في ظلمة أحلامي الراعشة. ورسائلها تترى علي تحثني على مقارعة الاقدار)[٣]والخيط الثاني هو رافع الذي وصفه الكاتب بأنه أشد المتحمسين لأفكاره (فقد تلقى تجارب أو صفعات أكثر، لذا فهو يردد دوماً ، هناك شيء أقوى منا يشدنا أبداً إلى

---

(١) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق . ص٧٥

(٢) مجموعة "ارض بلا مطر" . ص ٥

(٣) المصدر السابق . ص ٧

عجلة الحياة وطاحونتها التي لا ترحم، قد يكون الإيمان أو التشبث بوهم يومض بصيصه الواهن في غمرة الكآبة بالاحزان التي تعشعش على سماء حياتنا فندعوه أملاً وليس في الواقع سوى سراب ..)[١]

كما أن ظافراً خيط ثالث يمتزج فيه اليأس بالأمل رغم تجربته المريرة (لقد امضيت خمسة وعشرين عاماً في الخدمة فماذا تراني ربحت؟ لاشيء سوى شهادة بالتفوق . شهادة العاهة المستديمة، ساق مقطوعة ونمش الحريق يلون جسمي كالحرباء. انني الآن لم أعد سوى كلب أجرب يتحاشاني أولئك الحمر ويهربون من ملامستي. فأعقب في سري أن لاجدوى من هذه الحياة العقيمة التي لاتنفث سوى الصديد في أجوافنا.. نعم لافائدة . إلا إنني لا ألبث وأصحو على إشراقة البسمة الحانية والنشيج المختلط بالدعوات الصادقة: روح ربي يحرسك ويوفقك يا حبة قلبي . وأحس بالدماء تتدفق في عروقي من جديد.. دماء تفرش أمامي أرضاً بالورود والرياحين..)[٢]وأهالي القرية الخشبية أنفسهم يمثلون خيطاً رابعاً في القصة حيث تسببت الشركة التي يعمل بها البطل ورفقاه في مشكلة هددت ارزاقهم[٣]حتى الحريق التي أتت على القرية وما فيها كما أتت على أحلام الشباب وتعبهم يمكن اعتبارها خيطاً مستقلاً يمكن أن يكون وحده موضوعاً لقصة قصيرة دون حاجة إلى روافد أو شروحات . كما أن عودة البطل صفر اليدين وصعوبة موقفه من أهله والذي لخصه الكاتب في ثلاثة أسطر كان يمكن أن يكون موضوعاً خصباً لقصة قصيرة على درجة كبيرة من العمق والتأثير .

ولعل كثرة هذه الخيوط كانت سبباً في أن تصبح (أرض بلا مطر ذات أرضية فنية روائية وليست بأرضية فنية قصيرة بمعنى أن هناك أكثر من موقف وأكثر من أزمة تصلح لأن تكون قصة قصيرة بحد ذاتها، فيما لو روعي فيها التكنيك القصصي الدقيق والذكي)[٤]وبهذا افتقدت أرض بلا مطر (التركيز والعمق ،وبسبب ما ذكرناه وهو تبنيها لأكثر من موقف حاولت

---

(١) مجموعة "ارض بلا مطر" . ص ٧

(٢) المصدر السابق . ص ٨

(٣) انظر ص ٩ من مجموعة "ارض بلا مطر"

(٤) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق . ص ٧٩

أن تلمسه من بعيد، ومن الخارج لمساً خفيفاً لا يتعدى أن يكون إلقاء نظرة سريعة .. وكأنها جاءت مشروع رواية ما، أو تلخيص لرواية ما .)[١] في حين أن القصة القصيرة يكفيها (الحدث الواحد المكثف والمعمق، تعميقاً متناهياً)[٢]ويبدو أن الناصر وغيره من الرواد لم يهتموا بمثل هذه المفاهيم الفنية،لكتابة القصة عموماً والقصيرة منها على وجه الخصوص نظراً لانشغالهم بتصوير الواقع تصويراً أميناً كل أدواته الدقة في الرصد والتسجيل، والعبارة الإنشائية ،والأسلوب الخطابي المباشر، مع أنه يفترض في كاتب القصة الواقعية (أن يترك في نفوسنا أثراً نحس معه واقعية الحياة ولكن ذلك لايعني أن يترك فينا هذا الأثر على نفس الصورة التي تتركه بها الحياة ذاتها، ففي القصة ينبغي أن يتلقى القاريء هذا الأثر وهو شاعر به مدرك له ،أما في الحياة بما فيها من اضطراب في تتابع الحوادث، ومن مجال للمصادفات العمياء في سيرها فإننا لا نحس الأشياء إلاّ إحساساً غامضاً مهوشاً مضطرباً ،ونشعر بها شعوراً ناقصاً وندركها إدراكاً ليس فيه كل النقص لصفاتها وخصائصها كأننا نتلقاها ونحن غافلون ،وواجب القصة أن تقدم لنا هذه الأشياء على صورة تشعرنا بها شعوراً كاملاً قوياً . وواجب القاص أن يخلق من فوضى الحياة نظاماً متسقاً في قصته ،وإن ما نسميه بالحبكة القصصية ما هو إلاّ عملية اختيار وتقديم وتأخير للحوادث ،فالقاص يختار الحوادث الصالحة، ويضع هذه قبل تلك ،وتلك قبل هذه بحيث يجيء السياق والتتابع موفياً بالغرض المقصود ولو خلت القصة من هذه الحبكة لم تعد قصة فنية)[٣]غير أن قصة "عروس القرية" وحدها من بين قصص "أرض بلا مطر" قد تميزت ببعض الملامح التي قربتها أكثر من الشكل الفني لكتابة القصة القصيرة في ضوء الاتجاه الواقعي ، فقد ركز الكاتب قدراً كبيراً من اهتمامه كما سلط الأضواء جميعها على شخص واحد هو الابن "سليمان"،الذي أرادت أمه الزواج بعد وفاة أبيه،ولم يعلم هو إلاّ ليلة العرس، مصوراً الكاتب ذلك الصراع الذي عاناه الطفل تلك الليلة وإحساسه بالمؤامرة التي حيكت لانتشاله من حضن أمه ،فقد وضع الكاتب (هذا الصبي أمام عينيه ولا أحد سواه، وبدأ ينسج حوله جميع المنعطفات

---

(١) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق . ص ٧٩

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(٣) محمد زغلول سلام . دراسات في القصة العربية. ص ١٢

النفسية .. وردود الفعل التي أحدثها زواج أمه من رجل آخر)[١]ومن هنا أخذت القصة سمة التركيز،والعمق من خلال تكثيف تلك اللحظة،التي عانى فيها الطفل مشاعر الفجيعة،والحرمان،والمقت لكل من هم حوله (وأحس أنه يكره أحلامه.. بل ويكره الصبية وكل من احتفل بزفاف حياته إلى الإعدام.. وحتى أمه كرهها في تلك اللحظة .. اللحظة التي خذلته فيها أمام أقرانه)[٢]ومع ذلك لم تخل القصة من بعض الشرح والتفاصيل التي لا حاجة إليها. (فالصيدليات لم يكن لها وجود في قرية الشيخ راشد، مع أن بعض الشيوخ يتذكرون أن شخصاً ذو لهجة[*]غريبة،وفد إلى القرية،منذ عدة أعوام وأبدى رغبة في فتح صيدلية حديثة،تقوم بتركيب الأدوية، على أساس علمي. ولكن أحداً هناك لم يسمع لمقالته بل أنهم رفضوا حتى أن يؤجروه دكاناً لإنشاء مختبره ،وحجتهم في ذلك أن عذرية قريتهم الأزلية لا يريدون تدنيسها بمخترعات الفرنجة)[٣](تلك هي الصورة التي أراد بها الناصر أن يعلل لنا لماذا أصيب الشيخ راشد بالكساح، وقاريء القصة القصيرة لا يطلب تفسيراً للظواهر ،بقدر ما يطلب تعميقاً لهذه الظواهر، فقاريء القصة القصيرة لايقرأ مسحاً اجتماعياً أو دراسة اجتماعية ، بقدر ما يريد عمقاً لكل هذه الظواهر التي تعتري خط سير القصة ، فالتفسير ،أيٌ تفسير ليس من مهمة كاتب القصة القصيرة ، بقدر ما هو مهمة الروائي والمؤرخ ،التاريخي على وجه الأصح . ونقول الروائي هنا لأن الرواية تملك من الرقعة الموقفية والفنية ما يتيح لها تفسير الظواهر التي تحدث ،وأن تتعرض لها الرواية التي غالباً ما توصف بالرواية التاريخية، أو الرواية التعليمية. وتظل عروس القرية بالرغم من كل ذلك الأمل الكبير في مجموعة "أرض بلا مطر " والأمل الكبير في أن يتقدم الناصر من خلال هذه القصة خطوات ذات إيجابية فنية أكثر عمقاً وأكثر رسوخاً)[٤]

وعند خليل إبراهيم الفزيع في مجموعة "سوق الخميس" تتقدم القصة القصيرة خطـــوات أخرى في سبيل النضج والاقتراب من الهيكل المناسب

---

(١) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق . ص ٨٩

(٢) مجموعة "ارض بلا مطر" . ص ٢٥

(*) هكذا وردت . والصواب ذا لهجة .

(٣) المصدر السابق . ص ٢٠

(٤) شاكر النابلسي . المسافة بين السيف والعنق . ص ٨٨

لبناء القصة القصيرة دون أن تختلط بحدود الرواية أو القصة المتوسطة. فقد بدأت القصة لدى الفزيع في التخلص من الشكل التقليدي لبناء الحدث الذي لابد فيه من بداية ووسط ونهاية، فبنظرة إلى أقاصيص الفزيع نجد أنه (إنما يأخذ الحدث في عدد منها طبيعة المحرض للتداعيات الذهنية والنفسية التي تشكل مادة أساسية لتحليل الشخصية،وهي تداعيات غير مباشرة ومروية عن طريق السرد التقليدي، وهي إما جريمة قتل أو محاولة اغتصاب أو إنقاذ غريق أو اكتشاف حقيقة غائبة وما إلى ذلك)[١] كما أن الحدث تميز بالتركيز الذي تحتاجه القصة القصيرة، فقد خلت القصة من الأحداث الكثيرة والمتفرعة واقتصرت على حدث واحد راعى فيه الكاتب محدودية الزمن وتركيزه وإن ظهر أحياناً(حرص الكاتب على نقل صورة أمينة للمشهد الواقعي بما يدور فيه من أحداث هامشية.)[٢]كذلك الوصف الذي قدمه لسوق الخميس، (وفي نهايته يقع سوق الحطب،بالقرب من بوابة الجرن،ومن المساحة الممتدة من بوابة الخميس في الشمال،إلى بداية شارع السويق تتفرع شوارع صغيرة وأزقة متعرجة ...الخ)[٣]

ومما يؤخذ على قصص الفزيع أن النهايات في أكثر هذه القصص لاتأتي بجديد يثير القاريء أو يفاجئه بما لم يتوقع سلفاً،حيث لم يبد الكاتب اهتماماً كبيراً بما يعرف في القصة القصيرة بلحظة التنوير،وهي لحظة الإثارة والمفاجأة،التي تصل فيها فكرة القاص ألى النهاية،التي لابد وأن تتناسب مع ايقاع القصة العام وتنسجم معه . وقصص الفزيع تتميز بإيقاعها السريع نظراً لحدة الصراع وقدرة الكاتب على تكثيف المعاناة فيها، وكان حرياً والأمر كذلك أن يبدي الكاتب اهتماماً أكبر بنهاية قصصه على اعتبار أن نهاية القصة القصيرة تعتبر منطقة الثقل في القصة التي يركز فيها الكاتب كل قدراته ليقول الكلمة الأخيرة في القصة، إلاّ أن نهايات قصص الفزيع أتت باهته،ولا تنسجم مع حدة الصراع في تلك القصص ومن أمثلة ذلك نهاية قصة "نهاية المطاف"التي تنتهي (باحباط محاولة الاغتصاب التي كان يفكر فيها البطل فيولي هارباً وتبدو النهاية أقرب إلى

---

(١) محمد صالح الشنطي . القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. ص ٥٥

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(٣) مجموعة "سوق الخميس" . ص ٧٧

الخبر العادي،الذي لا يثير في نفس المتلقي مشاعر معينة،لأن الأمر يبدو خالياً من العنصر المدهش المثير)[١]وإذا حاول الفزيع أن تكون نهايات قصصه على قدر من الطرافة والإثارة فإنه يقع في النهايات المفتعلة التي تقوم المصادفة فيها بدور رئيسي كما في قصة "في المقهى" (حيث يلتقي البطل بعمه عن طريق الصدفة فتهبط اليه ثروة طائلة)[٢]كذلك (فإن المفاجأة المأساوية تبرز كبديل عن لحظة التنوير في قصة "لن يكون لقاء" وفي قصة "سوق الخميس" ففي الأولى يكتشف البطل أن فتاته قد تزوجت في اللحظة التي يتخذ فيها قرار الخطوبة، وفي الثانية يكتشف الفتى أن نقوده قد ضاعت في الوقت الذي يزمع فيه على مغادرة المدينة إلى القرية بعد أن استبد به القلق)[٣] والنهاية المأساوية نفسها في قصة "الصفعة" حيث يفاجأ كل من في القطار بصفعة مدوية على وجه الزوجة في حين كانت تحاول إفهام زووجها بمدى حرصها على ألاَّ تغرق سفينة حياتهما.

وعند عزيز ضياء لاتزال القصة التقليدية بأحداثها الكثيرة وبنائها الروائي الممتد زماناً ومكاناً، كما أن من الملاحظات البارزة في قصة عزيز ضياء حرصه الشديد على النهايات السعيدة لأقاصيصه ولو اضطر في سبيل ذلك إلى التماس (المصادفات الغريبة التي تبدو بعيدة الاحتمال)[٤] والتي تضطره في كثير من الأحيان إلى افتعال الأحداث واختلاقها وإن لم تكن منسجمة مع واقع القصة ، لتخرج القصة بعد ذلك وهي أقرب ما تكون إلى الحكاية المروية التي لا أثر فيها للصراع،أو المعاناة الحقيقية،التي تعطي القصة صفة المنطقية المطلوبة لإقناع القاريء بواقعية القصة(ولا أعتقد أن الكاتب – وهو الخبير بتقنيات القصة العمودية وأصولها – يجهل أن مثل هذه المصادفات الكثيرة تضعف من قناعة القاريء بواقعية الحادثة أو احتمال وقوعها. ولكنه – فيما اظن – كان مشغولاً – كما شغل جيله الرائد –

---

(١) محمد صالح الشنطي . القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. ص ٥٥

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق . الصفحة نفسها.

(٤) منصور الحازمي .مجلة اليمامة . ع ٩٣٥. ص ٧٨

بالدرس الاخلاقي ،فلم يرض - مهما كلفه الأمر - أن يضيع الخير وتتلاشى الفضيلة من أجل الفن)[١]

ويبدو أن الكاتب كان يتوقع مثل هذا الرأي فجاء في مقدمة مجموعته "ماما زبيدة" بما يبرر اتجاهه ، إذ يقول (إني لم أحاول في هذه القصص ركوب موجة التحديث والحداثة، ولذلك فهي خالية - إلى حد الفقر المدقع المحزن - من لمسات أو شطحات التهويم أو الضياع ،والرمز وفنون الإيقاع .. وحسبي أن يجد فيها القاريء (الحدوته أو الحكاية) التي يفرغ من قراءتها في دقائق ،قبل أن يسلم أجفانه لتعسيلة الظهيرة أو للنوم بعد سهرة حافلة)[٢] أضف إلى ذلك أنه كان يعتذر لخروجه على المواصفات الفنية للقصة القصيرة وعدم التزامه بها رغم علمه وإلمامه بها يقول : (أود أن أعترف بأني كتبتها دون أن أعنى بالتقنية ،والأصول والقواعد التي لا أخفي أني قرأت عنها الكثير، وبين ما قرأته بعض المراجع الاكاديمية ،بل بعض الكتب التي يدرسها طلاب أكثر من كليتين من كليات الآداب في الجامعات الامريكية، وليس ذلك عجزاً عن التزام هذه التقنية والأصول، وبالطبع ليس استكباراً عليها أو استهتاراً بها،وإنما لسبب بسيط وهو أن كتابة القصة القصيرة ، عمل أو عطاء فني يصعب في رأيي أن يخضع للتقنية الأكاديمية، أو للقواعد والأصول التي تمخضت عنها دراسات النقاد من جهة ،وتتبع واستيعاب العلماء المتخصصين من جهة أخرى .ولعلي لا أسرف على نفسي أو على القاريء إذا ذهبت إلى أن أي عمل فني، إذا كان لا يستغني عن القواعد والأصول والتقنيات المتوفرة لدى المعاهد المتخصصة أو في كليات الآداب والفنون، فإنه لا يستغني في نفس الوقت عن إبداع الموهبة والمدخور من الاستعداد الفطري، والقدرة الى استثمار التجارب مع الانطلاق المتوثب وراء الآفاق التي يصل إليها الخيال المجنح في سبحه الجريء ومعاناته الصادقة وراء مراحل الابداع)[٣]

ولا أظن عزيز ضياء يجهل أن تقنيات كتابة القصة وأصولها الفنية لا تتعارض أبداً مع الموهبة والانطلاق المتوثب وراء الخيال، واستثمار التجارب

---

(١) منصور الحازمي .مجلة اليمامة . ع ٩٣٥. ص ٧٨

(٢) ص ١٢

(٣) المصدر السابق . ص ١٠

بل إن في هذه التقنيات توجيهاً للموهبة ، وأخذ بيدها كي لا تضل طريقها، ثم أن هذه الأصول ليست بعيدة عن العمل الأدبي أو دخيلة عليه بقدر ما هي نابعة منه وعائدة إليه . والكاتب وإن لم يطالب بالالتزام الحرفي بهذه الأصول والقواعد ، فهو مطالب على الأقل بالالتزام بالخطوط العريضة لها التي تضمن لكل جنس أدبي هيكله العام، تلافياً للفوضى واختلاط المفاهيم، فالقصة القصيرة غير المتوسطة غير الرواية.

وإذا تجاوزنا هذه المرحلة إلى المرحلة التي امتزجت فيها الواقعية بالرومانسية، فإننا واجدون أن القصة لاتزال مشدودة إلى البناء التقليدي ، ولكنها ما لبثت أن خطت خطوات ناجحة إلى آفاق التجديد والتطور .

ولما كان حسن عبدالله القرشي ،من أوائل الكتاب الذين برز لديهم الاتجاه الواقعي الرومانسي في كتابة القصة القصيرة من خلال مجموعته "أنات الساقية" فإنه لابد من الوقوف على هذه القصة ودراستها ،وقد كان يمكن لقصة "أنات الساقية"[١] في بعدها الزمني أن تكون قصة متوسطة أو طويلة، نظراً لطول الحدث فيها على مدى سنوات من عمر البطل، وعلى الرغم من أن الكاتب قد اهتم برسم البيئة من حول البطل، إلاّ أن هذه البيئة لم تتجاوز أن تكون مناظر رومانسية استصحبها الكاتب بسبب من نزعته الرومانسية لا حرصاً على تصوير البيئة (وعلى الرغم من الميل الواقعي في الأقصوصة لتصوير البيئة ، فإن غلبة التيار الرومانسي حالت دون تقديم تفاصيل أخرى عن هذه البيئة)[٢] كما أن الولع بتصوير الطبيعة قد حال (دون استبطان شخصية الفتى المحب ،وكان من الممكن تعميق حدث المفاجأة ووقعها على نفسه،وما يولده ذلك من صراع،حين أخبره عمه بالخبر الفاجع باستحالة اقترانه بمحبوبته ، لكن المؤلف مر مروراً سريعاً واكتفى بأن يتخذ من الساقية مناخاً نفسياً إذ يستمع الفتى المحب إلى انينها ويحاكيه.)[٣]

---

(١) انظر القصة ص ٤٦ من هذا البحث

(٢) يوسف نوفل . أدباء من السعودية ص ٦٦

(٣) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

ولعل قصة "غروب أمل" من المجموعة نفسها،أكثر نضجاً،فيما يتعلق بالمعمار الفني لها، فالقصة تبدأ بوقوف صالحة أمام المرآة،لتفاجأ بظلال العنوسة تغزو ملامحها، فما يكون منها إلاّ الانخراط في سلسلة من الذكريات التي عادت بها إلى الماضي وعرجت بها على الكثير من المواقف،والأحداث ،وهذا ملمح من الملامح التي تحسب للكاتب حيث جنب نفسه بهذا من الوقوع في مأزق الحدث المركب ،وما يتطلبه من أبعاد زمانية ومكانية متسعة،فالقاريء وإن مر بالكثير من الأحداث،إلاّ أن ذلك كان من خلال لحظة التذكر التي عادت بصالحة إلى ماضيها في غياب لم يفقد القصة القصيرة آنيتها وحضورها.

كذلك الحال بالنسبة للشخصيات إذ اعتمد الكاتب على عدد محدود من الشخصيات،وقد كانت شخصية "صالحة"هي الشخصية الأساس ، حيث شكلت المحور الذي دارت حوله الأحداث وانعكست عليه أفعال القصة، وهي شخصية مألوفة للقاريء لها في واقعه المعاش أمثلة كثيرة وقد جسد الكاتب معاناة هذه الشخصية من خلال دموعها،وحوارها الداخلي مع نفسها - وإن لم يتجاوز هذا الحوار مجرد طرح الأسئلة - ووقوفها أمام المرآة، ومراسلتها لابن عمها.

وعند البحث لهذه القصة عن بيئة ، يجد القاريء أن الكاتب لم يعر البيئة كبير اهتمام ،وكأنما النزعة الرومانسية التي ركزت على تصوير معاناة البطلة،وحرمانها قد شغلت الكاتب - فيما يبدو - عن تقديم أي اشارة تنم عن بيئة الحدث.. إلاّ أن زواج عدنان من فتاة أجنبية،تعرف عليها أثناء دراسته في مصر، وإشادته بما كان عليه أهلها من وعي وتفهم للرابطة المقدسة التي تجمع الرجل والمرأة برباط الزواج ،وإن تطلب هذا الزواج أن تترك الفتاة أهلها وبلدها لترحل مع زوجها أينما رحل، إن هذا الحدث يوحي بأن الكاتب أراد أن يلمز الواقع الاجتماعي الذي يفتقر - أحياناً - إلى مثل هذا الوعي أوانذاك ؛ لذا اعتمد الكاتب على هذا الحدث -أي زواج عدنان بأجنبية - ليشكل منه إيقاعاً أخيراً للقصة اجتمعت فيه كل خيوطها لتقرع ذهن القاريء وضميره بهذه النهاية التي تفاجيء القاريء بموت الأمل وغروبه فيما يسمي بلحظة التنوير .

وقد أفادت القصة عند سليمان الحماد من التقنيات الحديثة لكتابة القصة القصيرة وإن لم تستطع الفكاك تماماً من أسر الغاية التهذيبية والأسلوب الذي قد لايخلو من بعض الخطابية والتقريرية.

فقد تحولت القصة عند الحماد من كونها تعرض حدثاً أو واقعة كما في القصة التقليدية ،لتصبح موقفاً أو حالة شعورية يعيشها البطل أو يحسها ،ولعل هذا الملمح من الملامح المبكرة التي طرأت على القصة الحديثة،حيث لم يعد هناك حدث خارجي محدد،نستطيع تلخيصه إذا أردنا حكاية القصة أو تلخيصها، بل هناك موقف فكري ونفسي يعيشه أبطال القصة وينقل القاريء إلى العالم الداخلي لهؤلاء الأبطال، مستعيناً على ذلك بالعبارة الموحية ذات الظلال الكثيفة التي قد تقول للقاريء أكثر مما تقوله الحادثة . ولعل هذا الملمح يظهر بجلاء في قصته " الآلة تسـرقني ذهني " [١]من مجموعة "حدث في الزمن الاخير" حيث نجد "الآلة تسرقني ذهني" وهي تصور موقف الإنسان المعاصر من الآلة ومشاعر الخوف والقلق التي زرعتها في نفسه، وتؤكد القصة هذا المعنى بما تثيره في نفس البطل من تداعيات، وحوار داخلي ،يعمق موقفه،ويكشف الإحساس بمعاناته،فالحوار الداخلي وسيلة من وسائل استبطان الشخصية،ومعرفة ما يعتمل بداخلها وقد اعتمدت عليه القصة في بنيتها ،حيث لم يعد للعالم الخارجي من وجود إلاّ مجرد الإشارة .

إن قصة سليمان الحماد كانت سباقة إلى ما عرف حديثاً بتيار الوعي أو "فن تداعي الصور" وهذا السبق كان يمكن أن ينهض بالقصة لدى الكاتب إل مراحل أكثر تقدماً، لولا تورط القصة لديه في الخطابية، والتقريرية، والمباشرة، وإن حاولت أن تتخلص منها. وفن تداعي الصور هو طريقة يمتزج فيها الماضي بالحاضر في لحظة شعورية واحدة تكشف للقاريء ما وراء وعي الكاتب من صور ومشاهد مختلطة قد لايبدو الرابط بينها واضحاً مما يثير القاريء ويقدم له الكثير من الإيحاءات بشكل غير مباشر، حيث (لم يعد كاتب القصة عابئاً بتقديم كل التفسيرات والمبررات والتوضيحات في سياق أحداثه كما هو الحال في القصص التقليدي)[٢](صوت الذاكرة يرتفع على صوت آلة الحلاقة، يتذكر حكاية حلاق ظريف ،يقهقه في صمت ،لقد أفسد علي شكل لحيتي، ولكن لابأس ، فتلك كانت آخر مرة أزور فيها حلاقاً يحلق ذقني. الحلاق أكثر الناس ثرثرة وترديداً ،الخبر أو الحكاية

---

(١) انظر القصة ص ٥٨ من هذا البحث

(٢) يوسف حسن نوفل. أدباء من السعودية . ص ٧٠

ربما رواهما عشرين مرة في اليوم الواحد! الرواية بعدد الزبائن . حلاق إشبيلية، كان كتاباً رائعاً)[١](السيارة تعاود السير - مرة أخرى - يدير مؤشر الراديو، يثبت المؤشر على أغنية صباحية، ويرهف السمع . الأغنية تتحدث عن الورد ،دم القطعة بلون الوردة: ليتني لم أتسبب في موت هذه المسكينة ،ولكن ليس ذنبي ،السيارة هي السبب، أجل السيارة)[٢].

كما أن "فن الاسترجاع" وسيلة أخرى من الوسائل التي أفاد الحماد منها ، لتحافظ القصة لديه على بنائها الزمني،كما في قصة "امرأة تعبر تفكيري"[٣] من المجموعة التي تحمل الاسم نفسه التي استعرضت عدة سنوات من حياة البطلة خلال رسالة استرجعت فيها هذه السنوات بكل معاناتها وما فيها من تفاصيل دون أن تفقد القصة آنيتها المطلوبة .

وقد حاول غالب حمزة أبو الفرج،أن يفيد من بعض العناصر التي يقوم عليها نجاح القصة القصيرة،كمراعاة الابعاد الزمانية والمكانية، وما تستتبعه من محدودية الحدث والشخصيات مما يكثف الفكرة المطروحة ويعمق الإحساس بها.

فقصة "موعد مع الحياة"[٤] من مجموعة "ليس الحب يكفي" عبارة عن لحظة تذكر يعيشها بطل القصة وهو في طريق العودة إلى وطنه،بعد غياب خمس وعشرين سنه، استرجع فيها صورة قريته،وهو يساءل نفسه: ترى هل سيجدها ويجد أناسها كما تركهم؟ أم أن يد الحضارة والتطور قد فعلت بهم فعلها؟ وكان يمكن لهذه اللحظات أن تصبح ملمحاً فنياً،لو أن الكاتب اعتمد فيها على "الحوار الداخلي"، ليصور من خلاله حنين البطل إلى قريته،وما يدور بخلده من تساؤلات قلقة،ولكن الكاتب استعاض عن هذا الحوار بما قدمه من وصف خارجي لهذه اللحظات،على سبيل الحكاية التي أفقدت القصة حيويتها وأثرها العميق في نفس القارىء .

---

(١) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" . ص ٥٠

(٢) المصدر السابق . ص ٥١

(٣) انظر القصة ص ٥٤ من هذا البحث

(٤) انظر القصة ص ٦٢ من هذا البحث

كما أن من المآخذ التي تؤخذ على هذه القصة أن البطل حين وصل قريته لم يحدد موقفه مما وجد،ولم يكشف للقاريء الحال التي وجد عليها قريته، فتارة هو مع التغيير الذي حدث فزاد قريته جمالاً على جمالها فقد عاد إلى أبها فوجد أن (مظاهر الفرحة والاستبشار بالجديد،تكاد تقفز من على صفحات هذه الوجوه السمر المعروقة التي كدها الدهر،ثم جاء عليها الزمن فاعطاها من أطايب الحياة،ما هي في حاجة اليه)(١)

وتارة اخرى نجده يعترف بأنه (قد يكذب عندما يقول بأن الحياة في بلده لاتزال على ما كانت عليه فقد شاب أجواءها أشياء جديدة، وبدت مع التطور فازداد تكالب بعض الناس على المادة، وانفرط عقد الأسرة نتيجة إحساسات بعضهم المرهفة تجاه هذه المادة، وإلاَّ ماذا يقول عن تلك الاسرة التي عاشت سنواتها الطويلة في وفاق، حتى اذا مر الطريق الاسفلتي بالأرض الكبيرة التي يملكونها أصاب بعضهم السعار نتيجة ارتفاع قيمة سعر الأرض من جهة، ومطالب الحياة الجديدة من جهة أخرى، ووصلت حكاياهم إلى المحاكم)(٢) .

ولو اكتفى الكاتب باظهار الجانب السلبي للحضارة لما وقعت القصة فيما وقعت فيه من التناقض،والتداخل،خاصة وأن لحظة التنوير في القصة إنما تقف في صف القديم،الذي لم يستطع التوافق مع الجديد، حين يمر عبدالرحمن بطل القصة بصبي يحمل ناياً يصدر عنه لحناً يذكره بلحن راعي الغنم الذي طالما سمعه قبل خمس وعشرين سنة حين كان طفلاً من أطفال هذه المدينة.. وأخيراً عرف عبدالرحمن في ذلك الطفل ابن صديق قديم له. سأل الطفل عن أبيه فقال: (أنه هناك يعيش على تلك الربوة في البيت القديم بعد أن ترك داره لأبنائه، فهو يحب هذا البيت ومن كل قلبه) (٣) (ومضى عبدالرحمن والصبي إلى البيت القديم في هدوء ،وكأنهما يذهبان إلى موعد مع الحياة جديد)(٤).

ولعل من الأسباب التي أوقعت القصة في ماهي عليه من تداخل

---

(١) مجموعة "ليس الحب يكفي" . ص ٢٦٥

(٢) المصدر السابق . ص ٢٦٨

(٣) المصدر السابق . ص ٢٧٤

(٤) المصدر السابق . ص ٢٧٥

المواقف،وعدم وضوحها،هو أن الرومانسية لديه،قد وقفت إلى جانب الواقعية ولكنها لم تمتزج بها ليشكلا معاً نسيجاً واحداً، لذا كان الكاتب يثير الواقع بما فيه من مشكلات،وقضايا،ولكنه حين يأتي لمعالجة هذه القضايا إنما يلمسها خفيفاً حرصاً على رومانسيته المثالية،التي لاتريد أن ترى من الأشياء سوى ما هو جميل، وقد غاب عن الكاتب انه (قد تعرض بعض القصص صورة صادقة من الحياة، على الرغم من أنها تصور حياة بشعة قاسية،تشمئز منها النفوس،وهي تخلف في نفس القاريء شيئاً من ذلك كله نظراً لما تتسم به من الأمانة في العرض والدقة في التصوير ،ومثل هذا الصدق نفتقده في تلك القصص التي يحاول كتابها أن يتملقوا أذواق القراء، وأن يحققوا رغباتهم ومطالبهم ،وذلك بأن يقدموا لهم قصصاً ناعمة،هانئة،تشيع البهجة في جوانبها ، لكي يجدوا في قراءتها مخدراً،ينسيهم همومهم ومتاعبهم في الحياة) [١].

كما أن ولع الكاتب بالأسلوب الخطابي ، قد تسبب أيضاً في هذه الفوضى التي أصابت القصة وحولت أجزاء كبيرة منها إلى ما يشبه الشعارات الجافة،التي اقتربت بالقصة لديه من المقالة الاجتماعية،التي تخاطب العقول بالمواعظ الإصلاحية،كقوله : هو (يؤمن بأن يد التطور استطاعت أن تغرس في العقول الذكية معالم حياة جديدة يراها وكأنها تكاد تحتوي القديم، بجميع مظاهره وإن لم تستطع أن تقضي على بعض تقاليده الطيبة) [٢].

(هو يأمل أن تأخذ مدينته بكل أسباب المدنية،والحضارة،دون أن تدفع ضريبة هذه المدنية،أو هذا التطور وإن دفعتها فليس على حساب تلك التقاليد التي عرفها صغيراً واستأنس بذكرها كبيراً) [٢]ومن الملامح البارزة في قصة أبي الفرج اهتمامه الشديد برسم البيئة بجانبيها الزماني والمكاني بدافع من رومانسيته تارة ولتأثره بالقصة التقليدية تارة أخرى .

وإذا كان رواد القصة القصيرة في أدبنا السعودي ومن جاء بعدهم من واقعيين رومانسيين لم يستطيعوا - وإن حاول بعضهم - تحقيــــق معادلة

---

(١) محمد يوسف نجم . فن القصة . ص ٥٦

(٢) مجموعة "ليس الحب يكفي" . ص ٢٦٥

(٣) المصدر السابق . ص ٢٦٨

القصة القصيرة،التي يحمل طرفاها الفكرة والإبداع، دون أن يطغى الجانب الأول على الآخر، فإن كتاباً أمثال محمد علوان ومن جاء بعده من الكتاب الشباب (قد رضوا لأنفسهم ارتياد جيل المغامرة ،مغامرة الحداثة في الشكل وفي المحتوى وفي النتيجة، ومن حيث الدقة في انتقاء الشريحة الحياتية المتناولة ،ومن حيث فهم الدور الذي يجب أن يلعبه الفن القصصي على الصعيد الحياتي. ويبدو أن التوصل إلى تلك الدقة في اختيار الموضوع،وإلى فهم دور القصة، هو ما كانت تحتاجه القصة القصيرة منذ بواكيرها)(١) ففي حين كان الحدث يشكل الثقل الذي اعتمدت عليه القصة القصيرة التقليدية (فقد اختلفت القصة القصيرة على أيدي هؤلاء الشباب،اختلافاً كبيراً،عما كانت عليه عند اسلافهم من الواقعيين . لم تعد تعنى بالبيئة المادية أو الواقع الحسي ،بل باللحظات الشعورية والمواقف النفسية المتوترة، ولم تعد تهتم بالمشاكل الاجتماعية،اهتماماً مباشراً،بل بما تعكسه هذه المشاكل من أحاسيس ذاتية غامضة، لا تبحث عن حل معين، وإن كانت تومىء إليه أحياناً، والحقيقة أنه من الصعب أن نبحث عن موضوع معين في القصة الجديدة – على الطريقة التقليدية – ذلك لأن الموضوع الحقيقي هو القاص نفسه... الذي يرى العالم الخارجي من خلال تأملاته ،وأحلامه،وأفكاره،التي لا تنتظم منطقياً،في اتجاه محدد ،وإن كانت تتجمع آخر الأمر حول بؤرة شعورية واحدة)(٢) فالحدث لم يعد مقصوداً لذاته، وإن وجد فهو انما يتخذ شكل الرمز والإيحاء ،فهو رمز لموقف الانسان المعاصر من هذا الانقلاب الحضاري الخطير الذي طرأ على حياته وإيحاء بحالة الخوف والقلق التي خلفها هذا الانقلاب في نفسه، ومن هنا جاءت أقاصيص الشباب وهي تحمل هماً واحداً وإن اختلفت الرؤية والطريقة في التعبير من كاتب لآخر .

فتجد في "الخبز والصمت" لمحمد علوان أن (حدة الأفكار ..وجوع النفس وظمأ الروح والقصور البشري والعجز.. هو ما يشكل نسج هذه المجموعة . قصص قصيرة منفصلة ولكنها تدور حول محور فكري واحد ..

---

(١) نبيه شعار . مجلة قافلة الزيت . العدد الأول . المجلد الثامن والعشرون . محرم ١٤٠٠هـ.ص٣٤

(٢) منصور الحازمي . فن القصة في الأدب السعودي الحديث. ص ١٢٨

واع ناضج متفجر بالحياة)[١](وعبر هذا الفهم، وبهذا المنظور فالمجموعة رؤية كلية ، تجربة واحدة هي ،تمتد سبعين صفحة من الشوق ،الشوق إلى حلم بوضع أجمل مازال متهادياً على نهر معذب ومتعذب في آن)[٢]

كما أن حسين علي حسين قد صور من خلال مجموعاته الثلاث "الرحيل"، "ترنيمة الرجل المطارد"، "طابور المياه الحديدية"،رحلة الإنسان المعاصر اللامنتهية،في البحث لنفسه عن هوية،وانتماء،لشعوره الدائم بالانفصال عن واقعه،وعدم القدرة على الالتحام بهذا الواقع .

ومجموعة "أحزان عشبة بريه"، لجارالله الحميد تحكي غربة الإنسان المعاصر،الذي أصبح بكل ما يسكنه من أحلام وتطلعات كالعشبة البرية،التي لانهاية لأُحزانها وغربتها كما أنه لاسبيل للوصول إليها.

والمشري يهدي مجموعته "موت على الماء" (للغرباء الذين تنتحر خطواتهم على سواحل الصمت)[٣] والحال نفسه نجده لدى الجفري والسالمي وخيرية السقاف والنعمي ومن جاء بعدهم .

وقد كان لدى هؤلاء الكتاب الكثير من الأساليب والأدوات الفنية،التي مكنتهم من تجاوز العقبات،التي كانت تعترض القصة التقليدية،وتقف دون تحررها من ربقة الحدث الروائي،وحضور البيئة،مع غياب الشخصية ،كل هذا في ظل العرض المباشر للفكرة المطروحة .

ولعل طريقة "تيار الوعي"التي اعتمدت عليها القصة الحديثة،في رسم الشخصية،هي الطريقة الأمثل والأنسب لحمل عبء القصة الحديثة التي تحررت من كل القيود (لتنساب في وعي الشخصية،بطريقة حرة لا تخضع لتنسيقات ذهنية،أو لأفكار مسبقة، ويتداخل في هذا الوعي، الزمن والتاريخ والواقع الخارجي، ويخرج كل ذلك بعد أن يفقد جزءاً كبيراً من الدلالات المتعارفة مبدلاً بها دلالات ذاتية)[٤] .

وطبيعي أن يكون الرمز هو المحور الأساسي الذي اعتمدت عليه القصة الحديثة لتصبح - على الرغم من تشابه مضامينها - عالماً فسيحاً يزخر

---

(١) رشيدة مهران . المجلة العربية . ع ٦٠/١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م . ص ٢٦

(٢) نبيه شعار.مجلة قافلة الزيت.العدد الأول.المجلد الثامن والعشرون.محرم ١٤٠٠هـ ص ٣٤

(٣) ص ٣

(٤) السعيد الورقي. اتجاهات القصة القصيرة في مصر . مصر١٩٨٤م ص ٣٠٢

بالكثير من الرؤى والإيحاءات،التي من شأنها إثارة وجدان القاريء،واختراق ذهنه بالكثير من الدلالات،التي قد تعجز القصة المباشرة عن تقديمها ،كما أن من شأنها ايضاً إعطاء "تيار الوعي" أبعاداً دلالية وفكرية عميقه كي لا يكون مجرد هلوسة أو هذيان، وإن اعتمدت طريقة تيار الوعي على إشاعة الفوضى ،وانعدام النظام، فإن في ذلك إيحاءً بتلك الانفعالات والإحساسات والصور الذهنية ،والتراكمات النفسية، المتداخلة ،والمتضاربة ،في نفس الإنسان المعاصر .

والحقيقة أن القصصيين السعوديين لم يعتمدوا على الرمز بمعناه القريب وحده ،كذلك الرمز الذي في أقاصيص بائع العرقسوس / والمطلوب رأس الشاعر/ والجدران الترابية/ والرحيل / وكرسي الخيزران/ والفارس دخل المدينة قديماً/ ووجوه كثيرة أولها مريم ، بل إن هؤلاء الكتاب الذين أشرت الى بعضهم قبلاً ، قد استرفدوا محاور أخرى ، زادت من عمق هذا الرمز وكثافة الدلالة التي يرمي إليها، ومن هذه المحاور استحضار الأسطورة التي يرى بعض الباحثين بأنها (كانت افرازاً طبيعياً لما أحس به الإنسان البدائي من قلق وضياع نتيجة لخوائه المعرفي، واهتزازاته الانفعالية، وقد استحضر الفنان المعاصر هذه الاسطورة استجابة لنفس الدافع، فإذا كان البدائي يحس بالتوتر بسبب وضعيته التاريخية الهامشية فإن الإنسان المعاصر سيحس بالقلق ذاته نتيجة لضعفه أمام طغيان الآلية والقيم الاستهلاكية.)[١](وعبر الأسطورة تأكد المفهوم الحقيقي للفن، على أنه ليس مجرد محاكاة عارضة للواقع الإنساني بل إدراك واعٍ لجوهره الحقيقي، لذا فإن اللجوء إلى الأسطورة في الآداب الحديثة عودة طبيعية إلى المنبع)[٢]علماً بأن موقف قاصينا من الأسطورة لم يكن موقفاً فكرياً، بل هو مجرد توظيف فني لا غرض له سوى استحضار جو الغموض والفجيعة والشعور بالعجز الذي تتركه قراءة الأساطير عادة في نفوسنا، كما أن فيه ايحاء بالكثير من الاشكالات الحياتية التي لاسبيل للتعبير عنها إلاّ عن طريق الرمز .

---

(١) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية .ص١٤٠

(٢) المرجع السابق . ص ١٣٩

ومحمد علوان واحد من الكتاب الذين عرفوا بالالتفات المبكر لهذا التوظيف الفني، فهو (لا يعمد إلى تقديم قصة إسطورية واضحة المعالم، وإنما يلجأ إلى بث الأجواء الأسطورية وبذر عناصرها، فكثيراً ما تختلط الأحداث الواقعية ،بالوقائع الأسطورية.)[١] ومن أمثلة هذا الاتجاه نحو الأسطورة لديه قصة "الطيور الزرقاء" [٢]التي جاء الموت فيها رمزاً للقهر والسطوة التي تعري الإنسان ،وتضعه وجهاً لوجه أمام ضعفه وعجزه، وقد جاء الموت مجسداً،على هيئة طيور زرقاء تشيع الأجواء الاسطورية في القصة، وتعود بالذاكرة إلى ما يقرأ في الأساطير عادة عن المخلوقات والكائنات ،والطيور الغريبة، الخارقة للعادة،في قوتها وفتكها ،وقد كان لاستصحاب هذا الرمز الاسطوري أثره العميق في القصة ،من تجسيد للمعنويات إلى جانب إثارة جو الفجيعة والغموض في القصة . إضافة إلى التأكيد على ضعف الإنسان وعجزه عن المقاومة أمام هذه القوى الغيبية الخارقة . (ومن كهوف الليل تجيء من وكرها الطيور، لتحمل الوحيدة الحزينة ،وترفعها مغمضة العينين، تغيب . وفي يده عصا غليظة وقلب، ويستفيق فجأة . الجواد يعاود الركض لكن أين الفارس الحبيب؟)[٣]

ومن أمثلة الرمز الاسطوري أيضاً ما جاء في قصة "أحزان عشبة برية"[٤]لجارالله الحميد، حيث اتخذ الكاتب من العشبة البرية رمزاً للمحبوبة ،والحرية والأحلام والتطلعات التي لا سبيل إلى تحقيقها ،وقد تمثلت الاسطورة هنا في العشبة الغريبة التي تأتي في الأساطير عادة رمزاً للخلاص أو الشفاء أو مفتاحاً للغز أو السر ،ولا سبيل للوصول إلى هذه العشبة إلا بمجابهة الأهوال والمكاره التي لا يقوى على مجابهتها عادة سوى إنسان خارق للعادة، لذا كانت عشبة جارالله الحميد حلماً يراه في المنام ولا يرى له مثيلاً في الواقع،أو بالأصح لا يستطيع أن يصل إليه لأنه لا قبل له بتلك المهالك التي حذره منها الجميع، وهو لايزال يسأل كل من يراه : (ماذا تقول في رجل حلم بأنه يمسك بعشبة غريبة.. بيضاء وحمراء ووردية وزرقاء .. ويطير.. وكل مرة يحط في مدينة يرى نفس المرأة التي هي حبيبته ولكن كل مرة يناديها باسم آخر.. مع العلم أنه هبط في مائة مدينة وربما أكثر ..)[٥]

---

(١) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية .ص١٤٤

(٢) أنظر القصة ص ٧٤ من هذا البحث

(٣) مجموعة "الخبز والصمت" . ص ١٩

(٤) انظر القصة ص ٩١ من هذا البحث

(٥) مجموعة "احزان عشبة برية" . ص ١٣

وهناك محور آخر قام عليه الرمز عند كتاب القصة الحديثة، ويعتمد هذا المحور على إيقاظ الحس التاريخي في ذهن القاريء،من خلال العودة به إلى الماضي وإشاعة الجو التاريخي أو الشعبي في القصة ،ولعل العودة إلى التاريخ جاءت من قبيل التشبث بالماضي، والحنين إليه على اعتبار أنه ملجأ ومهرب من مأسوية الواقع وتعقده، واختلاط المفاهيم فيه، خاصة ذلك الماضي العربي المشرق بصور الحرية، والكرامة التي لاتقبل المساومة، والشجاعة التي افتقدها الإنسان المعاصر ولم يعد يملك منها سوى الرموز. ولعل هذا الرمز التاريخي قد ظهر بجلاء في قصة "عنترة بن رداد"[١] لعبدالعزيز المشري. من مجموعته "أسفار السروي" فمجرد اسم "عنترة" قد أصبح في الذاكرة العربية رمزاً للشجاعة والصمود والتحدي، وقد استحضر المشري عنترة من الماضي، ليدخل المدينة.. مدينة القرن العشرين، ممتطياً حصانه، ومتقلداً سيفه، (لقد كان عنترة يغني.. يرفع عقيرته.. فتلعلع في المباني التي ارتفعت من اليمين ،ومن الشمال .. تصطدم القوافي مثل لمعان البرق بواجهات الزجاج، وتسقط كما العصافير فوق الإسفلت وتحت قواعد العمارات الشامخة)[٢]. وقف عنترة في وجه المدينة، كما وقف في وجه إنسانها المنهزم (أنت من قبيلة لاتعرف الشجاعة، ومذ عرفتك.. لم أر في يدك إلاَّ هذه المسبحة)[٣]ويكفي عنترة هنا أنه وقف وتحدى ، وإن لم يستطع المقاومة ،لأن المعركة بينه وبين المدينة ليست متكافئة ،فقد تحول سيفه إلى صارم خشبي، أمام رصاص المدينة الذي صوب نحو صدره، ليقع صريعاً وهو (يفرك بدمه جسد الإسفلت اللامع تحت الضوء)[٤]إنها سطوة المدينة التي لم تعد تعترف لشيء بقيمته، وعنترة في الوجدان العربي قيمة يجب أن تُبعث ،بل يجب أن تعود، لذا لم يشأ المشري لعنترة أن يموت، وأن سالت دماؤه ،فصراخه مايزال يدوي : (– إني قادم ..قادم.. لا أهاب الموت)[٥].

---

(١) أنظر القصة ص ٩٨ من هذا البحث

(٢) مجموعة "أسفار السروي" . ص ١٣

(٣) المصدر السابق . ص ١٤

(٤) المصدر السابق . ص ٢١

(٥) المصدر السابق . الصفحة نفسها

الفصــــــــل الثالث

اللغـــــــــــة

تعد لغة القصة القصيرة – بطرفيها السرد والحوار – ملمحاً من أظهر الملامح الفنية التي يتبين من خلالها نزوع القصصيين السعوديين نحو الواقعية، كما أنها تعد مؤشراً حقيقياً، لمدى وعي هؤلاء الكتاب بطرق التعبير عن هذه الواقعية. وطبيعي أن تختلف طرق التعبير تبعاً لاختلاف المنظور الواقعي نفسه، واختلافه من مرحلة إلى أخرى : ومن هنا كانت لكل مرحلة لغتها كما أن لكل مرحلة واقعيتها.

فالسرد القصصي كان لدى الرواد مجرد وعاء لحمل الفكرة التي لاتعدو أن تكون مجرد حدوثة مروية،الغرض من صياغتها رصد الواقع وتسجيله بهدف الإصلاح ،ومن هنا كان وقوع لغة السرد في أسر الغاية من كتابة القصة سبباً في ظهور الكثير من الإشكالات الفنية التي من أبرزها ذاتية اللغة،أي تدخل الكاتب بأرائه وأحكامه التي يريد بها معالجة الموضوع ،مما أفقد القصة في أكثر الأحوال صفة الموضوعية والحيدة، فالكاتب في الغالب يمثل واحداً من شخصيات القصة التي يكتبها ،وقد يكون متحدثاً بلسان إحدى الشخصيات، وفي كلتا الحالتين يفرض القاص ذاته على جو القصة بحيث يملي أراءه وأفكاره وأحكامه. فالسباعي مثلاً في قصة "خالتي كدرجان" [1] قد تقمص شخصية ذلك الطفل الذي كثيراً ما تردد على بيت كدرجان، ليكون شاهد عيان على كل صغيرة وكبيرة فيه ،ينقل للقاريء كل حركاتها وسكناتها في وصف مفصل ودقيق،نشعر فيه بحضور الكاتب حضوراً كاملاً ،وكأنما هو يعرض مقالة صحفية، أو مجرد صورة قصصية لا أثر فيها للتخيل أو الإيحاء، إذ كيف نفسر مفاجأة السباعي للقاريء بمثل قوله (وكنت شخصياً صاحب دل عليها فلا يحلو لي أن أختبيء إذا احتدم اللعب إلاّ في بيتها)[2]فقد (أفسد السباعي بكلمة "شخصياً" جمال السرد الواقعي ،فهي بمثابة رأس الدبوس يغرسه في ذهن القاريء، ليوقظه من غفوة لذيذة ،ولكن الكاتب ،فيما يبدو ،يتعمد ذلك أو يفعله لاشعورياً ، لأن تلك الذكريات جزء من نفسه، فلا يريدها أن تضيع دون أن نشعر معه بأهميتها،ودون أن يؤكد نسبتها إليه)[3](فقد جعل

---

(١) انظر القصة ص ١٤ من هذا البحث

(٢) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ١٤

(٣) منصور الحازمي. فن القصة في الأدب السعودى. ص ١١٤

السباعي قصصه أشبه بالمذكرات الشخصية التي تتحدث عن وقائع حقيقية، شاهدها بنفسه أو رويت له ، فهو يعيد روايتها بطريقته الخاصة، ولا يرى غضاضة في تنبيهك إلى مكانه ووجوده معك دائماً في أحداث القصة، معلقاً وضاحكاً حيناً ،وباحثاً جاداً حيناً آخر)[١]فقصة "اليتيم المعذب"[٢]في نظر كثير من النقاد هي ترجمة ذاتية لحياة السباعي، وما ذلك إلاّ لحضور الكاتب في القصة حضوراً كاملاً، وحماسه الشديد للفكرة التي عالجتها، حماساً ينبيء بأنه إنما يتحدث عن قضية اقتنع بها كل القناعة، بدليل ذلك التقديم الذي صدر به قصته (إلى الذين يناقشون أخطاء غيـــرهم على ضوء ما عرفوا من أخطاء أنفسهم أهـــدي هذه القصة) [٣].

وذاتية اللغة ظاهرة جلية لدى إبراهيم الناصر في مجموعته "أرض بلا مطر" التي يروي جميع أقاصيصها بلسانه على سبيل الحكاية، مكثراً من "كان" و "كانت" وغيرها من الأفعال الماضية التي تشعر القاريء بموت القصة وجمود الأفعال فيها.

وكذلك الحال لدى عزيز ضياء في مجموعته "ماما زبيدة" حيث لا تعدو القصة لديه أكثر من كونها لوحة اجتماعية أو مجرد حكاية كل الغرض منها المتعة وتزجية وقت الفراغ [٤]دون أن يكون فيها أي نوع من أنواع الصراع الإنساني أو المعاناة التي تعبر عن رؤية معينة للحياة أو الإنسان والمجتمع .

وإلى جانب ذاتية اللغة في قصص الرواد، نلمس - وبسبب من الغرض التهذيبي أيضاً - جنوح اللغة نحو الخطابية ،(والمناداة العقيمة التي لا تؤثر أدنى تأثير في نفس القاريء ،بل كثيراً ما تأتي النتيجة ضد رغبة الكاتب)[٥]كقول السباعي في قصة "اليتيم المعذب":(وأعتقد أن الحياة سيدميها السير طويلاً قبل أن تنتهي إلى اليوم الذي تشعر فيه بحاجتها إلى

---

(١) منصور الحازمي. فن القصة في الأدب السعودى. ص ١١٤

(٢) انظر القصة ص ١٦ من هذا البحث

(٣) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ٣٥

(٤) انظر مفهوم القصة لديه ،والغرض منها ص ٤٠ +١٥٦ من هذا البحث

(٥) محمود الحسيني المرسى.الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية الحديثة. ص ٥٠٥

هدم أكثر آرائها في علاقة المجتمع بالمجرمين ،فليس الإجرام فيما أعتقد أكثر من مرض له أسبابه السيكولوجية وأعراضه التي تتنوع بتنوع جراثيمه الخاصة، فإذا استطاع العلم في أحد الأيام تشخيص حقائق المرض، واستطاع أن يتتبع أنواعه التي لا يحدها حصر، وأن يتعقب الجرثومة المتأصلة في كل نوع على حدة.. فسوف لا يعجز عن علاجه بغير الطريقة التي اعتادتها الحياة اليوم .. وعندئذ سيبدو مقدار تعسفنا في امتهان المجرمين وتسرعنا في الأحكام على أعمالهم قبل التثبت من دوافعهم إلى الإجرام.. ورحم الله خليفتنا الفاروق الذي أبى أن يعاقب السَّرَقَة في سني المجاعة، فقد كان أغزر دراسة لأركان الجريمة،من ملايين الحكام الذين افترضوا خصومتهم للمجرمين،دون أن يكلفوا أنفسهم النظر في دوافعها)[١]وفي موطن آخر يقول :(وتلك حالنا في الحياة ،كانت ولا تزال تعد الاثمين، والخاطئين والجاهلين لأسوأ معاني الإجرام)[٢]وفي ختام القصة يقول : (وبذلك أسدل الستار على الرجل التائب، وضاع في غمرات الحياة كضحية لما نسميه صفحات السوابق)[٣].

وفي مجموعة "أرض بلا مطر" لإبراهيم الناصر لا تظهر هذه الخطابية بنفس الدرجة التي كانت عليها عند السباعي، فهي أخف وطأة، كما أنها لا تتجاوز بعض المقاطع المتناثرة، كقوله في نهاية قصة "نسيج العنكبوت" على لسان السيد عمران الذي رفض إغراء الرشوة رغم حاجته إلى المال (وصمت عمران وهو يدفع الورقة التي تحمل القرار من أمامه ليغوص في التفكير الأزلي، مشاكله والآخرين،ليتمتم قائلاً: الإغراء تمتد جذوره من الواقع .. من نسيج العنكبوت)[٤] وفي قصة "خيانة" من المجموعة نفسها يقول : (ثم تنهد قائلاً كمن عيل صبره : قلت لك أنني غير سعيد بحياتي الزوجية.. ألم تسمعني؟ فأجبت وأنا مأخوذاً[*] بلجة الأفكار التي أغرقتني .. أتقصد يا أخي السمن والخضار الذي تبدده المرأة المتمدينة فلا تحسن

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ٥٤

(٢) المصدر السابق . ص ٦٩

(٣) المصدر السابق . ص ٧٧

(٤) مجموعة "ارض بلا مطر" . ص ١٨

(*) هكذا وردت . والصواب وأنا مأخوذ بلجة الأفكار.

تدبيره واستغلاله بصورة أفضل)[١] وفي قصة "خلود" يصرخ الطفل الكفيف في وجه أبيه قائلاً : (أعطني الحياة وانتزع منها خلودي فلست بطامع به)[٢] كما يقول في وصف طبيبه (إن صورته قد بهتت تماماً كما بهتت الآمال السرابية التي كانت يقيناً ، ثم غدت مجرد فقاعات يعبث الطبيب في إطلاقها في سماء عيادته كلما أحضرني أبي إليها، فقاعات قد تنزلق على مسمعي سريعاً فلا تقف عنده مطلقاً.. ولكن رغم اليأس الذي أطبق علي وتشربته روحي منذ مدة طويلة،حتى أصبح قنوطاً كالليل الجهم،الذي أعيش في أكنافه منذ فقدت الرؤية،وتمييز أشيائي المفضلة،كالكتاب ،والحملقة في جمال الكون وروعته.. ورغم ذلك كله فلم أكن قد تهيأت تماماً لقبول فكرة الحياة هكذا مدى العمر دون أن أستطيع إبصار ما تتحلى به الحياة من مرئيات ومستحدثات)[٣] وفي قصة "الظلام المر" يقول : (والنظام كما تعرفون جميل ومقبول،وإن كان حاسماً عنيداً كالحظ العاثر تماماً، ومشكلتي مع الحياة كمشاكل النظام مع البشر، الجميع يريدونه إلى جانبهم وإلاّ فليذهب إلى الجحيم)[٤].

ولعل أكثر ما يلفت النظر في لغة الناصر ذلك الولع الشديد بالتشبيهات حتى أن الصفحة الواحدة قد تحوي في كل مقطع من مقاطعها تشبيهاً. ففي الصفحة الأولى من قصة "خيبة أمل" يقول : (على أن الطريق بما تحفه من أخاديد ويحفر صفحته من وديان لاح وكأنما هو وجه حيزبون طاعنة، نقش أزميل الزمن على صفحته ما عن له من ذكريات)[٥] (وإن قلبه يثب ويتململ بين جوانحه - كالطير الحبيس الذي يتلفت يمنة ويسرة علّه يجد منفذاً للانفلات من إساره - كأنما هو محارب صنديد يعود إلى بيته بعد غيبة طويلة غاض خلالها ماء الحياة من وجهه لفرط المحن والمحارك التي خاض غمارها)[٦] غير أن تشبيهات الناصر قد تأتي في كثير من الأحيان بعيدة وغريبة كقوله في قصة "نسيج العنكبوت"

---

(١) مجموعة أرض بلا مطر ص . ٤٨

(٢) المصدر السابق . ص ٦٩

(٣) المصدر السابق . ص ٦٥

(٤) المصدر السابق . ص ٧١

(٥) المصدر السابق . ص ٣٥

(٦) المصدر السابق . الصفحة نفسها

(فثمة الكساء،وأدوات اللعب ،وكراريس التدريس،وسيل من المطالب ينهمر على رأس السيد عمران كما تنهمر الدموع من عيني أرمل في أرذل العمر فقدت الأمل في الحصول على زوج جديد)[١]وفي قصة "خيانة" يقول :(كانت شفتاه تتمتمان ببعض الكلمات التي تدل على الضيق والضجر، وكأنما هو طفل صغير منعته أمه من العبث بكومة نفايات)[٢]وفي قصة "لعنة الأبد" يأتي هذا التشبيه (ولهثت أنفاس السيد عبدالتواب حين تمثل نفسه وهو يسير مطأطيء الرأس، كالتقي الذي يكتشف فجوره، ونظرات السخرية تنصب عليه من كل جانب كما تنصب أفواه السحب على جدران المنازل)[٣]!!

ولدى الواقعيين الرومانسيين لا زالت اللغة خطابية النبرة، بل أنها ازدادت -وبحكم النزعة الرومانسية فيها - حدة وانفعالية ، عما كانت عليه عند الرواد، كما ازداد اهتمام الكتاب بتفخيم العبارة سعياً وراء لغة مثالية قوية، قادرة على إشاعة جو الفجيعة والحرمان، من خلال ألفاظ اللوعة والأسى وأساليب النداء والمناجاة. ولعل حسن عبدالله القرشي من أبرز الذين مثلوا هذا الاتجاه من خلال مجموعته "أنات الساقية" التي قدم لها بمقدمة إنشائية،تعمل لها الألفاظ المصطنعة المبالغ في اختيارها، وكأنما أراد أن يجعل ذلك دليلاً على قدرته اللغوية حيث يقول (كان حميد جالساً قرب الساقية ولو راح شاعر موهوب يسكب على الورق رائعة من خرائد الشعر تزري بعقود الجمان ويتغنى بسحرها الزمان لما استطاع ان يصور مرح الربيع ،كما هو ثائر معربد في إحساس حميد وتوهج نشاطه وبشره.. ونفحت الأزاهير أريجها الفواح فإذا حميد ينشق هذا العبير ويترواه، ورؤى غده البهيج ترقرق حواليه مصورة له موكب الأحلام الزاهر حينما تزف إليه ابنة عمه "ناجية" فتملأ أفراحه القبيلة ،وتدق له بشائر الفوز بفتاته النبيلة.)[٤]

---

(١) مجموعة "ارض بلا مطر " .ص ١٣

(٢) المصدر السابق . ص ٤٦

(٣) المصدر السابق . ص ٥٥

(٤) مجموعة "انات الساقية . ص ٩

وفي موطن آخر من القصة يقول : (وتصرم شهر،وعاد حميد يذكر حاجته في ذلة الواله،وضراعة الأسير، ولكن العم لا يحير جواباً، بل ينيب عنه في الجواب دموعاً حراراً تغمر وجهه وتفهق بها لحيته)[١]وفي النهاية يقول :(إن حميداً فتى البادية، وربيب المروج الخضر، يعيش الآن في مصح الأمراض العقلية شيخاً أشيب ، هدمته السنون، وقوست ظهره الأيام .أما سلوانه الوحيد بين زملائه المساكين ،فهو أن يصفر صفيراً خافتاً متقطعاً مقلداً فيه أنات الساقية)[٢]

إن اللغة المتكلفة والألفاظ التي يكد الكاتب ذهنه لاختيارها قد تقف حاجزاً صلباً بين القارىء وتملي التجربة والشعور بحرارة الصدق فيها، ذلك أن الصدق ينبع عادة من قدرة الكاتب على تصوير التجربة والغوص في أعماقها،ثم البحث عن أقصر الطرق وأيسرها لتصل هذه التجربة إلى نفس القارىء،وشعوره،دون حاجة إلى التعمل والتكلف. وما ذلك إلا لأن (الصدق في القصة الواقعية لا يعني نقل الواقع بلغة الحديث العادي المبتذلة، كما لا يعني استخدام اللغة المعجمية الاصطلاحية ،لكنها اللغة التي تعكس إحساس الكاتب، وتبرز وجهة نظره ،وتبلور رؤيته ،وهي اللغة المرنة المطواعة. التي لا تتعثر في يد كاتبها، ولا تستكره ،ولا تغتصب ، ولا تنفصل عن العمل العضوي، فتصبح هدفاً في حد ذاتها،هي اللغة المشحونة بالمعنى ،هي الروح التي نستشعرها خلال الكلمات ،هي ألاّ نفكر لكي نكتب، ولكن أننا نكتب لأننا نريد أن نكتب. هي اللغة المركزة المكثفة ،فلا استطراد ولا تزيد ،ولا حشو ،ولا حذف، وإنما هي البساطة والوضوح ،والإيحاء والتوتر المستمر ،هي الإدهاش وكشف المجهول من خلال المعلوم. ولغة القصة من هذه الناحية، تشبه لغة الشعر إلى حد كبير في كلماتها الموحية، لغتها الهامسة، وائتلافها مع عناصر القصة الأخرى .)[٣]

فسليمان الحماد في وعيه وتمثله للكثير من الأسس المعيارية لبناء القصة، نجد الغرض التهذيبي لديه ما يزال ظاهراً على وجه القصة ، من خلال تلك اللغة الإنشائية المباشرة نحو قوله في قصة "الآلة

---

(١) مجموعة "أنات الساقية" . ص ١١

(٢) المصدر السابق . ص ١٣

(٣) محمود الحسيني المرسي .الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة .ص٥٠٤

تسرقني ذهني"[١] (آه .. لو استطعت التركيز على خطر الآلة ،ولكن لافائدة ،لو كنت شاعراً لخدمت الذهن الإنساني! الشاعر الحق يوفر مقداراً جيداً من الرفاه الذهني، إن المتعة الذهنية في الجماليات حقاً، وإن الشعر من أرقى الفنون الجميلة. الخيال والايحاء، والتأثير ،والإثارة ،والمتعة الحقة أيضاً ،آه .. لو كنت شاعراً.)[٢]

وكذلك الحال عند غالب حمزة أبي الفرج الذي اعتمدت اللغة لديه أيضاً على الأسلوب الانشائي المباشر الذي يشعر به القاريء منذ أول وهله يؤكد ذلك قراءة أسماء أقاصيصه مثل ،الألم والجرح، عندما لايخطيء الشعور، الوفاء عندما يتجسد، السهل الذي أصبح جبلا، تعود الطيور المهاجرة، الخافق المعذب ،عندما تتداخل الأشياء، من مجموعة "ليس الحب يكفي". والغادر العائد ،فاطمة والقرية، زوجة في الظل، غبية ولكن جميلة ،عقارب الساعة الجديدة، ،أبي وزوجته وطلال الصغير، من مجموعة "رسائل ملونة" ،كما أن القاريء يشعر بهذه الإنشائية من خلال تلك المقاطع التي يقحمها الكاتب في صلب القصة والتي لا مبرر لها سوى الولع بالانشاء اللغوي والإسهاب جرياً وراء تقرير الفكرة التي يريد طرحها كقوله في قصة "موعد مع الحياة" من مجموعة "ليس الحب يكفي" : (أوَ يتشابه الناس في سحناتهم وصورهم، وإن اختلف المنبت، ذاك شيء يذكره ولا ينساه، ففي مدينة نابولي ،وعلى مقربة من شاطئها الأزرق ، التقى بصورة ناطقة لصديقه حمد الذي عرفه ، أحس بالسعادة لرؤياه، حتى إذا اقترب منه ،وتحدث إليه وجده لايعرف أية كلمة مما قاله، ولقد حاول يومها أن يتحدث معه بالألمانية والانجليزية والفرنسية، لكن هذا الآخر لم يكن يعرف سوى لغة قومه الإيطالية، فساهم أحدهم في نقل حديثه إليه، الذي جعله يعود بذاكرته إلى المثل الذي يقول "يخلق من الشبه أربعين")[٣]وفي قصة "رسائل ملونة" من المجموعة التي تحمل الاسم نفسه، يقول :(المرأة يا صديقي في المجتمعات العربية مظلومة، وهي أيضاً في المجتمعات الغربية والامريكية مظلومة ،وإن اختلفت أنواع الظلم ،فهي في الأولى

---

(١) انظر القصة ص ٥٨ من هذا البحث

(٢) مجموعة "حدث في الزمن الأخير" .ص ٦٤

(٣) مجموعة "ليس الحب يكفي" . ص ٢٦٧

مشدودة لتقاليد عرجاء كنا نظن أن العلم يستطيع أن يمنحها الهروب من سماء حياتنا بلا جدوى، وهي في الغرب مظلومة لأنها وقد أصحبت ألعوبة في يد الرجل، يصنع منها تلك الدمية التي تظن نفسها أنها حرة وهي مقيدة إلى الرجل، الذي شاء أن يمنحها،ويسترضيها،وينساها،ويهينها أيضاً ويدفع بها لأن تعمل في الطريق. أنت وأنا نعرف معنى أن تعمل المرأة في الطريق، فلقد رأيناها سوياً تكنس شوارع المدينة الأنيقة مع تباشير الفجر الطالع ذات يوم .)(١)

وحين بدأت القصة القصيرة في الاقتراب من تحقيق النموذج الفني لها على يد الجيل الثالث كانت اللغة محل اهتمامهم ،فقد أحس هذا الجيل بضرورو التخلص من النماذج التقليدية ،المتمثلة في اللغة الخطابية المباشرة،ومن هنا كان التركيز على تطوير آلية اللغة .

ويبدو أن مرحلة تجاوز اللغة النمطية لدى الرواد ومن تبعهم من كتاب القصة القصيرة، لم تكن قد قامت لدى الكتاب السعوديين وحدهم ، بل كانت ظاهرة عامة تردد صداها في أرجاء الوطن العربي كله، وقد بدأت تباشير هذه المرحلة في مصر حين (هاجم عيسى عبيد اللغة الخطابية وتدخل الكاتب بآرائه الشخصية، ورأى أن الكاتب يجب أن "يتجلى حكمه ورأيه في ثنايا ملاحظاته وتحاليله"* وكان يرى أن اللغة الخطابية،والمناداة العقيمة،لاتؤثر أدنى تأثير في نفس القاريء، بل كثيراً ما تأتي النتيجة ضد رغبة الكاتب. إذ يأخذ القاريء الضجر،والملل،فيتضايق من تلك الفضائل التي يحثونه عليها،بقسوة وخشونة.. وهي دعوة إلى موضوعية اللغة وحيدتها، دعوة إلى لغة موحية، وهجوم على الصراخ واللغة الزاعقة والوعظ الصريح، واللغة التي يدعو إليها ، هي اللغة الحية المرنة الشغوفة باختيار الكلمات الفنية وابتكار العبارات الجديدة، التي تؤدي المعنى بقوة ودقة. كما كان يرى أن تصوير الحياة الشرقية بخيرها وشرها، بلا تقصير أو مغالاة، يجب أن يعتمد "التورية للتعبير عن مقاصدنا الخفية في المواقف الحرجة،وفي بعض الأحيان على ألفاظ ملهمة توحي إلى القاريء

---

(١) مجموعة "رسائل ملونة" .ص ٩

* انظر ما قاله عيسى عبيد في مقدمة مجموعته "إحسان هانم".

المعنى الذي تقصده، ولم تجاهر به".* وهي بلا شك آراء جديدة وجريئة، وثورة على اللغة العقيمة التقريرية الخطابية)(١)

وطبيعي أن تكون أولى مظاهر التغير في القصة الحديثة متمثلة في مجافاة الانشائية الخطابية، والعدول عنها إلى التعبير الذي يوحي بالمعنى إيحاءً دون أن يصرح به، إدراكاً منهم بأن اللغة الإيحائية الرامزة هي الأنسب والأقدر ،للتعبير عن هموم القصة الحديثة،التي اتخذت من تيار الوعي قالباً لها، لتصور من خلاله تلك التوترات والتراكمات النفسية المتضاربة في نفس الإنسان المعاصر، والتي يصعب التعبير عنها في لغة مباشرة وصريحة، فكما أن اللجوء إلى الرمز يهدف إلى إلباس التجربة ثوباً جديداً ومتميزاً يخرجها من مأزق المضامين المتشابهة فإنه أيضاً يهدف إلى الإيحاء بالمعاناة،وما يكتنفها من ظلال كثيفة ومتشابكة ومكتنزه بالكثير من المعاني التي لاتؤديها اللغة الصريحة المباشرة؛ ومن هنا تحولت اللغة من كونها مجرد لغة انطباعية أو وعاء لحمل المعاني ونقلها، إلى لغة تعبيرية تشكيلية، تنهض بدور كبير في القصة، حيث أتت (مولدة مافي أعماق الحدث القصصي من أجنَّة، وأضفت هذه اللغة على فكرة كثير من القصص بعداً عميقاً ،يقترب في رمزه كثيراً من حياة المتلقي ذاته،واقعه وأحاسيسه، وتبدو لغة التكثيف والإيقاع السريع، واللاهث هي التي بلورت عن طريق تيارات الوعي أزمة وحيرة الإنسان الباحث عن هدفه، فوق تربة صلبة، ولكن داخل حدود ذاته، وأسوارها القوية المانعة)(٢)(فالتعبيرية نقيض الانطباعية، حيث يحشد الكاتب - عادة - وسائل غير مألوفة في التعبير عن رؤيته التي لا تسلم نفسها منذ القراءة الأولى ولا يغني عنها المستوى الأول من مستويات البناء القصصي، بل تتعدد المستويات وتختفي الرؤية خلف بنية غير بسيطة التكوين، ويتحول الانطباع المحدد الواضح إلى رؤية فسيحة يرتحل عبرها المتلقي ويحاول أن يظفر بها في فضاء القصة الرحب، لذا كان الكاتب يلجأ إلى إشاعة جو من الإيحاء الرمزي وقد يستعيض عن الحدث الواقعي بالحدث الفانتازي ويوظف الحلم ويعيد تنظيم الزمان

---

(١) محمود الحسيني المرسي. الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية. ص ٥٠٥

(*) وانظر ما قاله عيسى عبيد في مقدمة مجموعته "إحسان هانم" .

(٢) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة. ص ١١١

والمكان ويزلزل البناء التقليدي للقصة القصيرة، ويستغل الأسطورة والتاريخ وما إلى ذلك)[١]مما سبقت الإشارة إليه، كما أن (مثل هذه المعالجات القصصية تميل إلى القصر، وتبتعد عن استخدام اللغة الناتئة، او الزائدة عن الحجم، بل إن الكاتب يعتمد على الطرح ذي الريتم السريع اللاهث، ومن هنا فكثيراً ما يفتقد أسلوب تيار الوعي للحشو اللفظي، أو عمليات الربط اللفظية، ذلك لأن طبيعة هذه المعالجة تتصل وتساير طبيعة التوتر، والصخب، وعدم الترابط، في شريط ذكريات الماضي،وربطه بشكل غير محدد المعالم بحاضر، بل برؤية مستقبلية للشخصية القصصية)[٢]

ومن أمثلة هذه اللغة اللاهثة السريعة في إيقاعها هذا المقطع من قصة "المرآة المشروخة" لمحمد علوان من مجموعة "الخبز والصمت" (فجأة .. في قمة فرحته.. نشوة النجاح .. الانتصار على النفس قبل كل شيء.. الإحساس بلذة العمل.. بطعم التوفيق من بين الأقدام الناعمة المتراصة.. الصفوف تتفرق ،والأصوات تهدأ.. الحذاء الأسود الضخم يعرفه معرفة مؤلمة.. المسبحة الكبيرة تلطم وجهه.. المرايا تتكسر.. الصابون يتناثر "مسكين" تخترق أذنه .. كانت المرة الأولى التي يرى الوجوه على حقيقتها .. عارية من كل حب.. رآها لكن في مرآة مشروخة)[٣]وفي قصة "الاتجاه شرقاً" يقول : (الشمس تصنع الظل.. الكراهية تلد الحب.. ليس هناك أطراف ،كل شيء نسبي، بيده المعروقة يضغط بلفافة التبغ التي لم تكتمل.. بقايا من دخان يتصاعد شيئاً فشيئاً.. خيل إليه أنه دخان الحرب حيث يرتبك الموت فبمن يبدأ؟ الأجساد تتهاوى.. كل الجنود صورة لأخيه الحبيب.. الألم يعصره.. جبان يقبع وراء المذياع لا يملك من القدرة على المشاركة سوى كلمة "لو")[٤]

وفي قصة "موت الأشياء القديمة" من مجموعة "مكعبات من الرطوبة" لعبدالله السالمي يقول البطل : (ابتسامتي مشوهة كأحلامي القديمة.. صوتي يرقد في الصمت نتناً.. كجثة تخمرت وسط الرمال ..

---

(١) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية .ص٣٠٨

(٢) نصر محمد عباس . البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة. ص ١١٠

(٣) مجموعة "الخبز والصمت . ص ٤٠

(٤) المصدر السابق . ص ٦٣

عيناها بحر في الحزن يتنفس في هدوء.. أصابعها الصغيرة تتدلى كأغصان شجيرة يمتصها الخريف النازح من أرض الغربة.. ينزل من القطار المهاجر.. يحمل عينيه المتعبتين قلبة أرض طيبة.. تشرئب للعطاء.. كبراعم دفينة تنتظر الضياء الآتي لتتفتح.. الطرقات الميتة ،والأبواب الموصودة.. وضحكات ليست من أجله.. تنمو وتزهو في الفراغ الرمادي وردة يأس صغيرة.. عيناه تتسكعان على الأرصفة الفارغة تبحثان عن ثقب ما في الأبواب الموصدة ..)(١)وفي قصة "أحلام الفارس القديم " يقول : (يبدو وجه صديقي بعيداً .. وجه زمن بعيد.. يلوح مثقلاً بالضيق.. وجه فأر محاصر.. لا أحس أني ضحية.. أستطيع أن أكون كأي واحد.. لا يحمل وجه صديقي إغراءً كافياً .. يغير صديقي مكان قدمه لسبب غير واضح.. ينظر في ساعته.. تختلط النهاية بالبداية.. يصبح الأمر واحداً تقريباً ..حبلا طويل* من المرارة.. تتلاشى حرارة الكلمات.. يود صديقي أن يرحل بسره.. أكره لعبة القطة والفأر.. أقرر حسم الأمر .. أقول له : هل تشرب شيئاً ؟! يبتسم صديقي .. يقول : شكراً ! جئت لأراك فقط،ينظر في ساعته مرة أخرى.. يعتذر عن البقاء.. لا أقول شيئاً.. أراقب احتضار الكلمات والأشياء.. يقوم صديقي .. نمشي المسافة القليلة إلى الباب .. لا أرى وجه صديقي.. أرى قفاه فقط. يتذكر شيئاً فجأة.. يقف ويستدير .. يقول لي : هل وجدت عملاً ؟ .. أهز رأسي .. أود أن أقول له : إن هذه ليست مشكلة.. لا ينتظر جوابي.. يخرج صديقي محفظته.. ينقب بداخلها.. يمد يده لي .. أسمع صوت تحطم الأشياء في داخلي.. أحدث نفسي أقول : إن ما ينقصني شيءٌ آخر ..)(٢)

وقد حاول بعض الكتاب أن يعبث بنظام الجملة متخذاً من ذلك وسيلة أخرى من وسائل الرمز والايحاء من خلال لفت إحساس القاريء وتوجيه شعوره إلى مكمن الدلالة التي يريدها، فلغة عبدالعزيز مشري في هذا

---

(١) مجموعة "مكعبات من الرطوبة" .ص ١٦

(*) هكذا وردت .والصحيح "حبلاً طويلاً"

(٢) المصدر السابق . ص ١١٤

المجال (تتلون بخصوصية واضحة تمنحه التفرد أو على أقل تقدير تجعل من أسلوبه اللغوي نسقاً لا ينتمي إلى أحد غيره)(١)وقد أشار الدكتور محمد صالح الشنطي ** إلى نقاط التميز في لغة المشري والتي من أبرزها :

- (أنه يعمد إلى قلب المشهد في محاولة لتسليط الأضواء على طبيعة الحركة، فالتركيز على الفعل وليس على الفاعل وهذا له دلالته ،فهو يقول في بداية قصة عنترة بن رداد*"وكانا يمشيان في وسط الشارع" واستخدام أداة العطف في أول الجملة يوحي بوجود مرجع وفي هذا ما يحول دون مؤاخذته .)(٢)

(- الحذف المتعمد من السياق النصي دون أن يكون هناك ما يعوض هذا الحذف أو يغني عنه، الأمر الذي يطلق العنان لمخيلة القاريء حتى يجتلب أو يتصور المحذوف من خلال الموقف .)(٢)

ومثل هذا قوله في قصة "ترحلون" :

(في بيروت :
سقط ألف
خمسة آلاف
عشرة آلاف

أطفال يقتلهم الدعم العربي .
اطفال يقتلهم المال العربي .
أطفال يقتلهم الصمت العربي .

في بيروت :
تنطق الحجار.. ولا ينطق ...
في : .... تقرع الدنان
في : .... يتصارع الاضداد

---

(١) محمد صالح الشنطي .القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية.ص١٨١
(**) المرجع السابق . والصفحة نفسها.
(*) مجموعة "أسفار السروي" . ص ١٣
(٢) محمد صالح الشنطي .القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية .ص١٨٢
(٣) المرجع السابق . الصفحة نفسها

في : .... تتلظى خاصرة المومس
في : .... تستر عورتها العاهرة .)[١]

ومن أساليب المشري أيضاً (حذف المنادى وحشد الأدوات وتكرارها تعبيراً عن قمة التأزم والانحراف " لماذا ، هكذا .. الجو خانق ومغبر وفان؟ . يا ....، لماذا ، هكذا الصبح مختنق ومحاصر، ونائم ؟ * " إلى جانب الصياغة المفارقة للغة وخضوعها لمنطق التداعي الذي يفرضه الموقف والعبث بعلاقات الإسناد عبثاً موحياً يتخطى الصياغات المجازية المعتادة)[٢] كقوله (: يا امرأة تمشي بلون الاسفلت وسط ظهيرة العالم .
: يا عالم ظلمتونا في كأس العالم لكرة القدم .
تنسج الأصوات قواماً ، يتضارب في الأحداق ...)[٣] كما أن المشري يلجأ إلى (التنكير المتعمد للمبتدأ دون وجود مبرر نحوي واضح.. وهذا التنكير يجتلب الانتباه إلى الحالة فينغمس فيها القاريء دون معوقات معرفية تصرف شيئاً من تركيزه ، وهذا التنكير ليس ملمحاً لغوياً فحسب بل هو منهج تكنيكي أيضاً إذ يستبعد الكاتب الشخصية من دائرة الاهتمام ويركز على "القدمين اللتين تدلفان بخشونة إلى حذاء بلاستيك أخضر وطري وجلد مطاطي من بطن عجل السيارات يغلف الحذاء"** فهنا يتوجه الكاتب مباشرة إلى مكمن الدلالة دون معوقات)[٤] كما أن من الظواهر اللغوية البارزة لدى المشري (انسراب بعض التعبيرات الشعبية في السياق السردي دون أن يكون لهذه التعبيرات أثر في كسر النسق الفصيح للقص "حلم خير .. أحلامكم بأعلامكم .. قدامك طريقان ***")[٥] .

---

(١) مجموعة "اسفار السروي" . ص ٥٩

(*) المصدر السابق . ص ٦٠

(٢) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. ص ١٨٢

(٣) مجموعة "اسفار السروي" . ص ٦١

(**) انظر المصدر السابق . ص ٦٧

(٤) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. ص ١٨٣

(***) انظر مجموعة "اسفار السروي" . ص ٦٨

(٥) محمد صالح الشنطي. القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. ص ١٨٣

ومثل هذه الأدوات الفنية اللغوية ، وإن ظهرت جميعها في قصص المشري ،فإنك تجدها مفرقة، في أساليب كتاب الجيل الثالث جميعهم ،فهذا محمد علوان يبدأ العبارة القصصية بشبه الجملة، (بجانبه التصقت .. وكانت الريح تصفق بالنافذة ،فازدادت قرباً)[١] ومثله الجفري في "لاشيء كل شيء" حيث يقول (من حوله كانت العربات الفارهة ،وسيارات الأجرة تعدو)[٢]وفي قصة "احزان عشبة برية" يقول جارالله الحميد (مرة ما .. ولد بطل القصة ، في مكان فسيح جداً)[٣] .

كما أن تجسيد المعاني وتشخيصها ظاهرة أخرى من الظواهر التي اعتمدت عليها القصة الحديثة من خلال توظيف الاستعارات واستثمارها لتفجير الكثير من المعاني . كقول خيرية السقاف في قصة "صانعة الشاي"

(تفوه الخوف على ملامح وجهها، اكتست سربالاً من الحياء)[٤]

وفي قصة "الأرجوحة في قلب الليل" تقول :

(الليل يبدأ في خطوته الثقيلة الرتيبة ، رحلة الساعات المكتوبة .. كل الأشياء بدأت تشعر برغبة عميقة في النوم ، والظلام بدأ يأخذ مسراه بين كل جنبين)[٥]

كما يقول حسن النعمي في قصة "طموحات مانع الأزدي"

(من قريتي التي تحتضن النعاس.. مزقت خيبتي..) [٦]

وهناك ملمح آخر من الملامح البارزة في لغة القصة الحديثة يتمثل في استعارة القاص للإيقاع الشعري، أو بالأصح استعارة (لغة القصيدة الغنائية في رؤيته القصصية حتى لتكاد المحاولة القصصية تستحيل إلى قصيدة غنائية موزونة أو قطعة نثرية ذات روح شاعرة ،باتكائها على الإيقاع وإن

---

(١) مجموعة الخبز والصمت . ص ٢٣

(٢) مجموعة "الظمأ" . ص ١٣

(٣) مجموعة "أحزان عشبة برية" . ص ١١

(٤) مجموعة "أن تبحر نحو الأبعاد" . ص ٢٧

(٥) المصدر السابق . ص ٦١

(٦) مجموعة "آخر ما جاء في التأويل القروي" . ص ٧

افتقرت للوزن العروضي أو التشكيل الموسيقي العام)[١] وليس معنى هذا غياب الهوية القصصية بل إن (الرؤية الشعرية تسبح في مياه قصصية ،وإن أمواجها الموقعة ترسو على شواطيء القص والحدث)[٢]

فقصة "موت على الماء" للمشري (تقوم في أساسها وجوهرها على رؤيا شعرية، ويغلب الوجدان فيها على الفكر،فإذا رأينا لدى بعض الأدباء "تعقيل التجربة الوجدانية" فإنا - على العكس - نجد لدى مشري "تغليب الرؤية الشعرية" على الجانب العقلي والفكري في تجربته الأدبية، صحيح أن اللغة الأدبية ليست فكراً فحسب كما أنها ليست أخباراً فقط،بل هي بناء تركيبي ،لكنها في القصة والدراما تنحو نحو التعقيل أكثر مما تنحو نحو الوجدان . ويكاد المشري ينظم تجربته القصصية في قالب نثري ممتاحاً من الوجدان أكثر من امتياحه من الخبرة بالواقع .هذه هي الأقصوصة التي حملت اسم المجموعة حافلة بالرؤية الشعرية مصرحة باللفظ الشعري ،والجملة الشعرية، والفقرة الشعرية في بناء هرمي يبدأ من اللفظة إلى الفقرة .)[٣]

يقول المشري فيها :

" غنت عصافير اللوز .. صاحت ديكة الجيران تسابق تذاكير الشايب، وخيوط الفجر، لحية الشايب .. شعيرات الكفن تقطر بالضوء "[٤]

"دجاجتنا تشقشق ملء الدار، تصفق بجناحيها .."[٥]

(أما الحال مع القصة القصيرة النسائية فهو مختلف، إذ نجد الكاتبة تتأهب لخوض تجربة قصصية لكنها تستسلم في تشكيلاتها اللغوية والموسيقية والتصويرية إلى قالب يستعير أيقاعية القصيدة الغنائية)[٦]

تقول رقية الشبيب في "تسكنيني يا أسماء " :

(تغوص أقدامك الغضة،يمزقها الشوك، الظلام يعكس رؤى كثيرة .. هل تعلمت أن تستندي على جدار الخوف ..الخوف من نفسك .. من .. لأنك

---

(١) يوسف حسن نوفل . في الأدب السعودي . ص ٢٢٠

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها

(٣) المرجع السابق . ص ٢١٨

(٤) مجموعة "موت على الماء" . ص ٨١

(٥) المصدر السابق . ص ٨٢

(٦) يوسف حسن نوفل . في الأدب السعودي .ص ٢٢١

تحبينه ولأنه..أبوك فكانت تضحية،بقوة تسرعين إليه)[١]

وتقول في ميل شعري شديد في القصة نفسها :

(وعادت الروح

من خلف دياجير مظلمة ستطول

تلتئم ذرات منتشرة في الأفق ، تتكور كبطن حبلى ، تمتد كمسمار جحا

تتنفس كبساط سندباد

الصورة هي والغد .. والغد

ماذ يحمل .. الخ)[٢]

أما بالنسبة للغة الحوار ،فإن أهم قضية قامت حولها، هي قضية الفصحى والعامية في الحوار ، وأيهما أقدر على التعبير الواقعي.؟ ويعد أحمد السباعي من أوائل الكتاب الذين أثاروا هذه القضية، ووقفوا إلى جانب الحوار العامي، فقد جاء (السرد في قصص السباعي فصيح بينما يجري الحوار عامياً في الأغلب الأعم عل ألسنة الشخصيات الشعبية)[٣]وقد (دافع السباعي عن هذا الأسلوب وعدد مزاياه وذلك في عدة تصريحات ومقالات نشرت في الصحف لاعتقاده أن نطق شخصيات قصصه باللهجات المحلية هو التصوير الصادق لواقع أحداث تلك الشخصيات ومما قاله : لم لا نترك أبطالنا في القصص إذا كانوا شعبيين يتحدثون إلينا بلهجاتهم الصادقة)[٤]

وجاءت قصص السباعي مصداقاً لهذا الموقف ،حيث جاءت أكثر حواراته بلهجة أهل مكة الشعبية ،وإن لم تعتمد القصة لديه على الحوار كثيراً ، حيث كانت سردية أكثر منها حوارية، ومن أمثلة هذه الحوارات ما جاء في قصة اليتيم المعذب .

---

(١) من مجموعتها "حلم" . ص ٨٦

(٢) المصدر السابق . ص ٨٨

(٣) د. مصطفى ابراهيم حسين . مجلة القافلة . ع ١٢. مج ٣٤ ذوالحجة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م ص ١٦

(٤) ابراهيم فوزان الفوزان. الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، ج٢ ص ٧٤٦

(- ايش هذا اللي إنت شايله ؟

- هاذا .. هاذا شي ربنا قسم بو .

- إيوه .. لكن إيش هوه ؟

هوه .. تسألي إيش هو ؟ قولي الحمدلله ؟

إيوه .. لكن برضه أيش هو ؟

- والله هو بزره.. ولدتها أمها في الصحية وماتت .الأم غريبة .. والبزرة قلبي انشرح لها.. طلبتها من الدكتور أربيها .. ما قصر الدكتور الله يجزيه بالخير سلمني هي) (١)

والحقيقة أن التعبير العامي للحوار لم يقتصر على مرحلة دون مرحلة فقد ظهر متناثراً لدى قلة من الكتاب وفي مراحل مختلفة أمثال عزيز ضياء، عبدالله جفري ، عبدالله السالمي .

(على أن المشكلة ليست مشكلة عامية وفصحى ، كما أن كتابة الحوار بلغة التخاطب في الحياة لا يعني الواقعية، وإن كتابة الحوار باللغة العربية الفصحي لا يعني مجافاة الروح الواقعي، كما أن محاولة التوفيق بين العامية والفصحى ،فيما يسمونه باللغة المتوسطة يقصدون بها الفصحى القريبة إلى لغة الحديث لتكون أقرب إلى العامية مع المحافظة على الفصحى ،لايعني الاقتراب من الواقعية ،إذ ليست المشكلة مشكلة لفظة فصحى ولفظة عامية، ولكن المشكلة مشكلة مرونة الحوار وقدرته على التعبير عن مقتضى الحال ، لايكون الحوار واقعياً إلاّ إذا تلاءم مع بقية العناصر الأخرى ،يستنطق الشخصيات من الداخل، ويعبر عن الموقف، ويرتبط بالحدث داخل السياق العام للقصة سواءً أكان ذلك بالفصحى أم بالعامية، المهم ألاّ يكون الحوار هدفاً في حد ذاته، أو يكون بلغة مثالية، العامية المثالية أو الفصحى المثالية، دون مراعاة لطبيعة الموقف فقد تكون لغة الحوار اللغة العامية، ومع ذلك تصبح مجرد ألفاظ لا توظف لخدمة الموقف ولا تتلاءم مع السياق، وقد تكون الفصحى ،لكنها تأتي تعبيراً عن المقدرة اللغوية فتصبح مجرد "قرع الشفاه" ، وقد تصبح لغة وسطاً ، لكنها مجرد تلفيق لا يدل على أكثر من المهارة والحذلقة)(٢).

---

(١) مجموعة "خالتي كدرجان" . ص ٣٥

(٢) محمود الحسيني المرسي . الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية . ص ٥٢١

غير أن هذه المقولة وإن كانت مقبولة من الناحية الفنية، إلاّ أن اللغة العامية قد تقف حائلاً بين الأدب وما يطمح إليه من العالمية والخروج من دائرة البيئة ، ليحقق التواصل مع غيره من الآداب ،وصولاً إلى التأثير والتأثر وتبادل التجارب، ولمحمود تيمور مقولة قديمة توحي بهذا المعنى وتدل على نبذه لعامية الحوار حيث يقول : (يجب أن يوضع في الاعتبار أن القصة إذا كانت بضاعة للتسويق الوقتي العجول، فلتكتب باللغة التي تأنس بها الأهواء، والأذواق على أوسع نطاق، ولكن متى أريد لها أن تدخل الأدب المعترف به من أوسع أبوابه، وأن تأخذ مكانها بين ألوان الانتاج الفني الباقي، فلا بد أن تستكمل عنصراً جوهرياً له المقام الأول بين عناصر الثقافة، ذلك هو التعبير بالفصحى ،فإن اللغة العربية هي لسان الثقافة القومية في كل بلد عربي، وبخاصة الفنون الأدبية .. وتلك حقيقة تعمل على تأكيدها وشد أواصرها كل الأحوال والملابسات والمستقبل المرموق يدعو إلى التفاؤل ببقاء هذه الحقيقة وازدهارها على مر الأيام ...).(١)

---

(١) محمود تيمور . القصة في الأدب العربي .مصر . عام .... ص ٣٥

الخاتمة

الحمدلله الذي تتم بحمده الصالحات، له الحمد والثناء الحسن ، من قبل ومن بعد .

لقد تمت - بعون وتوفيق منه - هذه الدراسة بعد عرضها للاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة، في بابين ،الأول منهما تناول الواقعية من وجهتها التاريخية، وقد جاء في ثلاثة فصول، عالج كل فصل منها مرحلة من المراحل التاريخية التي مر بها هذا الاتجاه ،وهذه بعض النتائج العامة التي خرج بها هذا الباب :

- إن الواقعية في صورها الأولى ،المتمثلة في قصص الرواد، كانت تسجيلاً حرفياً للواقع، يهدف أول ما يهدف إلى الإصلاح الاجتماعي، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، بأسلوب مباشر وصريح.

- إن امتزاج الواقعية بالرومانسية ، كان إفرازاً طبيعياً للصدمة الحضارية، التي ظهرت آثارها الأولى ،حين بدأ الإنسان يستشعر قهر الآلة والمادة لجمال الطبيعة والفطرة في نفسه، ومنافستها لقدرات الفرد وأحلامه .

- إن الواقعية في صورها الناضجة ،جاءت تعبيراً عن أزمة الإنسان المعاصر، وما يعانيه من مشاعر الخوف والقلق والاغتراب ،نتيجة للقيود والضغوط الكثيرة التي فرضها عليه القرن العشرين .

أما الباب الثاني في هذه الدراسة ،فقد عالج الواقعية من وجهتها الفنية من خلال تتبع أكثر عناصر القصة صلة بالاتجاه الواقعي وتمثيلاً له، وهي الشخصية ،والحدث ،واللغة. وهذه بعض النتائج العامة التي خرج بها :

- إن الالتزام بالحدود الفنية لكتابة القصة الواقعية القصيرة، لم يظهر إلا في فترة متأخرة ، على يد الجيل الثالث من القاصين السعوديين ،الذين وعوا أن لافن بدون هذه الحدود، وإنْ يَكُنْ فناً واقعياً.

- إن واقعية الشخصية لدى الرواد، كانت تعني نقلها بقضها وقضيضها من الواقع المعاش ،كما أن تصويرهم للشخصية غالباً ما يكون تصويراً خارجياً ،لا يعبأ بالعالم الداخلي لها ،قدر اهتمامه بتصوير محيطها البيئي، بكل تفاصيله وجزئياته، ومن هنا كانت الشخصيات باهتة الملامح،

جامدة، إما خيرة أو شريرة إلى النهاية .

- إن الشخصية لدى الواقعيين الرومانسيين ،ما زالت على ما هي عليه لدى الرواد ،وإن أعطيت الفرصة لتتحدث عن نفسها، نجدها وهي تعاني من الذاتية المفرطة وتضخم الذات والميل الشديد إلى المثالية ،لأن حديثها عن نفسها ،إنما هو نقل لأفكار الكاتب وآرائه بشكل خطابي ومباشر .

- وحين بدأت الصور الناضجة للقصة الواقعية القصيرة في الظهور على يد كتاب القصة الحديثة لدينا ،بدأ الوعي بدور الشخصية في العمل القصصي، وانها ليست مجرد أداة لتوصيل أفكار الكاتب ورؤاه، بل هي عنصر مؤثر وفعال في العمل القصصي، من حقها التعبير عن نفسها، بعيداً عن الخطابية والإنشاء ، لتعطي رؤية صادقة ،ومؤثرة ،لواقع الإنسان المعاصر، وكل ما يعتمل بداخله، من مشاعر الخوف والقلق، والاغتراب والعجز عن المواجهة .

- لقد كان الحدث في أقاصيص الرواد ،حدثاً روائياً - الى حد ما - بالنظر إلى مساحته الزمانية، وتشعبه إلى الكثير من الجزئيات، والتفاصيل، التي لاقبل للقصة القصيرة بحملها .

- وكذلك الحال لدى بعض الواقعيين الرومانسيين ،حيث ما يزال الحدث الممتد زماناً ومكاناً ،والذي كثيراً ما يلجأ إلى النهايات المفتعلة والمصادفات العجيبة المبالغ فيها.

- ولكن الحدث اختلف كثيراً لدى كتاب القصة القصيرة الحديثة لدينا، حيث أصبح حدثاً نفسياً بالدرجة الأولى، يهدف أول ما يهدف إلى تصوير العالم الداخلي للشخصيات ، دون كبير اهتمام بالأحداث الهامشية وما ترمي إليه من تفسيرات وشروح باتت القصة الحديثة في غنى عنها. ومن هنا أصبحت نهايات القصص مفتوحة لأنه لا وجود لحدث محدد، إنما هو تعبير مطلق عن معاناة الإنسان المعاصر ،بشكل يوحي بأنها هي الأخرى مطلقة لايعرف لها نهاية .

- إن تصوير كتاب القصة الحديثة. للحدث الداخلي لدى الشخصيات قد اعتمد الى حد كبير على طريقة "تيار الوعي" على اعتبار أنها الطريقة الأمثل، للتعبير عن واقع الإنسان المعاصر، وكل ما يكتنف هذا الواقع ، من ضغوط وتراكمات نفسية، ليس من اليسير التعبير عنها بطريقة

مباشرة، وصريحة.

- إن اللغة في قصص الرواد، كانت لغة انطباعية ومباشرة لاتخفي وجود الكاتب وأفكاره خلف السطور.

- وكذلك الحال في لغة الواقعيين الرومانسيين وإن يَكُنْ قد ظهر لديهم الحرص على تفخيم العبارة والإكثار من استخدام أدوات النداء والمناجاة .

- أما واقعية القصة الحديثة ، فقد كانت لغتها لغة تعبيرية تشكيلية تعتمد بالدرجة الأولى على وسائل غير مألوفة في التعبير، حيث الرمز والايحاء ،وتيار الوعي، مما له كبير الأثر في تعميق التجربة ،وتكثيف الرؤية التي أراد الكاتب التعبير عنها، بحيث لا تسلم نفسها منذ القراءة الأولى ، فتبدو مكتنزة بالكثير من المعاني والإيحاءات التي تعجز اللغة الصريحة عن تصويرها ..

وبعد .. فما يزال ميدان القصة القصيرة ،واسعاً، ومليئاً بالكثير من الزوايا المظلمة، المحتاجة الى الكثير من الدراسات والبحوث لإضاءتها،وقد لفتتني تجربة هذا البحث إلى بعض من هذه الزوايا والموضوعات التي يمكن أن تفرد بالبحث والدراسة - وإن يَكُنْ قد ورد لها إشارات في هذه الدراسة - والتي منها على سبيل المثال : ((أزمة الإنسان المعاصر في أقاصيص محمد علوان، و عبدالعزيز مشري)) ((الرؤية الكابوسية في أقاصيص سباعي عثمان ،حسين على حسين ، جارالله الحميد.))
((الغربة في أقاصيص عبدالله الجفري ،خيرية السقاف، عبدالله السالمي))، ((تيار الوعي في القصة السعودية القصيرة)) ((الرمز ومستوياته في القصة السعودية القصيرة)) ((اللغة الشعرية في القصة السعودية القصيرة)) ..

والحمد لله رب العالمين .

فهرس المـــــراجـــــع

١ - الأيوبي / ياسين (مذاهب الادب معالم وانعكاسات).لنبان ١٩٨٤م
٢ - إسماعيل / عزالدين (الأدب وفنونه). مصر . ١٩٧٨م
٣ - بدير / حلمي (دراسات في الرواية والقصة).مصر .١٩٨٥م
٤ - بدر / عبدالمحسن طه (حول الأديب والواقع). مصر .١٩٨٠م
٥ - تيمور / محمود (القصة في الأدب العربي). مصر . ؟
٦ - جمال /محمد احمد (سعد قال لي) . مصر .١٣٦٦هـ.
٧ - الحازمي / منصور ابراهيم (فن القصة في الأدب السعودي الحديث). السعودية .١٤٠٧هـ
٨ - الحازمي / منصور إبراهيم (مواقف نقدية).السعودية . ١٤١٠هـ
٩ - رداوي / محمود (دراسات في القصة السعودية والخليج العربي).السعودية . ١٤٠٤هـ
١٠ - سلام / محمد زغلول (دراسات في القصة العربية الحديثة).مصر .١٩٨٧م
١١ - السباعي / أحمد (أيامي) . السعودية . ١٤٠٢هـ
١٢ - السيد / طلعت صبح (القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية). السعودية . ١٤٠٨هـ
١٣ - السيرافي / كامل (الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني).مصر . ١٩٧٣م
١٤ - الشامخ / محمد عبدالرحمن (النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية). السعودية . ١٤٠٣هـ
١٥ - الشنطي / محمد صالح (القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية) . السعودية . ١٤٠٧هـ
١٦ - عباس / نصر محمد (البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة).السعودية . ١٤٠٣هـ

١٧ - الفوزان / إبراهيم فوزان (الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد) مصر .١٤٠١هـ

١٨ - المرسي / محمود الحسيني (الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة حتى عام ١٩٨٠م).مصر . ١٩٨٤م

١٩ - مندور / محمد (الأدب ومذاهبه). مصر ؟

٢٠ - النابلسي/ شاكر (المسافة بين السيف والعنق). لبنان . ١٩٨٥م

٢١ - نجم / محمد يوسف (فن القصة).لبنان . ؟

٢٢ - النساج / سيد حامد (في الرومانسية والواقعية).مصر ١٩٦٩م

٢٣ - نوفل / يوسف حسن (أدباء من السعودية).السعودية . ١٩٨٣م

٢٤ - نوفل / يوسف حسن (في الأدب السعودي). السعودية . ١٤٠٤هـ

٢٥ - الهاجري / سحمي ماجد (القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية). السعودية .١٤٠٨هـ

٢٦ - الورقي / السعيد (اتجاهات القصة القصيرة في مصر). مصر . ١٩٨٤م

فهرس المصـــــــــــادر

١ - أبو الفرج / غالب حمزة

مجموعة "رسائل ملونة" . لبنان . ١٤٠٥هـ .

مجموعة "ليس الحب بكفي" لبنان . ١٤٠٢هـ .

٢ - باخشوين / عبدالله

مجموعة " الحفلة" .السعودية .١٤٠٣هـ .

٣ - باقازي/ عبدالله

مجموعة "الموت والابتسام " . السعودية . ١٤٠٤هـ .

مجموعة "القمر والتشريح" . السعويدة . ١٤٠٩هـ .

مجموعة "الخوف والنهر" . السعودية . ١٤٠٩هـ .

٤ - الجفري / عبدالله عبدالرحمن

مجموعة "الظمأ" . السعودية . ١٤٠٠هـ .

٥ - حسين / حسين على

مجموعة "ترنيمة الرجل المطارد" . السعودية . ١٤٠٣هـ .

مجموعة "طابور المياه الحديدية" . السعودية . ١٤٠٠هـ .

مجموعة "الرحيل" .السعودية . ١٤٠٤هـ .

٦ - الحماد / سليمان

مجموعة "امرأة تعبر تفكيري" السعودية . ١٣٩٩هـ .

مجموعة "حدث في الزمن الأخير" السعودية . ١٤٠٦هـ .

٧ - الحميد / جارالله

مجموعة "أحزان عشبة برية" . السعودية .١٣٩٩هـ .

مجموعة "وجوه كثيرة أولها مريم" السعودية. ١٤٠٥هـ .

٨ - خال / عبده

مجموعة "حوار على بوابة الأرض " السعودية . ١٤٠٧هـ .

٩ - الدوسري / سعد

مجموعة " انطفاءات الولد العاصي" السعودية . ١٤٠٧هـ .

١٠ - السباعي / أحمد

مجموعة "خالتي كدرجان" السعودية . ١٤٠١هـ .

١١ - السالم / لطيفة

مجموعة "الزحف الأبيض" السعودية . ١٤٠٢هـ .

١٢ - السالمي / عبدالله

مجموعة "مكعبات من الرطوبة" السعودية / ١٤٠٠هـ .

١٣ - السقاف / خيرية

مجموعة "أن تبحر نحو الأبعاد" السعودية . ١٤٠٢هـ .

١٤ - الشبيب / رقية

مجموعة " حلم" السعودية . ١٤٠٤هـ .

١٥ - الشقحا / محمد

مجموعة "الزهور الصفراء" السعودية . ١٤٠٤هـ .

١٦ - الشملان / شريفة

مجموعة "منتهى الهدوء" السعودية . ١٤٠٩هـ .

١٧ - الصافي / علوي طه

مجموعة "مطلات على الداخل " السعودية . ١٤٠٠هـ .

مجموعة "أرزاق يا دنيا أرزاق" السعودية . ١٤٠٩هـ .

مجموعة "يا زمان العجايب" السعودية . ١٤٠٩هـ .

١٨ - ضياء / عزيز

مجموعة "ماما زبيدة" السعودية . ١٤٠٤هـ .

١٩ - العتيبي /فاطمة مقبل

مجموعة "احتفال بأني امرأة" السعودية . ١٤١١هـ .

٢٠ - العديلي / ناصر

مجموعة "الزمن والشمس اللذيذة" السعودية . ١٤٠٥هـ .

٢١ - عثمان / سباعي

مجموعة "الصمت والجدران" السعودية . ١٣٩٩هـ .

٢٢ - علوان / محمد

مجموعة "الخبز والصمت" السعودية . ١٣٩٧هـ .

٢٣ - الفزيع / خليل ابراهيم

مجموعة "سوق الخميس" السعودية . ١٣٩٩هـ .

٢٤ - القرشي / حسن عبدالله

مجموعة "أنات الساقية" مصر . ١٩٨٩م .

٢٥ - مشري / عبدالعزيز

مجموعة "موت على الماء " السعودية . ١٣٩٩هـ .

مجموعة "أسفار السروي" السعودية . ١٤٠٦هـ .

مجموعة "بوح السنابل" السعودية . ١٤٠٧هـ .

٢٦ - الناصر / ابراهيم

مجموعة "أرض بلا مطر " السعودية . ١٣٨٦م

٢٧ - النعمي / حسن عبدالله

مجموعة "زمن العشق الصاخب" السعودية . ١٤٠٤هـ .

مجموعة "آخر ما جاء في التأويل القروي" السعودية . ١٤٠٧هـ .

٢٨ - الهذال / عاشق

مجموعة "الكلب والحضارة" السعودية . ١٤٠٣هـ .

مجموعة "الفرسان والفارس " السعودية . ١٤٠٥هـ .

٢٩ - اليوسف / خالد احمد اليوسف

مجموعة "مقاطع من حديث البنفسج" السعودية . ١٤٠٤هـ .

مجموعة "أزمنة الحلم الزجاجي" السعودية . ١٤٠٧هـ .

٣٠ - يونس / لقمان

مجموعة "من مكة مع التحيات " السعودية . ١٣٩٧هـ .

الدوريات

أولا الصحف

جريدة الرياض

العدد ٤٩٩٨ . ١٨ صفر ١٤٠٢هـ

العدد ٥١٧٣ . ١٤ رمضان ١٤٠٢هـ

العدد ٦٠٤٥ . ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ

العدد ٦٩٦٩ . ٢٧ ذو القعدة ١٤٠٧هـ

العدد ٧٢٢٨ . ٢٠ شعبان ١٤٠٨هـ

العدد ٧٢٣٥ . ٢٧ شعبان ١٤٠٨هـ

العدد ٧٦٦٢ . ١٢ ذو القعدة ١٤٠٩هـ

ثانياً المجلات

- الجيل - العدد ٣٠ - شوال - ١٤٠٥هـ
- عالم الكتب -العدد الأول - المجلد الرابع - ١٤٠٧هـ
- فصول العدد الثالث - المجلد الثاني - ١٩٨٢م
- الفيصل العدد ١٣٠ - ربيع الآخر - ١٤٠٨هـ
- قافلة الزيت - العدد الأول - المجلد الثامن والعشرون محرم ١٤٠٠هـ.
- القافلة العدد ١٢ -المجلد ٣٤ - ذو الحجة - ١٤٠٦هـ
- المجلة العدد ٢٧٦ - رمضان - ١٤٠٥هـ
- المجلة العربية العدد ١١٠ السنة العاشرة - ربيع الأول - ١٤٠٧هـ
- اليمامة العدد ٦١٠ - رمضان - ١٤٠٠هـ
- اليمامة العدد ٨٧٢ - محرم - ١٤٠٦هـ
- اليمامة العدد ٩٣٥ - ربيع الثاني - ١٤٠٧هـ

موضوعات البحث